The Islamic Univercity-Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Theology
Master of faith and contemporary doctrines



الجامعـــــة الاســـــلامـــــة –غـــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــة أصـــــــول الـــديـــن
ماجستير العقيدة والفرق المعاصــــرة

العلو والفساد في الأرض دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم

Arrogance and corruption in the earth dogmatic study in the light of the Holy Quran

إعداد الباحث

منير بن إسماعيل العمري

إشراف

الأستاذ الدكتور

جابر بن زايد السميري

قدم هذا البحث لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية

ذي القعدة /1437 هـــ –أغسطس/ 2016

إقـــــــــــــــــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

العلو والفساد في الأرض دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم

Arrogance and corruption in the earth dogmatic study in the light of the Holy Quran

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى. وأن حقوق النشر محفوظة للجامعة الإسلامية – غزة.

Declaration

I hereby certify that this submission is the result of my own work, except where otherwise acknowledged, and that this thesis (or any part of it) has not been submitted for a higher degree or quantification to any other university or institution. All copyrights are reserves to IUG.

Student's name:	منير إسماعيل محمد العمري	اسم الطالب:
Signature:	[illegible]	التوقيع:
Date:	2016-11-2	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية-غزة
The Islamic University of Gaza



مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/
الرقم: Ref: 2016/11/02
التاريخ: Date:

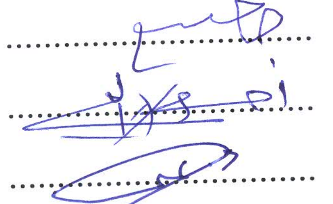
نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **منير اسماعيل محمد العمري** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

العلو والفساد في الأرض دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأربعاء 02 صفر 1438هـ، الموافق 2016/11/02م الساعة التاسعة صباحاً في قاعة الاجتماعات مبنى اللحيدان ، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. جابر زايد السميري	مشرفاً و رئيساً	....
د. أحمد جابر العمصي	مناقشاً داخلياً	....
د. تميم ضيف الله ظهير	مناقشاً خارجياً	....



وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/** قسم **العقيدة الإسلامية.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

ملخص البحث

(العلو والفساد في الأرض دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ محمد ﷺ وبعد:

إن العقيدة الإسلامية منهل العطشى لمعرفة الله ﷻ، والتقرب إليه، وهي أساس الدين العظيم الذي يبنى عليه التوحيد، ومما لا شك فيه أهمية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم، فهي سر السعادة البشرية، وهي أصل بعثة الرسل عليهم السلام، أشرف الناس على هذه الأرض، الذين ما تركوا جهـداً في تبليغ دعوة الله إلى أقوامهم، وإن هؤلاء الأنبياء وجدوا من أقوامهم مـن التكذيب والتعذيب والاضطهاد، ما لم يجده الجناة والمجرمون، ولكن الله ﷻ أظهر دينه ولو كره الكافرون.

فهذا بحث **(العلو والفساد في الأرض دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم)**.

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

المقدمة: بينت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ثم ذكرت خطة البحث، ومنهجي الذي سرت عليه في خطة البحث.

التمهيد: تحدثت عن العلو والفساد ومفهوم كلٍ منهما، ومعانيهما في اللغة والاصطلاح، والعلاقة بينهما. وتحدثت عن علو الله ﷻ على خلقه وفي خلقه وبعض صفات الله ﷻ.

الفصل الأول: تحدثت فيه عن العلو المحمود، وتحدثت فيه عن علو الأنبياء عليهم السلام في الحياة الدنيا، وعن علو المؤمنين وهمتهم في الدعوة إلى الله ﷻ، وعن علو أهل الجنة ودرجاتهم ونعيمهم.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن العلو المذموم، تحدثت فيه عن إبليس واستكباره، والنمرود وجبروته، وفرعون وطغيانه، وقارون وفساده، وبني إسرائيل وعلوهم.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن الفساد الديني وفيه فساد الاعتقاد في الإلهيات، والنبوات، والغيبيات. والفساد الأخلاقي في السياسة والحكم والإدارة والمال والمعاملات. وبعض صور الفساد التي تنتشر في المجتمعات المسلمة

وتوصلت إلى نتائج مهمة سجلتها في آخر الرسالة، وختمتها بفهارس مفصلة.

Abstract

Praise be to Allah the Lord of all creatures, and peace and blessing be upon the Prophet Mohammed:

The Islamic Doctrine is of great importance in the life of Muslims. It is the source of happiness to all humanity, and the essence of all messages of the Messengers of Allah who are the most honest people on this earth, and who made all efforts to communicate the call of Allah to their people. These prophets found denial, suffering and persecution from their people, but Allah has spread His religion despite the denial of the unbelievers.

This Study is entitled (**Elation and Corruption on Earth: A doctrine Study in the Light of the Holy Quran**)

This study consists of an introduction, introductory chapter, and three chapters:

The introduction explains the importance of the topic, the reasons for its selection, the research plan, and the research methodology of this study.

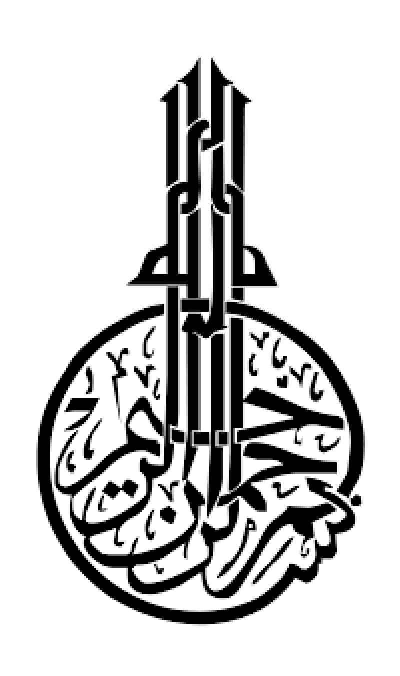
The introductory chapter explains elation and corruption, their concepts, and their definition both lexically and terminologically, and the relationship between them. The chapter also explains the elevation of Allah over His creation and some of the attributes of Allah.

The first chapter: I explained the good elation (elevation), the elevation elation of the prophets peace be upon them in this life, and the elevation of the believers and their in determination in spreading the Message of Allah, and the elevation of the people of Paradise and grades and their permanent Joy.

The second chapter illustrates reprehensible elation. The chapter explains the elation of Satan, Nimrod and his elation, Pharaoh's tyranny, Qaron and his corruption, and the children of Israel and elation.

The third chapter explains religious corruption, the corruption of belief in Theology, prophecies, and metaphysical beliefs, moral corruption in politics, governance, finance and transactions. This is in addition to some forms of corruption in Muslim societies

The study ends with a conclusion that contains the findings and recommendations.



قال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩﴾ [الزمر:9]

إهـــــــــداء

إلى روح والديَّ الحبيبين، وأسأل الله أن يكونا في الفردوس الأعلى مع النبين والصالحين والشهداء.

وإلى زوجتي الغالية، التي كانت تساندني دائماً، وإلى أبنائي الأحباب، وأسال الله العلي العظيم أن يوفقهم لما يحب ويرضى ويكونوا سعداء في الدنيا والآخرة.

وإلى أخوتي الأعزاء وأبنائهم وأزواجهم.

وإلى أرواح شهداء فلسطين الحبيبة الذين قضوا في سبيل الله تعالى؛ من قادتها الأجلاء ومجاهديها الأفذاذ الذين قضوا وهم يدافعون عن ترابها.

وإلى القابعين خلف القضبان ينتظرون فرج الله تعالى، أسرى الحرية والكرامة حفظهم الله ورعاهم وفك قيدهم.

وإلى أقصانا الأسير بيد أعداء الله يهود وأسال الله أن يفك أسره عن قريب.

وإلى جامعتي الغالية، الجامعة الإسلامية الصرح العلمي الكبير، ومنارة العلم حفظها الله تعالى من كل سوء وبارك في أساتذتها الكرام، وقادتها الأماجد.

وإلى كل من ساعدني في إعداد هذا البحث.

شكر وتقدير

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ [النمل:19] فما كان جهدي وعملي ليقوم إلا بإذنك ورحمتك، فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، نحمدك حمداً كثيراً طيباً مباركًا كما تحب وترضى، حمداً بعدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك لا إله إلا أنت، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أنّ محمداً عبدك ورسولك.

قال رسول الله ﷺ: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)**(1) فبعد شكري لله على نعمه الكثيرة التي حباني بها، أحبّ أن أتقدم بأسمى آيات الشكر الجزيل لمشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور جابر زايد السميري على تكرمه بقبول الإشراف على رسالتي، وعلى ما أتحفني به من إرشادات وتوصيات أثناء الدراسة، وخلال إعداد الرسالة. كما وأتقدّم بالشكر الجزيل للمناقشين الفاضلين؛ الدكتور أحمد جابر العمصي والدكتور تميم ضيف الله مزين ضهير، لتكرمهما بمناقشة الرسالة، وإتحافها بالتعديل والتنقيح.

وأتقدّم بالشكر الجزيل والعرفان لزوجتي الغالية التي رافقتني بالمساندة والدعاء طيلة أيام الدراسة بكل ما حملت في طياتها من آمال وآلام. والتي كانت تهيئ لي أسباب الراحة. كما وأتقدم بالشكر لأبنائي وبناتي على مساندتي حتى نهاية المشوار. وأخص منهم ابني إسماعيل الذي ساعدني في طباعة الرسالة وتنسيق بض الأمور فيها.

وأتقدم بالشكر والدعاء بالرحمة لروح والديَّ، اللذين كانا سبباً في وجودي في هذه الدنيا، وكنت أتمنى أن يكونا موجودين في هذه اللحظة الرائعة في حياتي رحمهما الله ﷻ وأسكنهم الفردوس الأعلى.

ثمّ أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية صرح العلم والعلماء، منارة العلم والهدى، حاضنة وملاذ المتعلمين، فالشكر للجامعة عامة، ولكلية أصول الدين وقسم العقيدة خاصة بكل طاقمها الإداري والتدريسي علماء أجلاء، وأساتذة أفاضل، ومكتبتها الزاخرة.

وأشكر كلَّ من ساعدني ومدّ لي يد العون المادي والمعنوي كل باسمه ولقبه ومكانته. وأخص منه الأستاذ الدكتور محمد بخيت والدكتور عماد الشنطي والدكتور أحمد العمصي حفظهم الله ﷻ ورعاهم وسدد خطاهم.

وأتقدم بالشكر لابنة عمي الأستاذة/ سائدة حسين العمري، لمراجعتها الرسالة وتنقيحها لغوياً. جعل الله ﷻ أعمال كل من ساعدني في ميزان حسناتهم، وهداية ونورا على الصراط المستقيم، وأن يسكنهم الفردوس الأعلى، مع النبيين والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الباحث

منير إسماعيل العمري

(1) [الترمذي، سنن الترمذي، ص445: رقم الحديث 1954]. صححه الألباني.

فهرس المحتويات

إقــرار .... أ
أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان: .... أ
ملخص البحث .... ب
Abstract .... ت
إهداء .... ج
شكر وتقدير .... ح
فهرس المحتويات .... خ
مـقدمـــة 1
أولا: أهمية الموضوع: 3
ثانيا: الدراسات السابقة: 3
ثالثا: سبب اختيار البحث: 4
رابعا: منهج البحث: 4
خامسا: طريقة البحث: 4
سادسا: خطة البحث: 5
المبحث الأول: علو الأنبياء في الحياة الدنيا: 5
المبحث الثاني: علو المؤمنين: 6
المبحث الثالث: علو أهل الجنة: 6
التمهيد 9
المطلب الأول 10
مفهوم العلو ومعناه 10
أولا: معنى العلو لغة: 10
ثانياً: العلو اصطلاحًا: 11
ثالثاً: مفهوم العلو والعلاقة بين اللغة والاصطلاح: 11
المطلب الثاني 24
مفهوم الفساد ومعناه 24
أولاً: معنى الفساد لغةً: 24
ثانياً: الفساد اصطلاحا 24
ثالثاً: مفهوم العلاقة بين اللغة والاصطلاح: 26
الفصل الأول 29
العلو المحمود 29
المبحث الأول 30
علو الأنبياء في الحياة الدنيا 30
المطلب الأول 30
علو الأنبياء في مكانتهم 30
أولا: تعريف النبي والرسول لغة: 30
تعريف الأنبياء والرسل: 32
ثانياً: مكانة الأنبياء عند ربهم: 33

مكانة الأنبياء عند سيدنا محمد ﷺ: 37
مكانة سيدنا محمد ﷺ عند ربه: 42
المطلب الثاني 46
عصمة الأنبياء 46
أولا: تعريف العصمة لغة واصطلاحاً: 46
ثانياً: العصمة من النسيان والخطأ في التبليغ: عصمة ربانية. 49
ثالثا: العصمة من الكفر والمعاصي: عصمة اكتسابيه معرفية. 51
رابعا: العصمة عن الخطأ في فهم الأشياء والحكم عليها: 53
المطلب الثالث 56
همة الأنبياء في الدعوة لإعلاء كلمة الله 56
المبحث الثاني 71
علو المؤمنين 71
المطلب الأول 71
علو المؤمنين على الكافرين 71
المطلب الثاني 78
علو المؤمنين في همتهم في الدعوة للإسلام 78
المطلب الثالث 86
عزة المؤمنين في محاورة أعداء الله وعلوهم في ذلك 86
نموذج من حوارات المسلمين مع الكافرين: 87
المبحث الثالث 92
علو أهل الجنة 92
المطلب الأول 92
علو أهل الجنة واكتسابه من الله ﷻ 92
المطلب الثاني 96
درجات أهل الجنة وتفاوتهم فيها 96
المطلب الثالث 101
نعيم أهل الجنة وتفاخرهم به على الكافرين 101
الفصل الثاني 105
العلو المذموم والفساد 105
المبحث الأول 106
علو إبليس وإفساده 106
المطلب الأول 106
استكبار إبليس عن السجود لآدم 106
المطلب الثاني 110
معصية إبليس لله تعالى 110
المطلب الثالث 117
إفساد إبليس للبشر بعد كفره 117
المبحث الثاني 127
علو النمرود وإفساده 127

المطلب الأول 127
جبروت النمرود وطغيانه 127
المطلب الثاني 131
حوار النمرود مع سيدنا إبراهيم ﷺ 131
المطلب الثالث 137
نهاية النمرود المهينة لإستعلائه واستكباره وفساده 137
المبحث الثالث 139
علو قارون وإفساده 139
المطلب الأول 139
غنى قارون وانكاره فضل الله عليه 139
المطلب الثاني 142
علو واستكبار قارون..142
المطلب الثالث 146
فساد قارون ونهايته 146
المبحث الرابع 150
علو فرعون وإفساد 150
المطلب الأول 150
علو فرعون على قومه واستبداده على قومه...150
المطلب الثاني 154
دلالات العلو في حوار فرعون مع موسى 154
المطلب الثالث 161
السحرة وإفساد عقول الناس 161
المطلب الرابع 167
نهاية فرعون بغرقه والعبرة من موته...167
المبحث الخامس 171
علو بني إسرائيل وفسادهم...171
المطلب الأول 171
علو بني إسرائيل 171
المطلب الثاني 175
فساد بني إسرائيل 175
المطلب الثالث 180
نهاية بني إسرائيل...180
الفصل الثالث 183
اقتران العلو بالفساد 183
المبحث الأول 184
الفساد في الدين...184
المطلب الأول 184
فساد الاعتقاد في الإلهيات 184
المطلب الثاني 190

فساد الاعتقاد في النبوات 190
المطلب الثالث 193
فساد الاعتقاد في الغيبيات.. 193
المبحث الثاني 197
الفساد الأخلاقي... 197
المطلب الأول 197
الفساد في الحكم والسياسة.. 197
المطلب الثاني 201
الفساد الإداري والمالي... 201
المطلب الثالث 206
الفساد في المعاملات 206
المبحث الثالث 210
صور الفساد في الأرض... 210
المطلب الأول 210
الشرك بالله ﷻ 210
المطلب الثاني 215
عدم السمع والطاعة لولاة الأمر 215
المطلب الثالث 220
ارتكاب المعاصي والآثام 220
المطلب الرابع... 226
الدعوة إلى إفساد المرأة 226
الخاتمة.. 231
المصادر والمراجع... 234
المصادر والمراجع... 235
الفهارس العامة 252
فهرس الآيات 253
فهرس الأحاديث... 278
فهرس الأعلام... 285

مــقدمـــــــة

الحَمدُ للهِ خالقِ السماواتِ بغيرِ عمد ترونها، وخلق الأرض وبث فيها من كل دابة آية للعالمين، الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، الحمد لله الذي خلق الحياة الدنيا دار عمل للإنسان، وخلق الآخرة دار حساب وقرار، الحمد لله الذي خلقنا مسلمين موحدين عابدين لله عزو جل؛ وكفى بها من نعمة.

قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:102].

قال ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:1].

قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:70-71].

أمّا بعــد:

إن العلوّ لله العلي العظيم، الكبير المتعال على جميع خلقه، والذي له العبادة من جميع خلقه، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، الحي القيوم الذي وسع كرسيه السماوات والأرض، فالعلو والرفعة هي صفات لا يوصف بها إلا الله العلي العظيم، وهي من صفات الكمال والقوة لله تبارك وتعالى التي تميز بها عن خلقه وعباده جميعاً.

ولما كان القرآن الكريم من أشرف العلوم، والبحث، والكتابة، والمعرفة في علومه أشرف المعارف، فقد وقع اختياري لعنوان رسالة الماجستير، على (العلو والفساد في الأرض دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم) لتقديمها "دراسة عقدية" ومن خلال هذه الآيات أوضح معنى العلوّ، وأنواعه، والفساد وأنواعه، ونماذج هذه الأنواع في ضوء القرآن الكريم.

وقد بين لنا القرآن مواقف كثيرة في العلو المحمود، والعلو المذموم، والفساد الذي يترتب على العلو المذموم، والذي من خلاله يستغل الطاغية أو المتكبر علوه لظلم الناس واستغلالهم والسيطرة عليهم، قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:4]، حتى وصل الحال بمن يتبع الطاغية أن يتهم أهل الحق بالضلال والإفساد ويجب أن يُحارَبوا ويُقَتّلوا هم وأبناءهم؛ لأن سطوة الجبار الظالم طمست على قلوبهم وأعمت بصيرتهم حتى أصبحوا في

ضلال مبين قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف:127].

والقرآن الكريم يتحدث كثيراً عن الإفساد في الأرض، وينعى على المفسدين فيها، أو يبغون فيها الفساد أو يعينون عليه، ذلك أن الله ﷻ خلق الأرض صالحة وأودع فيها البركة الكافية من فوقها فقال ﷻ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [فصلت:9]، وأمر الله ﷻ الناس أن يكونوا مقسطين عادلين في تصرفاتهم وأعمالهم، ولا يبخسوا الناس أعمالهم، ولا يظلموهم فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الشعراء:183].

وقد ذكر القرآن في المنافقين صفة الإفساد؛ حيث كانوا يظهرون ما لا يبطنون ويقولون ما لا يفعلون، يظهرون الخير، ويبطنون الشر والفساد، وهم شر المفسدين لأنهم خطر داهم في صفوف المسلمين؛ وقد وصفهم القرآن بهذه الصفات فقال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البقرة:11-15].

فالعلو المذموم مرتبط بالفساد في الأرض، والذين تعالوا ونصّبوا أنفسهم آلهة أفسدوا في الأرض، وضلوا وأضلوا وكانوا سبباً في الظلم، وسلب الناس حرياتهم وحقوقهم التي وهبها الله ﷻ لعباده الذين خلقهم لعبادته، وأعطاهم حريتهم في التصرف في حياتهم الدنيا.

والقرآن فّرق بين المفسد والمصلح، وبين التقيّ والفاجر، ولم يساوِ بينهما، وجعل المصلح والتقي خير من المفسد؛ لأن المصلحين هم من يقومون على صلاح المجتمع والاهتمام به، والمؤمن الذي يعبد الله ﷻ حق العبادة، ويعمل من الصالحات والخير ما يجعله في محبة الله خير من أولئك المفسدين من الفجار وغيرهم ممن يعملون السوء فقال ﷻ: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴾ [ص:28]. فشتان بين المصلح المؤمن الذي هو في رحمة الله ﷻ ومحبته، وبين المفسد والمستكبر والذي هو في غضب من الله ﷻ عليه لأنه استعلى واستكبر على الناس، وكان من المفسدين الظالمين الذين استعبدوا الناس واسترهبوهم وكانوا ضالين.

أولا: أهمية الموضوع:

1. تكمن أهمية الموضوع في إبراز وتوضيح مفهوم العلو بكل معانيه السلبية والإيجابية وتوضيح ميزان الخير والشر في العلو والفساد الذان يرتبطان ببعضهما في بعض الأحيان، حيث أن العلو يقترن بالفساد في كثير من المواقف التي يتكبر فيها بعض أهل السلطان والحكم والسيادة.
2. بيان علو أنبياء الله ﷻ وترفعهم عن الخطأ والمعصية ودعوتهم إلى الله ﷻ.
3. بيان منزلة وعلو أهل الجنة والفوز العظيم الذي اكتسبوه من خلال تواضعهم وطاعتهم وعلوهم على الكفار بإلتزامهم بدين الله ﷻ.
4. اقتران العلو والاستكبار بالفساد في الأرض عند إبليس وطواغيت الأرض الذين استعلوا واستكبروا وأفسدوا في الأرض.
5. بيان عاقبة الفساد في الأرض لمن يفسد فيها.

ثانيا: الدراسات السابقة:

1. رسالة ماجستيرغير منشورة لباحثة عراقية تتحدث عن آيات العلو في القرآن، من جامعة بابل– العراق.
2. أنــواع الفســاد وصوره د/ عبد السلام اللوح وأ/ ضياء السوسي. (بحث منشور على الانترنت).
3. الفساد وأسبابه د/ عبد السلام اللوح وأ/ ضياء السوسي. (بحث منشور على الانترنت).

وقد تميز الباحث في بحثه في توسعه في مفهوم العلو المحمود والمذموم، واقتران العلو المذموم بالفساد في الحياة الدنيا، وما يؤول إليه مصير المفسدين والمجرمين في الأرض من خسران في الدنيا والآخرة، وفوز أصحاب الحق ومن يعلون بالحق في الدنيا ليكونوا الفائزين في الدنيا والآخرة.

ثالثا: سبب اختيار البحث:

يرجع أسباب اختياري لموضوع " العلو والفساد في الأرض دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم لما يلي:

1-بيان عظمة الله ﷻ على جميع خلقه ﷻ، فأهمية الموضوع تكمن في بيان مدى علوه تعالى ورفعته على كل شيء، ومدى عظمته في هذا الكون، وعلوه وسلطته على كل متكبر.

2-إقتران العلو المذموم بالفساد في الأرض، وتعالي وتكبر عدد من خلق الله ﷻ ومن المجرمين على إخوانهم من بني البشر واستغلالهم والاستبداد عليهم وظلمهم بالعلو والتكبر.

3- بيان مآل ومصير المتكبرين والمتجبرين والذين استعلوا على عباد الله من المستضعفين ومصيرهم في الدنيا والآخرة.

4-بيان من اتبع طريق الحق ولم يتعالى ولم يتكبر ولم يظلم بل كان في علوه علواً محموداً علو الطاعة والعبادة للفوز في الدنيا والآخرة.

رابعا: منهج البحث:

واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي. [1]

خامسا: طريقة البحث:

1. عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر اسم السورة ورقم الآية منها، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين علامتي تنصيص، ويكون العزو للآيات داخل النص وليس في الحاشية وبيان العنوان الرئيسي الذي تندرج تحته الآية أو الحديث بحسب المسالة التي يشير إليها وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية ونقل حكم العلماء عليها إن كانت في غير الصحيحين.
2. عند عزو الآيات والأحاديث والنصوص سيتم تجديد الترقيم في الحاشية السفلية لكل صفحة.

---

(1) حلس، دليل الباحث "المنهج الوصفي يقوم بوصف ما هو كائن وتفسيره وصفاً دقيقاً ويعبر عنه تعبيراً كيفياً يصف الظاهرة ويوضح خصائصها، أو تعبيراً كمياً يعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر الأخرى".

3. جمع المعلومات من المصادر الأصلية مباشرة والرجوع إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة، وربط الأحاديث الواردة في القضية والآيات بأحاديث أخرى من أجل الفائدة المرجوة.
4. نقل كلام العلماء والأئمة في كل قضية ترد وما يدل عليها والاستعانة بكتب العقيدة والتفسير في تأصيل المسائل.
5. ترجمة الأعلام المغمورين وبيان معاني الكلمات الغريبة، ووضع فهارس للآيات والأحاديث وفهارس المراجع والموضوعات.
6. توثيق المعلومات في الحاشية بالشكل التالي "ذكر عائلة المؤلف – اسم المؤلف –رقم الجزء–رقم الصفحة" وإذا تكرر الاقتباس من المرجع نفسه أكثر من مرة فإن التوثيق يكون كاملا أول مرة وفي المرات التالية يكتفى باسم الكتاب ورقم الصفحة والجزء.
7. توثيق المعلومات في المراجع والفهارس بالشكل التالي "ذكر عائلة المؤلف – اسم المؤلف – سنة النشر–اسم المحقق إن وجد–رقم الطبعة–دار النشر–بلد النشرسادسا: خطة البحث:

سادسا: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: العلو والفساد:

أولاً: مفهوم العلو ومعناه:

1. العلو لغة.
2. العلو اصطلاحاً.
3. مفهوم العلو والعلاقة بين اللغة والاصطلاح.

ثانياً: مفهوم الفساد ومعناه:

1. الفساد لغة.
2. الفساد اصطلاحا.
3. مفهوم الفساد والعلاقة بين اللغة والاصطلاح.

الفصل الأول: العلو المحمود:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علو الأنبياء في الحياة الدنيا:

ويشتمل ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: علو الأنبياء في مكانتهم.

المطلب الثاني: عصمة الأنبياء.

المطلب الثالث: همة الأنبياء في الدعوة لإعلاء كلمة الله ﷻ.

المبحث الثاني: علو المؤمنين:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علو المؤمنين على الكافرين.

المطلب الثاني: علو المؤمنين في همتهم في الدعوة للإسلام.

المطلب الثالث: عزة المؤمنين في محاورة أعداء الله ﷻ وعلوهم في ذلك.

المبحث الثالث: علو أهل الجنة:

ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: علو أهل الجنة واكتسابه من علو الله ﷻ.

المطلب الثاني: درجات أهل الجنة وتفاوتهم فيها.

المطلب الثالث: نعيم أهل الجنة وتفاخرهم به على الكافرين.

الفصل الثاني: العلو المذموم والفساد:

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: علو ابليس وفساده:

ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: استكبار إبليس عن السجود لآدم.

المطلب الثاني: معصية إبليس لله تعالى.

المطلب الثالث: إفساد إبليس للبشر بعد كفره.

المبحث الثاني: علو النمرود وفساده:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جبروت النمرود وطغيانه.

المطلب الثاني: حوار النمرود مع سيدنا إبراهيم.

المطلب الثالث: نهاية النمرود المهينة لعلوه واستكباره وفساده.

المبحث الثالث: علو قارون وفساده:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: غنى قارون وانكاره فضل الله ﷻ عليه.

المطلب الثاني: علو واستكبار قارون.

المطلب الثالث: فساد قارون ونهايته.

المبحث الرابع: علو فرعون وفساده:

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: علو فرعون على قومه واستبداده عليهم.

المطلب الثاني: دلالات العلو في حوار فرعون مع موسى.

المطلب الثالث: السحرة وإفسادهم لعقول الناس.

المطلب الرابع: نهاية فرعون بغرقه والعبرة من موته.

المبحث الخامس: علو بني إسرائيل وفسادهم:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علو بني إسرائيل.

المطلب الثاني: فساد بني إسرائيل.

المطلب الثالث: نهاية بني إسرائيل.

الفصل الثالث: اقتران العلو بالفساد:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفساد في الدين:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فساد الاعتقاد في الإلهيات.

المطلب الثاني: فساد الاعتقاد في النبوات.

المطلب الثالث: فساد الاعتقاد في الغيبيات.

المبحث الثاني: الفساد الأخلاقي:

ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: الفساد في الحكم والسياسة.

المطلب الثاني: الفساد الإداري والمالي.

المطلب الثالث: الفساد في المعاملات.

المبحث الثالث: صور الفساد في الأرض:

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك بالله ﷻ.

المطلب الثاني: عدم السمع والطاعة لولاة الأمر.

المطلب الثالث: ارتكاب المعاصي والآثام.

المطلب الرابع: الدعوة إلى إفساد المرأة.

المصادر والمراجع.

الفهارس.

يعقب البحث خاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، هذا جهدي فإن أصبت فمن الله ﷻ وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأرجو من الله ﷻ العفو والمغفرة، ومن أستاذي النصح والإرشاد، والله ولي ذلك وهو على كل شيء قدير.

نسأل الله تعالى أن نكون من الفائزين

التمهيد

المطلب الأول

مفهوم العلو ومعناه

أولا: معنى العلو لغة:

العين واللام والحرف المعتل ياءً كان أو واواً أو ألفاً، أصلٌ واحد يدلُّ على السموّ والارتفاع، لا يشذُّ عنه شيء. ومن ذلك العَلاَء والعُلُوّ. ويقولون: تَعالى النّهارُ، أي ارتفع. ويُدْعَى للعاثر: لعاً لك عاليا! أي ارتفعْ في علاء وثبات. وعاليتُ الرّجُل فوق البعير: عالَيْتُه[1]. قال:

وإلاّ تَجَلَّلْهَا يُعَالُوكَ فوقها *** وكيف تَوَقَّى ظَهْرَ ما أنت راكبُهْ[2].

قال الخليل: أصل هذا البناء العُلُوّ. فأمّا العَلاء فالرِّفعة. وأمّا العُلُوّ فالعظمة والتجبُّر. يقولون: علا المَلِك في الأرض عُلُوّاً كبيراً. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:4]، ويقولون: رجلٌ عالي الكعب، أي شريف. قال: *لما عَلاَ كعبك لي عَليتُ[3].

العلوُّ مصدر من علا الشيءُ عُلُوًّا فهو عَليٌّ وعَلِيَ وتَعَلَّى،... ويقال: عَلا فلانٌ الجبل إذا رَقِيَه وعَلا فلان فلانًا إذا قَهَره، والعَلِيُّ الرَّفيعُ، وتَعالَى تَــرَفَّع، وأصل هذه المادة يدلُّ على السموِّ والارتفاع [4].

فالعلو في اللغة له عدة معاني، منه التكبر والإرتفاع والرفعة ومنه الاستعلاء الذي يأخذ طريقي الخير والشر، فاستعلاء المؤمنين هو خير وفخر للمؤمنين واستعلاء المجرمين والكافرين هو استعلاء شر لأنه يكون فيه التكبر والغرور والظلم.

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج112/4).

(2) بيت الشعر للمتلمس: رواها التبريزي في تهذيب اصلاح المنطق 238، وليس في ديوان المتلمس، ويسمى جرير بن عبد المسيح بن عبد الله بن زيد ابن دوفن بن حرب بن وهب بن جلّى بن أحمس بن ضبيعة ابن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان الضبعي المتلمّس، شاعر مشهور جاهلي. قدم دمشق هاربا من عمرو بن هند. وذكر دمشق وبصرى في شعره. والمتلمس خال طرفة بن العبد، وكان سيّدا، وإنما سمّي المتلمّس لقوله

وذاك أوان العرْض حيّ ذبابه   زنابيره والأزرق المتلمّسُ

(تاريخ دمشق لابن عساكر: ج/72، ص83).

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج113/4).

(4) ابن منظور، لسان العرب (ج83/15).

ثانياً: العلو اصطلاحًا:

وصف ذاتي لله ﷻ، وله ﷻ العلوّ المطلق بأنواعه الثلاثة: علوّ الذّات، وعلو القدْر، وعلو القهر والغلبة[1].

وصفة العلو تقتضي علو الله ﷻ على جميع مخلوقاته بما فيها العرش وغيره من المخلوقات.

ويمكن للباحث أن يعرف العلو هو "التكبر عن الحق وعلى الخلق، والطغيان في الأعمال والأقوال، والاستبداد والظلم والفساد، وذلك باستخدام الجاه والسلطان والحكم والقوة "

ثالثاً: مفهوم العلو والعلاقة بين اللغة والاصطلاح:

الناظر إلى المعاني السابقة يجد أن هناك تقارب في المعنى اللغوي والاصطلاحي، حيث حيث يتناول كلا التعريفين معاني الرفعة والسلطة والقوة والغلبة والعظمة والتجبر.

والآيات التي تناولت معنى العلو جاءت على معنيين:

1-أن يكون معنى العلو فيها ممدوح: كما جاء في وصفه في قوله ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى١﴾ [الأعلى:1]، ويقول ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ٣٠﴾ [لقمان:30]، وكما جاء في صفة عباده الصالحين، قال:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣﴾[القصص:83].

2-أن يكون معنى العلو فيها مذموم: كما قال ﷻ في وصف فرعون قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ٨٣﴾ [يونس:83]، وقال ﷻ: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤﴾ [النمل:14] [2].

فالعلو المحمود جاء في حق الله ﷻ، حيث أن الله ﷻ عالٍ على خلقه علو الرفعة والعظمة والفوقية التي تليق بحقه ﷻ.

قال ابن تيمية رحمه الله:

"لما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله ﷻ هو العلي الأعلى، وأنه فوق كل شيء، كان المفهوم من قوله: إنه في السماء، أنه في العلو وأنه فوق كل شيء. وكذلك الجارية لما قال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها" [3].

---

(1) البراك، شرح العقيدة الطحاوية (ص193).

(2) الجاسر، الفرق بين العلو والعزة (2014/12).

(3) ابن تيمية، التدمرية (ص87).

فالعلو في حق الله ﷻ لا وصف له حيث أن الله ﷻ عالي على جميع خلقه من غير حد ولا معرفة عن كيفية العلو لله ﷻ، فالإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، والله ﷻ في علوه لا تحده حدود ولا يحصره مكان، قال ﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١﴾[الأعلى:1]، فقد وصف نفسه بالأعلى وطلب منا التسبيح والإيمان بهذا الأمر عبودية لله ﷻ ويقول ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾ [فاطر:10]، فالصعود والرفعة تكون للأعلى وهذا يدل على علو الله ﷻ على خلقه، وقد بين لنا أيضا رسول الله ﷻ أن الله في السماء عندما خطب في المسلمين وكان يرفع أصبع السبابة ويشهد الله ﷻ على المسلمين، وهو يخطب الناس في أكبر جمع، وذلك يوم عرفه، في حجة الوداع[1] فقال ﷺ: **(ألا هل بلغت؟). قالوا: نعم (ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم (ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم. وكان يقول: (اللهم! أشهد) ثلاث مرات، يشير إلى السماء بأصبعه، ثم يُشير إلى الناس)** [2]، ومن ذلك رفع يديه إلى السماء في الدعاء كما ورد في عشرات الأحاديث. وهذا إثبات للعلو بالفعل.

وما قول النبي ﷺ ألا هل بلغت؟! اللهم فأشهد، ثلاث مرات إلا تنويه آخر بعلوه سبحانه، وأنه في العلو فوق السماوات العلى على عرشه استوى ثم كان التسبيح تنزيه الله ﷻ عن النقائص والعيوب، يقول ﷻ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾ [الصافات :180–182] فهو سبحانه سبَّح نفسه عما يصفه المفترون والمشركون، وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من الإفك والشرك والباطل، وحمد نفسه لاستحقاقه الحمد كله، بما له من الأسماء والصفات ومحمود الأفعال .

وحتى فرعون وهو عدو الله ﷻ لما أراد أن يجادل موسى عليه السلام في ربه قال لوزيره هامان: ابنِ لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى عليه السلام، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص:38]. وهو في حقيقة أمره وفي نفسه يعلم بوجود الله ﷻ حقاً في السماء، وأنه ﷻ موجود وأنه إلهه وإله العالمين، ولكن جبروته وتعاليه جعلاه يستهين بمن حوله من الناس ويجعلهم يعبدونه ويدينون له بالولاء والطاعة العمياء كما قال ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤﴾[النمل:14].

---

(1) الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل (ج680/2).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الحج/ حجة النبي ﷺ، 558: رقم الحديث 1218].

ودليل إيمان فرعون بوجود الله ﷻ أنه قال عندما أصابه الغرق قال ﷻ: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:90].

وعلو الله ﷻ في غير علوه على خلقه، هو علوه في خلقه، وذلك في عظمته في خلق المخلوقات، حيث أنه خلق السموات بغير عمد فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد:2]، وما جعل فيها من اختلاف ولا تفاوت، وحاجج البشر بأن يخلقوا مثل ما خلق، أو أن يُخرجوا أي خلل في خلقه فقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك:3]، وما خلق في هذه الآفاق من كواكب ونجوم وأجرام سماوية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وخلافة الله ﷻ للإنسان في أرضه فهو علو لله ﷻ عليه، وعلى الأرض التي خلقها واستخلفه فيها فقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾ [البقرة:30]، فالله ﷻ خلق الإنسان وجعل له شأن عظيم، وجعل الملائكة تسجد تكريماً له، والله ﷻ خلق الإنسان فأحسن صورته، وجعله لعبادته وطاعته.

وتتجلى عظمة الله ﷻ في خلق الجنة والنار وجعل الجنة لعباده الطائعين الزاهدين وجعل النار للعصاة والكافرين والمنافقين والمشركين. فمن حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **(لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثم رجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضا، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها)**[1]. فعلو الله يتمثل في كل أمر هو له في كبريائه وفي خلقه وفي كماله.

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، صفة الجنة/ حفت الجنة بالمكاره، ص577: رقم الحديث 2560]. صححه الألباني.

وقد وردت بعض الآيات في الكتاب العزيز قد تشتبه على البعض حول علو الله ﷻ، وهو من الأمور التي يتميز بها المسلمون عموما عن النصارى الذين خلطوا في مقالتهم بين وجود الخالق ﷻ، ووجود المخلوق، فاتحدت ذاته القدسية بذات بشرية خالطت بقية البشر، أو تجسدت كلمته التكوينية في ذات المسيح ﵇، والكلمة صفة، وهي تتبع موصوفها، فتجسدها نفي ضمني، إن لم يكن صريحاً لعلو المتصف بها، إذ وصفها بالحلول في كائن أرضي نفي لعلوها، ونفي علو الصفة نفي لعلو الموصوف بها، والمسلمون يؤمنون بعلو الله ﷻ على خلقه ذاتاً وصفاتاً وشأناً وقهراً، وتجدر الإشارة إلى مذهب أهل الإسلام عموما والسنة خصوصا في هذه المسألة الجليلة؛ فقد اتفقت بعض الفرق الإسلامية كالجهمية والمعتزلة وبعض الأشاعرة، على إثبات علو القهر والشأن، واختلفوا في علو الذات، فذهب أهل السنة إلى إثبات علو ذاته ﷻ، على خلقه علواً عاماً يدركه العقل، فهو من الصفات التي للعقل في إثباتها مدخل، وإن كان السمع عمدة هذا الباب إثباتا ونفيا، فالعقل يدرك بداهةً علو الخالق ﷻ على خلقه، لأن العلو صفة كمال مطلق.

والقسمة العقلية لا تخرج عن ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون عاليا على خلقه، وهو المطلوب إثباته.

والثاني: أن يكون محاذيا لهم، فيكون مساوياً لهم، والتسوية بين الخالق ﷻ، والمخلوق تسوية بين مختلفين.

والثالث: أن يكون أسفل منهم، وهذا أشد حيفاً وظلماً، فإذا انتفى الاحتمال الثاني انتفى هذا الاحتمال من باب أولى[1].

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله:

"وأما دلالة العقل فنقول: لا شك أن الله ﷻ إما أن يكون في العلو أو في السفل، وكونه في السفل مستحيل، لأنه نقص يستلزم أن يكون فوقه شيء من مخلوقاته فلا يكون له العلو التام والسيطرة التامة والسلطان التام، فإذا كان السفل مستحيلا كان العلو واجبا"[2].

"وعلوا خاصا: وهو الاستواء على العرش، وهو مما لا يدرك بالعقل، فلا يثبت إلا بالسمع، ولذلك **قال أهل العلم: علو الذات:** صفة ذات معنوية، بينما الاستواء على العرش صفة فعل خبرية، أو وصف فعل خبري يتعلق بمشيئة الله، ﷻ، وفعله: "استوى" فعل مرتبط بزمن، فالله ﷻ يستوي على عرشه متى شاء كيف شاء، استواء يليق بجلاله لا تدرك العقول كنهه

---

(1) من آيات العلو، موقع الجامع (مقال).

(2) العثيمين، شرح العقيدة الواسطية (ج391/1).

وإن أدركت معناه وسُئل الامام مالك رحمه الله عن الاستواء فقال: **(**الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**)**[1].

قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٨٤﴾ [الزخرف:84].

فإن بعض المشككين قد يستدل بها على وجود الله ﷻ، في السماء، ووجوده في الأرض، على طريقة اللاهوت السماوي والناسوت الأرضي، وهي شبهة يردها سياق الآية، إذ الآية تثبت كونه ﷻ، إلها في السماء وإلها في الأرض، أي أنه يعبد في السماوات والأرض من جميع خلقه، من الملائكة والانس والجن وجميع المخلوقات الغير عاقلة.

ومن تلك الآيات:

وصف الألوهية: وصف لا يلزم منه تعدد الذوات، كوصف الملك في حق البشر، إذ يصح أن يقال: فلان ملك في العراق، ملك في الشام، ولا يلزم من ذلك أنه بذاته في كلا المصرين في نفس الوقت، وإنما المراد عموم سلطانه في كليهما، فأمره مطاع فيهما، ولا يلزم من ذلك وجوده بذاته فيهما كما تقدم. ولله المثل الأعلى، فإنه ﷻ، الموصوف بالألوهية في السماء وفي الأرض، فيعبده من في السماوات، ويعبده من الأرض، ولا يلزم من ذلك أن يكون حالا بذاته القدسية فيهما، بل هو العلي بذاته عن ذوات خلقه المستوي على عرشه، علوا واستواء يليقان بجلاله، مع كونه الإله المعبود في السماوات والأرض[2].

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله:

وقوله ﷻ:" ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ﴾ [الزخرف:84]، يقول تعالى ذكره: والله الذي له الألوهية في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته. يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئا غيره. فهو خبر يتضمن إنشاء الأمر بعبادته فإذا كان هو الإله المعبود بحق في السماوات وفي الأرض، فلازم ذلك أن يفرد بالعبادة فرعاً على استحقاقه تمام العبودية" [3].

ويقول القاضي الباقلاني [4] رحمه الله: فيما رواه عنه ابن القيم.

---

(1) الذهبي، مختصر العلو للعلي الغفار (ص141).

(2) من آيات العلو، موقع الجامع (مقال).

(3) الطبري، تفسير الطبري (ج22/659).

(4) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي. فقيه بارع، ومحدث حجة، ومتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة وطريقة الأشعري. انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق في عصره. كان قائد الكتيبة في الحرب التي دارت رحاها بين الدولة العباسية والدولة الفاطمية. وكان لقلمه الأثر القوي في تمزيق حجج الفاطميين. كان رحمه الله ذكيًا، غاية في الذكاء والفطنة وكان مسدداً في نقاشه، محافظاً على كرامة الإسلام، عفيفاً في لفظه، (338–403 هـ، 950 – 1013م). (سير أعلام النبلاء: ج13/ص11).

"المراد أنه إله عند أهل السماء وإله عند أهل الأرض كما تقول العرب فلان نبيل مطاع في المصرين أي عند أهلهما وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة"[1].

ويقول الآجري [2] رحمه الله:

"ومما يلبسون به على من لا علم معه: قوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام:3]، وبقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف: 84]، وهذا كله إنما يطلبون به الفتنة كما قال الله ﷻ: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران:7].وعند أهل العلم من أهل الحق قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾[الأنعام:3]، هو كما قال أهل العلم: مما جاءت به السنن إن الله ﷻ على عرشه، وعلمه محيط بجميع خلقه، يعلم ما يسرون وما يعلنون، يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ٨٤﴾ [الزخرف: 84]، فمعناه: أنه جل ذكره إله من في السماوات، وإله من في الأرض، إله يعبد في السماوات، وإله يعبد في الأرض، هكذا فسره العلماء" [3].

وتذييل الآية بصفة العلم: قرينة على عموم علم الله ﷻ، لكل ما في السماوات وما في الأرض، وذلك معنى أيضاً لا يلزم منه الحلول أو الاتحاد، فالإنسان قد يعلم ما في الشيء دون أن يحل فيه، فيعلم ما في مسكنه من أثاث وحاجيات وإن غاب عنه، ولله المثل الأعلى، فإنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وإن كان بائناً منهما عالياً عليهما.

---

(1) ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية (ج300/2).

(2) هو الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، و(الآجُرّي) بفتح أوله ممدودا، وضم الجيم، وكسر الراء المشددة، نسبة إلى قرية من قرى بغداد يقال لها (الآجُرّ)، ودرب الآجُرِ محلة كانت ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي، يسكنها غير واحد من أهل العلم، وهو الآن خراب قاله ياقوت الحموي في معجم البلدان.

كان الآجري من المحدّثين في بغداد قبل أن يهجرها إلى مكة حيث أقام وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة (330 هــ)، ثم انتقل حاجا إلى مكة سنة ثلاثين وثلاثمائة (330 هــ)، فأعجبته، فقيل "انه سأل الله أن يرزقه الاقامة بها سنة، فأقام بمكة مجاورا ثلاثين عاما حتى كانت وفاته بها.

وكان مولده سنة (280 هــ) ببغداد، أو سنة (264 هــ)، وما يقوي فرضية ولادته سنة (280 هــ) قول الذهبي في السير (135/16): مات بمكة في المحرم سنة ستين وثلاثمائة. وكان من أبناء الثمانين، وعلى هذا فيكون مولده سنة (280هــ) تقريباً. (وفيات الأعيان للبرمكي: ج292/4).

(3) الآجُرِّيُّ، الشريعة (ج1103/3).

قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [الأنعام:59].

جاء في الخبر أن هذه الآية لما نزلت نزل معها اثنا عشر ألف ملك. وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)** [1]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية)** [2]، والله ﷻ يقول: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل:65]، ومفاتح جمع مفتح، هذه اللغة الفصيحة. ويقال: مفتاح ويجمع مفاتيح. وهي قراءة ابن السميقع [3] "مفاتيح". والمفتح عبارة عن كل ما يحل غلقاً، محسوساً كان كالقفل على البيت أو معقولاً كالنظر" [4].

وإنما يصح استدلالهم بهذه الآية لو كان سياقها: وهو الذي في السماء موجود وفي الأرض موجود، فإن وصف الوجود هو محل النزاع بين مثبت العلو ونافيه، فالأول يثبت وجودين منفصلين: وجود الباري ﷻ، الوجود الكامل الأزلي الأبدي الذي لم يسبقه عدم ولا يلحقه فناء ولا يتخلله نقص، ووجود المخلوق الحادث بعد عدم الصائر إلى الفناء الذي يتخلله من النقص ما يتخلله، فالأول: وجود عال على الثاني بائن منه، فلا يحل الخالق ﷻ، في شيء من خلقه، ولا يحل شيء من خلقه فيه. بينما الثاني يمزج الوجودين فيقول بحلول الكامل في الناقص، أو اتحاده به اتحاداً أزلياً، كما يقول الاتحادية، أو اتحاداً حادثاً، كما يقول النصارى، فكان بائناً من ناسوته ثم حل فيه، فطرأ عليه نقص الوجود البشري الذي لا تنفك عنه أي ذات

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد/ إن الله عنده علم الساعة، ص1013: رقم الحديث 7379].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الايمان/ باب قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى، ص95: رقم الحديث 177].

(3) ابن السميقع: عبد الرحمن بن اسميقع ويقال ابن السميقع ابن وعله السيناني المصري وهو من قراء المسلمين للقرآن الكريم روى عَنِ ابْن عُمَرَ، وَابْن عَبَّاس، روى عَنْهُ مرثد بْن عَبْدِ اللَّهِ اليزني، وجعفر بْن ربيعة، وزيد بْن أسلم، ويحيى بْن سَعِيدٍ الأنصاري، والقعقاع بْن حكيم، ويزيد بْن حديدة الأزدي، ويعمر بْن خالد المدلجي، وغيرهم، وَكَانَ شريفا بمصر فِي أيامه، وله وفادة عَلَى معاوية، وجاز إِلى إفريقية، وبها مسجده، ومواليه. (تهذيب الكمال في علم الرجال للمزي: ج478/17).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج1/7).

بشرية، ولو شرفت وعلت مكانتها، وزال عنه كمال الوجود الإلهي، والآية تشهد لقول المثبت وتدحض قول النافي، فإن الإله المعبود لا بد أن يتميز بالعلو عن عباده، فبقدر علوه عنهم تكون هيبته في نفوسهم، وهذا أمر مشاهد في الآلهة الباطلة، إذ يتبجح فرعون فيقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات:24]، وكأنه علم بفطرته، أن الرب لا بد أن يكون أعلى من المربوب، وعباد الأوثان يحرصون على إضفاء معاني الهيبة على أوثانهم، فيشيدون لها الصروح العالية التي تتطلع إليها الأنظار في ذل وخضوع، بل حتى ملوك الدنيا ممن لا يدعون الألوهية بلسان المقال، وإن لزمهم ذلك بلسان حالهم الآمر بالطاعة العمياء ولو في معصية الله ﷻ، حتى أولئك تجدهم يتخذون عروشاً أو قصوراً عالية، فيترفعون عن رعاياهم، إشباعاً لرغبة العلو في نفوسهم، ولو كانت وهمية، وإذكاء لمشاعر الهيبة في نفوس رعاياهم، وحالهم في ذلك منازعة الله ﷻ في علوه، وإن لم يصرحوا بذلك. وإن تعليل اتخاذ إبليس عرشاً على الماء بتلك الرغبة الجامحة، فقد نازع الله ﷻ أمره الشرعي لما أبى السجود لآدم عليه السلام، ولم يكتف بذلك بل راح ينازع الباري ﷻ علوه، فاتخذ عرشاً يعارض به عرش الرحمن، وصارت قلوب العباد ما بين طائف بعرش الرحمن، وآخر طائف بعرش الشيطان، فالأول: قد سما وعلا بنفسه فهمته نفيسة، والثاني: قد دنا وسفل بنفسه فهمته خسيسة. فإذا كان هذا حال آلهة الباطل، فكيف بالإله الحق جل وعلا أفلا يكون إثبات العلو له أولى من إثباته لأولئك؟.

ومثله استدلالهم بقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام:3]، فيقال فيها أيضا: وهو الله المعبود في السماوات وفي الأرض، فلم يقل: وهو الموجود في السماوات وفي الأرض ليصح استدلالهم، وقد ختم الآية بقرينة تدل على كونه ﷻ، بعلمه في السماوات وفي الأرض، فهو في السماء على عرشه، وعلمه في كل مكان من سماواته وأرضه(1).

والعلو المحمود في حق المسلم هو أن ينافس الناس لما فيه الخير ومرضاة الله تعالى لأن الله ﷻ يريد الخير والعمل الصالح وفي ذلك قال ﷻ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾ [المطففين:26]، التنافس في عمل الخير، والطاعات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، والصدقة، وحضور مجالس العلم والابتعاد عما ينافي مكارم الأخلاق والغيبة والنميمة، لأن علو المسلم وهمته في هذه الأمور يجعله يتعالى على كبريائه في ملذات الدنيا

---

(1) من آيات العلو، موقع الجامع (مقال).

وفسادها، ويسمو بنفسه إلى السمو والرفعة الحميدة التي تجعله إنساناً راقياً بأخلاقه، وعباداته، وعلوه على ذاته بالخير، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه)**[1].

فدعوة مكارم الأخلاق تجعل المسلم في علو مستمر في طاعة الله ﷻ، ويعرف أن التقوى والإيمان هما مقياس الانسان المسلم الذي يتقرب إلى الله ﷻ في كل خير من أجل رضا الله ﷻ وكسب دخول الجنة التي هي أمنية كل موحد وعابد لله تعالى.

فعلو المسلم يكون بالابتعاد عما نهاه الله ﷻ ورسوله، واتباع سبل الخير، فالابتعاد عن الحسد الذي يزرع الحقد والضغينة في نفس المسلم، والتي بسببها يتمنى زوال النعمة التي لحقت بأخيه لأنها لم تصله ولم يكن في خير ونعمة، والابتعاد عن كل الصفات السلبية التي تجعل المسلم يصل إلى منزلقات خطيرة في حياته، تجعله في معزل عن المجتمع والناس بسبب الحقد والغيرة والغرور الذي يصيبه، والإحباط الذي يعانيه، بسبب ملاحقته لهموم الناس ونسيانه لنفسه بأن يتقي الله ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الله ﷻ قدر الأمور لكل شخص؛ فعلى المسلم أن يكون قدوة نافعة تصدح بالحق يكون فيه الخير والمحبة والتوجه السليم في الحياة الإسلامية الكاملة بإذن الله ﷻ.

والعلو المذموم هو علو التكبر والغرور واحتقار الناس والابتعاد عن النهج الإسلامي العظيم الذي يدعو إلى التواضع وعدم الكبر، عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار)** [2].

هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر والاستعلاء على الخلق، ومعناه أن العظمة والكبرياء صفتان لله ﷻ، اختص بهما، لا يجوز أن يشاركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتصف بشيء منهما، وضُرِب الرِّداءُ والإزارُ مثالاً على ذلك، فكما أن الرداء والإزار

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ الهجرة، ص1322: رقم الحديث 5143]؛ [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة الآداب/ تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه، ص1193: رقم الحديث 2564].

(1) [ابن ماجة: سنن ابن ماجة،الزهد/ البراءة من الكبر والتواصع ص694: رقم الحديث4175].صححه الألباني.

يلتصقان بالإنسان ويلازمانه، ولا يقبل أن يشاركه أحد في ردائه وإزاره، فكذلك الخالق جل وعلا جعل هاتين الصفتين ملازمتين له ومن خصائص ربوبيته وألوهيته، فلا يقبل أن يشاركه فيهما أحد، ومن تعالى وتعاظم ودعا الناس إلى مدحه وإطرائه، ووجد من ذلك حلاوة في قلبه وارتاحت بها نفسه، وصار في قلوب الناس له الخضوع والخوف فقد وجب على الله ﷻ حسابه وعقابه لأنه نازع الله ﷻ في كبريائه، والله تبارك وتعالى قادر على ان يذيقه الذل والهوان في الدنيا قبل الآخرة، ويجعله تحت أقدام البشر قال ﷺ: **(يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)**[1].

ويقول الله ﷻ في أمثال هؤلاء: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ٤٣﴾ [فاطر:43]،[2] أي أن المستكبرين والمتعالين يمكرون في الأرض ويحيقون المكر السيء باستغلالهم للضعفاء في الحياة الدنيا، ويجعلونهم يتبعونهم، ويكونون أدوات الفساد والبطش وظلم الناس، خدما لأسيادهم من الطواغيت، ولكن يوم القيامة يتخلون عنهم وينكرون تبعيتهم لهم، وأنهم لم يجبروهم على الاتباع والفساد والظلم الذي كانوا يمارسونه خدمةً لأسيادهم في الحياة الدنيا وكانت الاستجابة من الضعفاء أصحاب الهوى والأحقاد الذين يريدون اتباع صاحب السلطان والجاه يقول ﷻ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٤٩﴾ [غافر48-49].

فالله ﷻ هو الذي يقدر ويحكم ويعرف ما في نفوس البشر، وهو يعرف المتكبر من المتواضع ويعرف الظالم من المظلوم وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، يقول الحق ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ [البقرة:284]، ويقول ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ٥٤﴾ [الأحزاب:54].

وقد قسم ابن تيمية الناس أربعة أقسام[3]**:**

القسم الأول: يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض وهو معصية الله ﷻ وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه. وهؤلاء هم شرار الخلق. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، صفة القيامة والرقائق، ص561: رقم الحديث 2492]. حسنه الألباني.

(2) اسلام ويب (مقال) بدون كاتب.

(3) ابن تيمية، الفتاوى لابن تيمية (ج392/28).

فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾ [القصص:4]. وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يا رسول الله: إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا. أفمن الكبر ذاك؟ قال: لا؛ إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)** (1). فبطر الحق دفعه وجحده. وغمط الناس احتقارهم وازدراؤهم وهذا حال من يريد العلو والفساد.

فهذه الفئة من الناس خرجت عن المألوف، وتعالت، وتكبرت، واستكبرت على الناس، وجعلوهم عبيد، فمن استمر على حاله وديدنه؛ فسيدخله الله النار عقابا وعذابا له على محاربته لله ﷻ واستضعافه للبشر والمساكين من الناس.

القسم الثاني: "الذين يريدون الفساد بلا علو كالسراق والمجرمين من سفلة الناس" (2). هؤلاء هم أصحاب هوى ومطامع شخصية هم يفسدون في المجتمع لمصالحهم ومن أجل الحصول على المال أو أذية الناس أو اتباع هوى شخصي؛ فهؤلاء خطرهم أقل ويمكن السيطرة عليهم وتخفيف خطرهم بالمحاسبة والسجن وإقامة الحدود الشرعية التي تردع مثل هذه الأصناف.

القسم الثالث: يريدون العلو بلا فساد كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس (3).

وهذا القسم من الناس هم أهل الدين والعلماء الذين أنعم الله عليهم به، وهم يريدون أن يكون لهم مكانة بين الناس بعلمهم والجهد الذي بذلوه للوصول لهذه المكانة، فهؤلاء يتصفون بالعلو المحمود إن لم يكن في أنفسهم ريب ومطامع دنيوية ابتغاء هذه المناصب، حتى يقال له عالم ليس من باب العلم إنما من باب الصفة والمدح والعلو المذموم على الناس وأنهم أفضل من الناس بما حصلوا عليه من العلم وقد حذرهم النبي ﷺ إن وصل به الحال ليكون عالما متعاليا، عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقول جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلمت**

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ تحريم الكبر وبيانه، ص55: رقم الحديث 91].

(2) ابن تيمية: الفتاوى (ج392/28).

(3) المصدر السابق.

ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقته فيها لك قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)[1].

القسم الرابع: فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ١٣٩﴾ [آل عمران:139]، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ٣٥﴾ [محمد:35]، وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:8]. وقال ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ٣٢﴾ [الزخرف:32]. فجاءت الشريعة بصرف السلطان والمال في سبيل الله [2].

وهذه هي الصفوة المختارة من الخلق، الذين وهبوا أنفسهم لله تعالى لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، بل يريدون الخير، ويريدون الجنة، ويريدون رضى الله ﷻ ويكونون القدوة الحسنة للمجتمع بأفعالهم قبل أقوالهم.

فكم ممن يريد العلو ولا يزيده ذلك إلا سفولاً وكم ممن جعل من الأعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد؛ وذلك لأن إرادة العلو على الخلق ظلم؛ لأن الناس من جنس واحد فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلى ونظيره تحته ظلم ومع أنه ظلم فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه؛ لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهورا لنظيره وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر ثم إنه مع هذا لا بد له – في العقل والدين – من أن يكون بعضهم فوق بعض كما قدمناه كما أن الجسد لا يصلح إلا برأس. قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ١٦٥﴾ [الأنعام:165][3].

فالله ﷻ يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، ومن تواضع لله ﷻ رفعه ورفع مكانته؛ لأنه من ترك الدنيا أتته راغمة ذليلة ويعطيه الله ﷻ منها الخير الذي يعينه على طاعته،

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ من قاتل للرياء والسمعة استحق النار. ص919: رقم الحديث 1905].
(2) ابن تيمية، الفتاوى: (ج392/28).
(3) المصدر السابق: (ص392).

ويكسب الدنيا والآخرة، ومن جرى خلف الدنيا لم ينل إلا ما قد قدره الله ﷻ له، ولكنه يخسر الدنيا والآخرة، وإن جرى فيها جري الوحوش في البرية.

فإذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإنفاق ذلك في سبيله كان ذلك صلاح الدين والدنيا. وإن انفرد السلطان عن الدين، أو الدين عن السلطان فسدت أحوال الناس، وإنما يمتاز أهل طاعة الله ﷻ عن أهل معصيته بالنية والعمل الصالح، عن النبي ﷺ قال: **(إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)** [1]. ولما غلب على كثير من ولاة الأمور إرادة المال والشرف صاروا بمعزل عن حقيقة الإيمان في ولايتهم[2].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، البر وصلة الأرحام/ تحريم ظلم المسلم وخذله، ص1193: رقم الحديث 2564].

(2) ابن تيمية، الفتاوى، (ج393/28).

المطلب الثاني

مفهوم الفساد ومعناه

أولاً: معنى الفساد لغةً:

الفساد: "الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد"[1]، فسد: الفسادُ: نَقيضُ الصَّلَاح، فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ وفَسُدَ فَساداً وفُسُوداً، فَهُوَ فاسدٌ وفَسيدٌ فيهمَا، ولَا يُقَالُ انْفَسَد وأَفْسَدْتُه أَنا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً﴾؛ نَصبَ فَسَاداً لأَنه مَفْعُولٌ لَهُ أَراد يَسْعَوْن فِي الأَرض للْفَسَاد. قَالَ:

يَمْدُدْنَ بالثُّدِيِّ فِي المَجَاسِدِ ... إِلى الرجالِ، خَشْيَةَ التَّفَاسُدِ

ويقال: "قوم فَسْدَى كما قالوا ساقِطٌ وسَقْطَى، قال سيبويه جمعوه جمع هَلْكى لتقاربهما في المعنى...، وتَفَاسَدَ القومُ تدابَرُوا وقطعوا الأَرحام...، والمَفْسَدَةُ خلاف المصْلَحة...، والاستفسادُ خلاف الاستصلاح...، وقالوا هذا الأَمر مَفْسَدَةٌ لكذا أَي: فيه فساد"[2].

وقيل: "فَسَدَ كنَصَرَ ...، ضِدُّ صَلُحَ فهو فاسِدٌ، وفَسِيدٌ من فَسْدَى ولم يُسْمَعْ: انْفَسَدَ"[3]، "وقد اخْتَلَفت عباراتُهم في معناه فقيل: فَسَد الشيءُ: بَطَلَ واضْمَحَلّ ويكون بمعنَى تَغَيَّر"[4].

وقيل الفساد: "بمعنى الجدب، قال ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ...﴾ [الروم:4].

قيل: الفساد هنا الجَدْب في البرّ والقحط في البحر أَي في المُدُن التي على الأَنهار[5] .

وقيل: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة [6].

ثانياً: الفساد اصطلاحا

قال الطبري: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية"[7] .

قال أبو حيان: " الفساد: التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة"[8].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج503/4).

(2) ابن منظور، لسان العرب (ج335/3 –336).

(3) الفيروزأبادي، القاموس المحيط (ج306/1)؛ انظر الزبيدي، تاج العروس جواهر القاموس (ج496/8).

(4) الزبيدي، تاج العروس جواهر القاموس (ج496/8).

(5)الزجاج، معاني القرآن (ج188/4).

(6) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (ص636)، هارون، المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم (ص156).

(7) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ج297/1).

(8) أبي حيان، البحر المحيط (ج191/1).

وقال المنصوري[1]: "الفساد يتناول جميع أنواع الإثم، فمن عمل بغير أمر الله فهو مفسد"[2].

قال الفخر الرازي: "الفساد خروج الشيء عن كونه منتفعاً به، ونقيضه الصلاح فأما كونه فساداً في الأرض فإنه يفيد أمراً زائداً، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي: أن المراد بالفساد في الأرض إظهار معصية الله تعالى.

وثانيها: أن يقال ذلك الفساد هو مداراة المنافقين للكافرين ومخالطتهم معهم، لأنهم لما مالوا إلى الكفر مع أنهم في الظاهر مؤمنون أوهم ذلك ضعف الرسول صلى الله عليه وسلم وضعف أنصاره، فكان ذلك يجرئ الكفرة على إظهار عداوة الرسول ونصب الحرب له وطمعهم في الغلبة، وفيه فساد عظيم في الأرض.

وثالثها: قال الأصم [3]: كانوا يدعون في السر إلى تكذيبه، وجحد الإسلام، وإلقاء الشبه [4].

يقول الزمخشري: "الفساد: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به، ونقيضه، الصلاح، وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة" [5].

ويقول القرطبي: "الفساد ضد الصلاح وحقيقته العدول عن الاستقامة إلى ضدها" [6].

ويقول ابن كثير: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية" [7].

---

(1) ولد في مدينة حصن بالمنصور عام 1307هـ، واسمه: مصطفى بن ميمش بن الحسين، صاحب تفسير مقتطف من عيون التفاسير توفي سنة 1390هـ ودفن في اسطمبول. انظر: المقتطف من عيون التفاسير ـ مصطفى الحصن المنصوري ـ مقدمة الكتاب (بيد إبراهيم طانيرـ أحد أصدقاء المؤلف).

(2) المنصوري، المقتطف من عيون التفاسير (ص39).

(3) أبو عبد الرحمن حاتِم بن عنوان الأَصَمْ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام أهل السنة والجماعة في القرن الثالث الهجري وهو من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ، صحب شقيق البلخي وكان أستاذ أحمد بن خضرويه. كما زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل. له ابن يقال له خشنام. توفي في واشجرد عند رباط يقال له "رأس سروند" على جبل واشجرد سنة 237 هـ قيل أنه لقب بـ "الأصم" لأن امرأة سألته مسألة، فخرج منها صوت ريح من تحتها، فخجلت، فقال لها: ارفعي صوتك، وأراها من نفسه أنه أصم حتى سكن ما بها، فغلب عليه الأصم. (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ابن الجوزي: ج253/11).

(4) الرازي، مفاتيح الغيب (ج37/2).

(5) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ج179/1).

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج202/1).

(7) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم (ج180/1).

ثالثاً: مفهوم العلاقة بين اللغة والاصطلاح:

فنلاحظ من خلال التعريفات في اللغة والاصطلاح أن هناك تقارب في المعنيين حيث أن مفهوم الفساد هو أمر منبوذ وهو ما لا يوافقه الشرع والعقل وهو مستهجن ومرفوض؛ فإن العقل السليم والنفس السليمة تأبى أن تقبل وتسعى إلى الفساد، "فهو يتناول جميع الشر من المحرمات والمكروهات شرعًا"[1]، لأن النفس البشرية السليمة لا تسعى إلا إلى الخير والصلاح والذي يترتب عليه سعادة الدنيا والآخرة، ويبعد عنه السوء والفساد، والإنسان يرفض صفة الفساد في الأشياء جميعها وينفر منها ويسعى إلى إصلاحها ما أمكنه.

والفساد هو: "كل المعاصي والمخالفات لأحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها، والعمل بها" [2].

"مصطلح الفساد في القرآن الكريم لا يدل على ما هو متعارف عليه في أفكار عامة الناس، إن لفظة الفساد تعني عدم الالتزام بما جاء به الله تعالى في القرآن المجيد من أحكام شرعية التي تتعمق بالسلوك الشخصي للإنسان، كشرب الخمر والزنى وعدم أداء فرائض وسوء الأخلاق وما شابه، إن إشاعة العدالة ونصرة الحق ودفع الظلم هي من أولويات الرجل المؤمن؛ إذ هو في حقيقته خروج عن منهج الله تعالى" [3].

ومصطلح الفساد لا يكون في النواحي الشرعية فقط؛ وإنما يكون في أمور أخرى دنيوية تنطوي تحت الشرع والدين فهناك أنواع متعددة من الفساد التي تنطوي تحت إطار سلطات متفاوتة في المجتمع، إذاً الفساد في الأرض جريمة كبرى، لا تضاهيها جريمة إلا جريمة الشرك بالله ﷻ، وهذه الجريمة جريمة شاملة، تشمل فساد الأنفس، وفساد القلوب، وفساد العقول، وفساد الأرواح، أي الفساد الداخلي والخارجي، لذلك ربطه الله ﷻ بين سلامة القلب وبين سلامة الإنسان في الآخرة لقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩﴾ [الشعراء:88-89]، فالقلب السليم هو القلب الذي يكون بعيداً عن الفساد، عن الأهواء، عن نية الإفساد بين الناس، وعن ما يؤدي إلى فساد في الأرض. لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ ٣٣﴾ [المائدة:33] فالآية الكريمة قرنت وجمعت بين أمرين خطيرين، بين محاربة الله ﷻ، ومحاربة رسوله، وبين الفساد في الأرض.

---

(1) ابن تيمية، الفتاوى (ج83/7).

(2) سيد، سياسة الإسلام في الوقاية والمنع من الفساد (ص21).

(3) الجيوسي، الفساد مفهومه وأسبابه وأنواعه وسبل القضاء عليه (ص177).

من أنواع الفساد:

أولاً: الفساد العقدي: وهو أخطر فساد حيث الشك في الله ﷻ أو الكفر به من أكبر الجرائم التي يرتكبها الإنسان في حق نفسه أولاً؛ وفي حق الله ﷻ ثانياً؛ لأن الله ﷻ خلق الإنسان لعبادته والإيمان به لقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:56].

والفساد العقدي، أيضا هو اعتناق دين غير دين الإسلام الحقّ، من يهودية أو نصرانية أو غيرها من الأديان الأخرى، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:85]، ومن صور هذا الفساد أيضاً: الشرك، وهو إشراك غير الله ﷻ معه في العبادة وإن ادّعى صاحبه أنّه مسلم، فكلّ من دعا غير الله ﷻ أو استغاث بغيره من الأموات والغائبين، أو نذر أو ذبح لغير الله ... الخ فهو فاسد مشرك عياذاً بالله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ٥﴾ [الأحقاف:5].

ثانياً: الفساد المذهبي أو الطائفي: وهو اعتناق مذهب غير مذهب أهل السنّة والجماعة وسلف الأمّة، من باطنية أو خارجية، أو اعتزالية، أو صوفية، أو شيعة، أو المذاهب المنحرفة الضالّة.

ثالثاً: الفساد الفكري: وهو خلل في التفكير ناتج عن الثقة المفرطة في العقل بحيث يظنّ صاحبه أنّه على صواب وهو على خطأ، وأحياناً يتبيّن له الحقّ لكنّه يكابر ويتعامى عنه لهوى في نفسه، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ١٠٣﴾ [الكهف:103] والمذاهب الفكرية كثيرة ومتنوّعة أشهرها (اللادينية)، وهو ما يعرف بالعَلمانية، ثمّ جرى تخفيفها إلى ما يسمّى بالليبرالية ليتقبّلها الناس، وهي التي يرى أصحابها ضرورة فصل الدين عن الحكم، وعن جميع مناحي الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية...الخ.

رابعاً: الفساد الإداري: وهو خلل في الإدارة ناتج عن استغلال المسؤول الإداري منصبه لتحقيق مصالح شخصية أو حزبية، منها: تقديم غير الأكفاء على الأكفاء إمّا لقرابة أو صداقة أو تزلّف لمسؤول أكبر أو لتوافق في الفكر ونحو ذلك، وهو ما يسمّى في لغة العامّة بالمحسوبية، أو بحسب التعبير النبوي الشريف: **(أن يوسّد الأمر إلى غير أهله)** [(1)].

خامساً: الفساد المالي: وهو فرع عن الفساد الإداري، وهو أن يستغلّ المسؤول الإداري منصبه للحصول على مكاسب مالية والاتّجار غير المشروع، ومن صوره: الاختلاس

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ من سال علماً وهو منشغل في حديثه، ص16: رقم الحديث 59].

والارتشاء والغلول والشراكة غير المشروعة. وهذا النوع من أكثر أنواع الفساد انتشاراً في هذا الزمن، حتى بات الكثيرون يشتكون منه.

سادساً: الفساد الأخلاقي والسلوكي: وهو من أشهر أنواع الفساد بحيث لا يحتاج إلى تعريف، وهو يعتمد في الغالب على إخراج المرأة من بيتها، وتشجيعها على التبرّج والسفور والاختلاط بالرجال الأجانب والتمرّد على الأخلاق والدين والقيم، والتمرّد على وليّها، وذلك من شأنه إفساد المجتمع بأكمله، وانشغال أفراده بالشهوات والحرام، والابتعاد عن مكارم الأخلاق [1].

وسيتم التحدث والإسهاب عن هذه الأنواع من خلال البحث.

ويمكن للباحث أن يعرف الفساد بأنه:

هو ما انحدر عن جادة الصواب وخالف ما جاء به الكتاب والسنة في أمور الدنيا والآخرة.

---

(1) انظر بتصرف: المسند، أنواع الفساد في الأرض. (مقال)

الفصل الأول

العلو المحمود

المبحث الأول

علو الأنبياء في الحياة الدنيا

المطلب الأول

علو الأنبياء في مكانتهم

أولا: تعريف النبي والرسول لغة:

تعريف النبي لغة:

من النَّبِيء: المُخْبِرُ عن الله تعالى، وتَرْكُ الهمزِ المختارُ، ومنه: المُتَنبِئ، وهو من ادَّعَى النُّبُوَّةَ، والنَّبِيء: الطريقُ الواضح، والمكان المُرْتَفِعُ المُحْدَوْدَبُ، والنبي بغير همز، فقد قال النحويون: أصله الهمز فترك همزه، واستدلوا بقولهم: مسيلمة نبييء سوء. وقال بعض العلماء: هو من النبوة، أي: الرفعة، وسمي النبي نبياً لرفعة محله عن سائر الناس المدلول عليه بقوله﴿ : ﷻ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم:57]، فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبيء بالهمز؛ لأنه ليس كل منبأ رفيع القدر والمحل، والنبوة والنباوة: الارتفاع، ومنه قيل: نبا بفلان مكانه، والنبي بترك الهمز أيضا الطريق، فسمي الرسول نبياً لاهتداء الخلق به كالطريق [1].

تعريف الرسول لغة:

لغة: أصل الرسل: الانبعاث على التؤدة ويقال: ناقة رسلة: سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه: الرسول المنبعث، وتصور منه تارة الرفق، فقيل: على رسلك، إذا أمرته بالرفق، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول، و"رسول" أي مرسلا، وهو فعول من الرسالة. ...... والرسول يقال للواحد والجمع، قال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:128]، وللجمع قال ﷻ: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:16]، ......وجمع الرسول رسل. ورسل الله تارة يراد بها الملائكة، وتارة يراد بها الأنبياء، فمن الملائكة قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير:19]، وقوله ﷻ: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [هود:81]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [العنكبوت:31]، وقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات:1]، قال ﷻ: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:80] ، ومن الأنبياء قوله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ [آل

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج163/1)؛ الزبيدي، تاج العروس (ج445/1)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج1/ص431)؛ الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن (ص482).

عمران:144]، وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:67]، وقوله ﷻ:﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:48]، فمحمول على رسله من الملائكة والإنس [1].

قال ابن تيمية:" في النبوات"

فالنبي: "هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ [الحج:52]، وقوله "من رسول ولا نبي" فذكر إرسالاً يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول فان هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته الى من خالف الله كنوح"[2].

وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها. ما قيل: "إنَّ من نبأه الله بخبر السماء، أن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول. فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها"[3] .

ويمكن القول أن الرسول هو من أرسل برسالة، وهو إنسان، ذكر، حر، أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه والعمل به، فإن أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي من البشر، والنبي أدنى مرتبةً من الرسول فكل رسول نبيٌ وليس كل نبيٍ رسولاً، وهذا قول جمهور أهل العلم وعامة أهل السنة، وهو الصحيح، وذلك لأدلةٍ كثيرة استدلوا بها على هذا الأصل منها قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ ٍ[الحج :52]، فيُستدل من هذه الآية الآتي:

-أنَّ الإرسال وهو فعل (أَرْسَلْنَا) وقع على الرسول وعلى النبي، فإذاً الرسول مرسل والنبي مرسل؛ لأنّ هذا وقع على الجميع.

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج163/1)؛ الزبيدي، تاج العروس (ج445/1)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج431/1)؛ الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن (ص482).

(2) ابن تيمية، النبوات (ص714).

(3) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية (ص155).

-أنه عطف بالواو فقال ﴿مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾، وأنه عطف ذلك بـــ(لا) أيضا في قوله: (ولا).

أنَّ النبوة ثبتت لآدم ، فآدم كما صح في الحديث (نبي مُكَلَّم) وهناك أنبياء بعد آدم كإدريس وغيره، وجعل الله ﷻ أولي العزم من الرسل خمسة، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه [1].

تعريف الأنبياء والرسل:

الأنبياء والرسل هم رجال اختارهم الله من خيرة البشر فأوحى إليهم بشرع يلتزمون به وأمرهم بتبليغه وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم.

ولا يمكن أن نقول أن النبي غير مأمور والرسول مأمور بتبليغ الرسالة التي حُمِلّها من الله تعالى لقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾[الحج:52]. فالآية تدل على أن النبي والرسول كلاهما مرسل من الله ﷻ لقومه، أو عشيرته، أو أهله، وعليه أن يخبرهم بما أعلمه الله ﷻ به وطلبه منه لقول الله ﷻ: لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:214]، قد تكون الرسالة عامة أو خاصة حسب مكانتها وخصوصيتها من الله ﷻ.

فالأنبياء هم أفضل مخلوقات الله ﷻ، وهم صفوة البشر، أرسلهم الله ﷻ ليبلغوا الناس مصالح دينهم ودنياهم، فهم موصوفون بالأخلاق الحسنة والصفات الحميدة.

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

- موصوفون بالصدق، فيستحيل عليهم الكذب.
- موصوفون بالفطانة، فيستحيل عليهم البلادة والغباوة.
- موصوفون بالأمانة، فيستحيل عليهم الخيانة.
- موصوفون بالعفة، فيستحيل عليهم السفاهة والرذالة.
- موصوفون بالشجاعة، فيستحيل عليهم الجبن.

وهم لا يصابون بالأمراض المنفرة كخروج الدود من أبدانهم ونحو ذلك، ولا يصابون بالجنون، ولا يقعون في الكفر ولا في معصية كبيرة، ولا في معصية صغيرة فيها خسة ودناءة، وهذا كله قبل أن يوحى إليهم وبعد أن أوحي إليهم.

---

(1) الحارثي، الفرق بين النبي والرسول. (مقال)

ثانياً: مكانة الأنبياء عند ربهم:

إن الله ﷻ من حكمته منذ خلق البشرية لم يتركهم سدى، بل رعاهم برعايته الكريمة، ورحمته الواسعة بعباده، فأرسل إليهم رسلاً من أنفسهم، مبشرين ومنذرين ليدعوهم إلى عبادة الله ﷻ، ويأخذوا بأيديهم من الضلال إلى الهدى، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن ضنك الدنيا إلى نعيم الآخرة، وحتى لا يكون للناس حجة على الله ﷻ؛ بأنه لم يرسل لهم من يدعوهم للخير، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويعرفهم بالله ﷻ وشرائعه وكيفية عبادته يقول ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا١٦٥﴾ [النساء:165].

فالأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، كانوا يدعون الناس الى عبادة الله ﷻ وحده وترك الشرك، وعبادة الأصنام، وتنظيم المجتمع على دعائم من التعاون والتراحم، والبر والعدل، يخرجونهم من عبادة الأصنام، إلى عبادة الواحد الديان، يقول ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ٢١٣﴾ [البقرة:213].

قال أبو جعفر: "اختلف أهل التأويل في معنى"الأمة": في هذا الموضع، وفي (الناس) الذين وصفهم الله بأنهم: كانوا أمة واحدة.

فقال بعضهم: هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا همام بن منبه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ [يونس:19]" (1)(2).

---

(1) [النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج596/2: رقم الحديث 4009]. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج275/4).

فالأنبياء لهم مكانة عظيمة عند الله ﷻ فهم الذين جعلهم خلفاء في الأرض، يبلغون رسالته ويعلمون الناس أمور دينهم فالله ﷻ اصطفاهم من بين الخلق، وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً كبيراً، فالله ﷻ اصطفاهم وحباهم وعصمهم من المعصية والخطأ، وجعل الخير في أيديهم برحمته، وجعل لهم المعجزات والأمور الخارقة التي لا يتصف بها أي إنسان، فهم الذين يُعلِمّون الناس كيف تكون الحياة جميلة وكريمة بطاعة الله ﷻ يعلمونهم كيف تكون العبادة، والتعامل مع الناس، والتعامل مع أهل البيت من زوجة وأبناء، وغيرها من أمور الحياة، وجعل الله ﷻ الرسل والأنبياء يأتون الناس على فترات متباعدة حتى يقيم الحجة عليهم قال ﷻ :﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ١٩﴾[المائدة:19]، قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ يعني محمدا ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ انقطاع حجتهم حتى لا يقولوا غدا ما جاءنا رسول. ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي سكون، يقال فتر الشيء سكن. وقيل:" على فترة" على انقطاع ما بين النبيين، عن أبي علي وجماعة أهل العلم، حكاه الرماني، قال: والأصل فيها انقطاع العمل عما كان عليه من الجد فيه والمعنى، أي مضت للرسل مدة قبله. واختلف في قدر مدة تلك الفترة، فذكر محمد بن سعد في كتاب" الطبقات" عن ابن عباس قال: كان بين موسى بن عمران وعيسى ابن مريم عليهما السلام ألف سنة وسبعمائة سنة، ولم يكن بينهما فترة، وأنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل [1].

ونجد هنا دعوة من الله ﷻ لأهل الكتاب أن يتبعوا سيدنا محمد ﷺ بعد انقطاع ووجود فترة بين الرسل؛ ولأن الناس صاروا يغيروا في الأحكام الشرعية والعقائد الصحيحة بسبب انقطاع الرسل أرسل الله ﷻ سيدنا محمد ﷺ ليعيد الدين بأمر الله إلى الاتجاه الصحيح، ويخرجهم من الضلال إلى الهدى ومن الظلمات إلى النور، وهذا مما يدعو إلى الإيمان به، وأنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية والأحكام الشرعية.

"وقد قطع الله ﷻ بذلك حجتهم، لئلا يقولوا: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌۗ﴾ يبشر بالثواب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. وينذر بالعقاب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

---

(1) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج121/6)؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج155/10).

﴿شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ انقادت الأشياء طوعا وإذعانا لقدرته، فلا يستعصي عليه شيء منها، ومن قدرته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأنه يثيب من أطاعهم ويعاقب من عصاهم"[1].

تفاضل الأنبياء والرسل:

مفاضلة الأنبياء والرسل أمر موكول إلى الله ﷻ، ثم إلى رسوله محمد ﷺ دون غيره من البشر، لأن مفاضلة الأنبياء والمرسلين هي أمر خطير، ولأنهم جميعاً اصطفاهم الله ﷻ على خلقه، فهو أعلم بهم من غيره، وهو الذي أعطى كل نبي ورسول معجزة ومكانة خاصة به حتى تكون سنداً ومساعدة له في الدعوة إلى الله ﷻ، ولتبيين الحقائق لمن يدعوهم وليكون في يده أمر خارق للعادة ليقنع به الناس من حوله.

يقول الحق ﷻ: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَـكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾[البقرة:253].

"ونص الله في هذه الآية على تفضيل بعض الأنبياء على بعض وذلك في الجملة دون تعيين مفضول...، فإذا كان هذا التوقف فيه لمحمد وإبراهيم ونوح فغيره أحرى، فربط الباب أن التفضيل فيهم على غير تعيين المفضول، وقد قال أبو هريرة ﷺ: خير ولد آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم أولو العزم والمكلم موسى صلى الله عليه وسلم" [2]،[3].

قال ﷻ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ أي كليم الله ﷻ موسى ﷺ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ يعني محمداً ﷺ، قال البغوي رحمه الله: "وما أوتي نبي آية إلا وقد أوتي نبينا مثل تلك الآية وفضل على غيره بآيات مثل: انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع

---

(1) السعدي، تفسير السعدي (ج277/1).

(2) قال البزار: لاَ نعلمُ رواه عن عدي إلاَّ حمزة. *أخرجه البزار في مسنده برقم (2368) "كشف الأستار" وابن الأعرابي في معجمه – ج 1/ص89. ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق – (ج 62 / ص 271) والخلال في السنة، ج1/ ص348). والبيهقي في دلائل النبوة: ح2236 عن أبي هريرة قال: «خير بني آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وخيرهم محمد عليهم السلام»، وأخرجه الحاكم في المستدرك: 2/ 546. بلفظ: سيد الأنبياء خمسة، ومحمّد صلى الله عليه وسلم... الحديث. قال الحاكم: صحيح الإسناد وإن كان موقوفا، وأقره الذهبي في التلخيص. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:8/ 255. وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. قال البزار: لاَ نعلمُ رواه عن عدي إلاَّ حمزة. وأخرجه أبو عمر الداني في كتاب علم الحديث بإسناده من طريق حمزة الزيات، وقال: لا يَجُوزُ أَنْ يُقَال بِالرَّأْيِ وَالاسْتِنْبَاطِ إِنَّمَا يُقَالُ مِثْلُ هَذَا عَلَى التَّوْقِيفِ فَلَذَلِكَ دَخَلَ فِي جمْلَةِ الْمُسْنَدِ لأَنَّ الصَّحَابِيَّ لا يَقُولُ مِنْ رَأْيِهِ.

(3) أنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج338/1).

على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى، وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء وأهل الأرض عن الإتيان بمثله" (1).

ويتبين من هذه الآيات في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء:55]، فالأنبياء والرسل لا شك أن بعضهم أفضل من بعض، فالرسل أفضل من الأنبياء، وأولوا العزم من الرسل أفضل ممن سواهم، وأولو العزم من الرسل هم الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى في آيتين من القرآن إحداهما في سورة الشورى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى:13]. والثانية سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا٧﴾ [الأحزاب:7] محمد عليه ﷺ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم، وسيدنا محمد ﷺ هو أفضل الرسل، لأنه هو من أمَّ الأنبياء في بيت المقدس في رحلة الإسراء، وهو من رفعه الله ﷻ إليه يوم الإسراء والمعراج وهوما زال على الحياة الدنيا، وهو من ختم به الرسالة، وهو من أرسله للناس كافة.

وهذا التفضيل عند الله ﷻ يكون حسب معجزة النبي التي وهبها الله ﷻ له وحسب مكانته عند قومه وحسب الصبر في الدعوة إلى الله ﷻ، وما لاقى هذا النبي من عناء ومشقة الدعوة إلى الله ﷻ.

"والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما مُنح من الفضائل، وأُعطي من الوسائل" (2).

وقفة مع الآيات:

كيف نجمع بين قوله ﷻ: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ وقوله ﷻ : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾؟.

المعنى لا نفرق بينهم في الإيمان بل نؤمن أنهم كلهم رسل من عند الله ﷻ حقاً، وأنهم ما كذبوا فهم صادقون مصدقون، وهذا معنى قوله ﷻ :﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ أي في الإيمان فنؤمن أنهم كلهم عليهم الصلاة والسلام رسل من عند الله ﷻ حقاً.

(1) البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل (ج308/1).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج249/3).

"لكن في الإيمان المتضمن للاتباع هذا يكون لمن بعد الرسول محمد ﷺ خاص به ﷺ لأنه ﷺ هو المتّبع لأن شريعته نسخت ما سواها من الشرائع، وبهذا نعلم أن الإيمان يكون للجميع كلهم، نؤمن بهم وأنهم رسل الله ﷻ حقاً، وأما بعد أن بُعث الرسول ﷺ فإن جميع الأديان السابقة نُسخت بشريعته ﷺ، وصار الواجب على جميع الناس أن ينصروا محمداً ﷺ، ولقد نسخ الله ﷻ بحكمته جميع الأديان سوى دين الرسول ﷺ" (1).

وعلى ذلك ينبغي استنباط أسس التفاضل من الكتاب والسنة وفهم عدم التفريق بين الأنبياء والمرسلين، هو النهي عن إطلاق ألسنة البشر فيه فيتناولوه بآرائهم وأفكارهم فيقعوا في أنبياء الله كما وقع أهل الكتاب فيهم فنسبوا إلى بعضهم ما لا يليق بهم كالكذب والسكر والزنا بالنسبة لإبراهيم ونوح ولوط وداود ورفعوا بعضهم إلى مرتبة الألوهية كالعزير وعيسى بن مريم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

مكانة الأنبياء عند سيدنا محمد ﷺ:

للأنبياء مكانة عظيمة عند رسول الله ﷺ، فهو يحبهم ويجلهم ويقدرهم، ولذلك كان لا يفرق بينه وبين أي نبي ويدعو لعدم التفريق بينه وبين أي منهم بل إنه ﷺ خصّ نفسه بعدم التفضيل فقال ﷺ :**(لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاء)** (2) وقال ﷺ: **(لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)**(3).

وهذا أمر من النبي ﷺ في عدم التفريق والتخيير بين الأنبياء أنفسهم وبينه وبين الأنبياء جميعاً؛ لأن كل نبي له مكانته الخاصة عند الله وعند رسول الله ﷺ والتي هوأعلم بها من البشر أنفسهم وقد أمر النبي ﷺ بهذا حتى لا تحدث الفتن بين المسلمين في خصوصية الأنبياء، ولا حتى بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، كما حدث في قصة اليهودي الذي أقسم برب موسى عليه السلام أمام المسلمين وفي زمن النبي ﷺ مما أدى إلى غضب المسلم وضربه لليهودي، فغضب الرسول ﷺ لصالح اليهودي وليس لصالح المسلم.

فقد روى أبو هريرة ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ فَقَالَ: لا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ. فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ: تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟!فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إنّ لي ذمّةً وعهداً، فما بال فلانٍ لطم وجهي؟ فقال ﷺ: (لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟!) فذكره،

---

(1) العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ج331/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الديات/ إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب، ص951: رقم الحديث 6916]

(3) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الخصومات/ ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهود. ص319: رقم الحديث 2411]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ من فضائل موسى، ص 1114: رقم الحديث 2374].

فغضب النبي ﷺ حتى رُئِيَ في وجهه ثم قال ﷺ: **(لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلاَ أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)** [1].

إن رسول الله ﷺ لا يتحرج أن يذكر مثل هذه الحقائق، وبخاصة في هذا الموقف الذي فيه خلاف بين مسلم ويهودي، لقد تناسى النبيُّ ﷺ تماماً قصة هذا النزاع، وتذكر أخاه في النبوة موسى عليه السلام، فانبرى مدافعًا عنه، رافعًا من شأنه.

فنجد حرص النبي ﷺ في عدم التفريق بينه وبين الأنبياء، وأنهم سواسية عنده وقد انتصر لليهودي على المسلم في هذا الأمر وغضب غضباً شديداً، حتى أن رسول الله ﷺ يعتبر نفسه والأنبياء الذين سبقوه كحلقات في سلسلة واحدة، أو كلَبِنَاتٍ في بناء واحد، يكمل كل منهم الآخر، واكتمل البناء وحسن مظهره بخاتم الأنبياء محمد ﷺ ومن ثَمّ فلا مجال للتنازع أو الصراع أو التنافس أو المفاضلة بين الأنبياء، قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)** [2].

ومن ثَم فنحن نعترف كل الاعتراف بمن سبقنا على الطريق، وإننا لا نبالغ حين نقول: إننا نحب الأنبياء أكثر من حب أتباعهم لهم، ونُقَدِّر مكانتهم زيادة على أقوامهم!

ونجد أن رسول الله ﷺ، قد سأل عندما وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء عن هذا اليوم فقالو إن هذا اليوم قد نجّى الله ﷻ فيه موسى عليه السلام وأتباعه من فرعون؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: **مَا هَذَا؟**، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: «**فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ**»، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ) [3] .

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الأنبياء/ وإن يونس لمن المرسلين، ص466: رقم الحديث 3414].

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الخصومات/ ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهود، ص319: رقم الحديث 2411]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ من فضائل موسى، ص1114: رقم الحديث 2374].

(3) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، مناقب الأنصار/ إتيان اليهود النبي؟ حين قدم المدينة، ص537: رقم الحديث 3943]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الصيام/ باب صوم يوم عاشوراء، ص504: رقم الحديث 1130].

فالرسول ﷺ يرى نفسه أحق من بني إسرائيل بموسى عليه السلام، كما أنه سعيدٌ بنجاة بني إسرائيل من عدوهم فرعون إلى الدرجة التي يصوم فيها لله شكراً على هذه النعمة، بل يأمر الأمة الإسلامية جميعًا بالصيام لفرحه بنجاة موسى عليه السلام.

وقد قال نفس ذلك الكلام في حق عيسى عليه السلام، فعن أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: **(أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ[1]أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)**[2] .

وفي مدحه لسيدنا إبراهيم عليه السلام وجعل له مقام عالياً فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يخاطبه بخير البرية، فعن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قالَ: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا خيرَ البريةِ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **(ذاكَ إبراهيمُ عليه السلامُ)** [3].

وفي مدحه لسيدنا يونس عليه السلام حيث أن يونس عليه السلام عندما دعا قومه ولم يستجيبوا له تركهم وذهب في السفينة بعد أن هددهم بالعذاب لأنهم لم يستجيبوا له فعاتبه الله ﷻ على ذلك وقالَ ﷺ: **(لا ينبغي لعبدٍ أنْ يقولَ: أنا خيرٌ من يونسَ بن متّى)** [4].

ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاقتداء بالرسل والأنبياء السابقين في تحمل الأذى والصبر والحلم وكل الخصال الحميدة، ولأنهم أهل الهدى والتقوى وذلك مصداقاً لقول الله ﷻ: **﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ٩٠﴾** [الأنعام:90].

لذلك تذكر رسول الله ﷺ سيدنا موسى عليه السلام حينما اعترض رجل من الأنصار على قسمة رسول الله ﷺ للغنائم يوم حنين، فقد آثر رسول الله ﷺ أناساً في القسمة دون غيرهم. فعن منصور عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: (لما كان يوم حنين آثر النبي أناساً في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة، قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد

---

(1) والإخوةُ في اللّغة: إخوةُ أَشِقّاء أو إِخْوَةُ أَخْياف أو إِخْوَةٌ لِعَلات. ومعنى إخوةٌ لِعلّات: الذينَ أَبُوهُم واحِدِ لكنْ أُمّهَاتهُم مختَلفَة.

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الأنبياء/ (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها)، ص471: رقم الحديث 3443].

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/ من فضائل ابراهيم الخليل، ص1111: رقم الحديث 2369].

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الأنبياء/ واذكر في الكتاب موسى، ص462: رقم الحديث 3395].

بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله فأتيته فأخبرته، **فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)** [1].

هذه هي مكانة هؤلاء الأنبياء الكرام في عين رسول الله ﷺ.

وحتى عندما كان يتمنى من نبيٍّ فعلاً غير الذي فعل، كان يُقَدِّم أمنيته بالدعاء له.

فتجده – مثلاً– عندما يتمنى أن لو كان موسى عليه السلام قد صبر في رحلته مع الخضر يقول: **(يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتّى يُقَصّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا)**[2].

وهنا يبين النبي ﷺ حبه لسيدنا موسى عليه السلام، وود لو صبر حتى يتعلم، ويعلمنا من أمور الدنيا وأحكام الطاعات، والعبادات، وبعض علوم الغيب التي كان النبي ﷺ يريد أن يتعلمها موسى عليه السلام من الرجل الصالح ويعرفها النبي ﷺ حتى يعلمها للمسلمين تعلماً وتقرباً لله عز وجل.

وعندما رأى أن هناك كلمة أولى من الكلمة التي قالها لوط وحكاها عنه القرآن الكريم عندما قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [هود:80]، قال رسول الله ﷺ: **(يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ)**[3] .

"أي: لكنت نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل من العذاب والنقمة وإحلال البأس بكم بنفسي وعشيرتي، ولهذا ورد في الحديث، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(رحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد – يعني: الله عز وجل –فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه" فعند ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليهم وأنهم لا وصول لهم إليه)**"[4] [5].

فسيدنا لوط عليه السلام لم يكن له عشيرة، أو ولد يستند عليه ليحارب الكفار، وينكل بهم بسبب أفعالهم الشنيعة التي يفعلونها، ولم يسبقهم بها أحد من الأقوام السابقة والتي لا تليق بطبيعة الانسان، الذي خلقه الله وكرمه وفضله على العالمين، ولذلك التجأ إلى الله عز وجل لينصره

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، فرض الخمس/ ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ص:427: رقم الحديث 3150]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الزكاة/ إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، ص470: رقم الحديث 1062].

(2) [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ ما يستحب للعالم إذا سئل. ص26: رقم الحديث 122]؛ [مسلم، صحيح مسلم كتاب الفضائل: باب من فضائل الخضر عليه السلام: ص1116: رقم الحديث 2380].

(3) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الأنبياء/ (نبئهم عن ضيف إبراهيم). ص458: رقم الحديث 3372]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ص79: رقم الحديث 151].

(4) [البخاري: الأدب المفرد، من دعا في غيره من الدعاء. ص206: رقم الحديث 605]. حسنه الألباني.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج338/4).

ويحميه، ويحمي ضيوفه من بطشهم، فنزل الخبر من السماء عن طريق المرسلين أنهم لن يصلوا إليه لأنهم رسل الله ﷻ، وأن الله ﷻ، منجيه وعشيرته إلا امرأته فإنه مصيبها ما سيصيب قومه.

ومن هنا نجد أن الإيمان بجميع الأنبياء وتعظيم واحترام جميع أنبياء الله ﷻ وجميع كتب الله السماوية؛ إنما هو أثر من آثار بركة الإسلام الحنيف، وأقوى الأدلة على أنه دين الحق؛ لأنه لا يفرق بين أحد من الأنبياء والمرسلين وكلهم سواسية في حبهم والإيمان بهم وبرسالتهم.

قال ابن تيمية رحمه الله:

"فنؤمن بما سمّى الله في كتابه من رسله، ونؤمن بأن لله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، ونؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل؛ إيمانك بسائر الرسل: إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد: إقرارك به وتصديقك إياه دائباً على ما جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به أدّيت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرّمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات"[1].

ويقول: "فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم، هو دين الإسلام؛ وهو عبادة الله وحده لا شريك له. وعبادته تعالى في كلّ زمان ومكان بطاعة رسله – عليهم السلام – فلا يكون عابداً له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله، كالذين قال فيهم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى:21]. فلا يكون مؤمناً به إلا من عبده بطاعة رسله، ولا يكون مؤمناً به ولا عابداً له إلا من آمن بجميع رسله، وأطاع من أرسله إليه، فيطاع كل رسول إلى أن يأتي الذي بعده، فتكون الطاعة للرسول الثاني"[2].

"فيدل ذلك على الإيمان المطلق بجميع الأنبياء والمرسلين، ممن ذكرهم الله لنا وممن لم يذكرهم بلا تفريق ولا تفاضل وتكريم وإن كل رسول ونبي جديد يؤمر الإنسان باتباع نهجه لأنه جاء بما سبق من رسالة وزاد عليها والطاعة تكون للرسول الأخير الذي يأتي للناس جميعا، وتكون طاعة النبي الثاني هي طاعة للأول لأن الأنبياء والرسل يكمل كل منه الآخر في دعوة ورسالة السماء للبشرية جمعاء. فتكون الطاعة للرسول الثاني طاعة للأول قال ﷻ:

---

(1) ابن تيمية، النبوات (ج38/1).

(2) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (ج1/ 83-84).

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء:80]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:64]، ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافرا" [1].

مكانة سيدنا محمد ﷺ عند ربه:

محمد بن عبدالله ﷺ، هو عبدالله ورسوله، ومصطفاه وخليله اجتباه ربه ليكون بشيراً ونذيراً للعالمين، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب:45]، ويقول ﷻ: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥﴾ [الإسراء:105]. وهَديته في هذه الحياة ورحمته للناس أجمعين؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:107] هو العبد الذي تشرَّف بكمال العبوديَّة لمولاه، والبشر الذي قرَّبه ربه وأدناه، ورفع مَقامه على الناس أجمعين، يقول ﷻ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾[الشرح:4]، ويقول ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:79]، وختَم به الأنبياء والمرسلين، ويقول ﷻ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾ [الأحزاب:40].

"وإذا أردنا أن نقف على مكانة النبي ﷺ فلنقف أولاً مع مكانته عند ربه ﷻ فالله ﷻ اصطفاه وزكَّاه على خَلْقه أجمعين فنجد أن الله ﷻ زكاه ووصفه بأوصاف طيبة في كل أمر له فقد زكاه في عقله؛ فقال ﷻ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النجم:2].

وزكاه في نُطْقه؛ فقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣﴾ [النجم:3].

وزكاه في علمه؛ فقال ﷻ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم:5].

وزكاه في قلبه؛ فقال ﷻ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم:11].

وزكاه في بصره؛ فقال ﷻ: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧﴾ [النجم:17].

وزكاه في ظهره؛ فقال ﷻ: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣﴾ [الشرح 3-2].

وزكاه كلَّه؛ فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم 4]"[2] .

بل إن الله ﷻ عندما كان يخاطب النبي ﷺ كان يخاطبه ويناديه بشرف النبوة والرسالة؛ فقال ﷻ:: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء:1].

(1) آل مهدي، التحفة المهدية في شرح العقيدة التدمرية (ص 345).

(2) عبد السلام، مكانة النبي ﷺ، (مقال).

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾ [المزمل:1].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ١﴾ [المدثر:1].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ٤١﴾ [المائدة:41].

وعندما أخبر الله ﷻ عن النبي ﷺ مُعرِّفًا به ذاكرًا اسمه المجرد قَرَن اسمه بالرسول، فقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح:29]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [آل عمران:144].

بينما نادى الله ﷻ على جميع أنبيائه بأسمائهم المجردة؛

فقال ﷻ: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾ [البقرة:35].

وقال ﷻ: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ [هود:48].

وقال ﷻ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات:104-105].

وقال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:144].

وقال ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران:55].

ثم إن الله ﷻ تعبَّدنا أيضاً بالصلاة والسلام على النبي ﷺ وبدأ بنفسه؛ فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا٥٦﴾ [الأحزاب:56].

كما أن الله ﷻ تَكرِمة لمحمد ﷺ لا يوقِع العذاب بقوم قد استحقوا العذاب لوجود ﷺ بينهم؛ فقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ٣٣﴾ [الأنفال:33].

فانظر إلى هذا الاصطفاء، وهذه المنزلة للنبي ﷺ عند ربه جل وعلا، وجلَّى الله تعالى هذه المنزلة وهذا الاصطفاء وبيَّنه أيما بيانٍ حينما أراد الله أن يُكرِّم نبيه ﷺ ويُسرِّي عنه ويُواسيه، فاستضافه عنده فوق سبع سماوات، وذلك في رحلة الإسراء والمعراج، فما أعظمَها من مكانة، وما أسماها من مَنزلة! ولكنها حق من الحق لحبيب الحق ﷺ.

ثم إن الله ﷻ قد اختصَّ نبيَّه ﷺ بأمور في ذاته في الدنيا إضافة إلى ما ذُكِر؛ فالله ﷻ أخذ له العهد والميثاق على النبيين، وختَم الله ﷻ به الأنبياء والمرسلين كما أن الله ﷻ جعَل رسالتَه للناس كافة، وجعله الله ﷻ رحمةً مُهداة، وكما بيَّنا من قبل أن الله ﷻ أيَّده بالمعجزة الخالدة الباقية، ألا وهي القرآن الكريم، كما أن الله ﷻ تعالى قد اختصَّه بأمور في

ذاته في الآخرة؛ مثل الوسيلة والفضيلة والشفاعات العظمى والكوثر والحوض، وأنه أول مَن تُفتَح له أبواب الجنة وغير ذلك [1].

وكذلك اختصَّ الله ﷻ أمتَه بأمور في الدنيا منها الخيريَّة؛ فجعلها خيرَ أمةٍ أُخرِجت للناس، وأحلَّ الله لها الغنائم، وتَجاوَز لها عن الخطأ والسهو والنسيان، وحفظها الله من الاستئصال، واختصَّها كذلك بيوم الجمعة وغير ذلك، وكذلك اختَصَّ الله أمته بأمور في الآخرة؛ منها أنها ستكون الأمة الشاهدة على باقي الأمم، وأنها أول مَن تجتاز الصراط، وأنها تتميَّز بين سائر الأمم بالغُرِّ المُحجَّلين، وهي أكثر أهل الجنة، وهي الأمة الآخرة السابقة في دخول الجنة، إلى غير ذلك؛ فهذه إشارة عابرة لبيان مكانة ومنزلة النبي ﷺ عند ربه تعالى.

ومن الأمور العظيمة التي أكرم بها سيدنا محمد ﷺ، رحلة الإسراء والمعراج والتي كانت في وقت محنة أعطاه الله ﷻ تلك المنحة ورفعه إلى السماوات العُلى بعد أن أسرى به إلى المسجد الأقصى وأم النبيين جميعاً تشريفاً وتكريماً له ﷺ، فقال ﷻ: **﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾** [الإسراء:1]. فهذه كرامة وتعظيم لسيدنا محمد ﷺ بأن جعل له أمراً لم يكن لأحد من الأنبياء من قبله، وهو الصعود إلى السموات العلى عند سدرة المنتهى ليلاقي ربه ﷻ ويعطيه اكبر هدية للمسلمين وهي الصلاة.

وقد قال النبي ﷺ أن الله أعطاه خمسة أمور لم يعطهن وهذه كرامة عظيمة للنبي ﷺ ولأمته، وهذا دليل على عظمة النبي عند الله ﷻ وتسهيل بعض أمور الحياة للمسلمين، قال النبي ﷺ: **(أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)** [2].

---

(1) عبد السلام، مكانة النبي ﷺ (مقال).

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، التيمم/التيمم ص52: رقم الحديث 335]؛ [مسلم، صحيح مسلم: المساجد ومواضع الصلاة، ص236: رقم الحديث 521].

وقال ﷺ في حديث آخر: **(فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ)** [1].

فحبيبنا محمد ﷺ يصف مكانه بين الأنبياء، ويقول أنه مكمل الأنبياء في الدعوة إلى الله ﷻ، وأنه اللبنة الأخيرة التي تبين جمال الكمال في سلسلة الأنبياء، ووصف نفسه كاللبنة الأخيرة التي تجمل البناء وتتممه، وتجعله مزينا وجميلا يبهر الأبصار.

فقال ﷺ: **(مثلي، ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة)** [2].

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، السير عن رسول الله/ ما جاء في الغنيمة، ص: رقم الحديث 1553]. صححه الألباني.

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ خاتم النبيين محمد ﷺ، ص482: رقم الحديث 3534]؛ [مسلم، صحيح مسلم: الفضائل/ ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ص1085: رقم الحديث 2287].

المطلب الثاني

عصمة الأنبياء

أولا: تعريف العصمة لغة واصطلاحاً:

العصمة لغةً:

(عصم) العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة. قال ﷻ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:103] والمعنى في ذلك كله معنى واحد. من ذلك العصمة: أن يعصم الله – تعالى – عبده من سوء يقع فيه، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٠١﴾ [آل عمران:101]، أي يلتزم ويتمسك بأوامر الله.

. واعتصم العبد بالله – تعالى –، إذا امتنع. واستعصم: التجأ. قال ﷻ: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِۚ ﴾ [هود:43]، والعِصْمة: الحِفْظُ. يُقَالُ: عَصَمْتُه فانْعَصَمَ، وعصمه الطعام: منعه من الجوع،وتقول العرب: أعصمت فلانا، أي هيأت له شيئا يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ ويتمسك به. وأصل العصمة الحبل، وكل ما أَمْسَك شيئاً فقد عَصَمَهُ قال النابغة:

يظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة من خوف ومن رعد

العصْمَةُ: المَنَعةُ. والعاصمُ: المانعُ الْحَامِي. والاعْتِصامُ: الإمْتِساكُ بِالشَّيْءِ، والعصمة: كل شيء اعتصمت به [1].

ونرى هنا أن معنى كلمة العصمة عند العرب هي الحفظ والإمساك والوقاية والمنع والربط.

العصمة اصطلاحاً:

هي حفظ الله ﷻ ظواهر الأنبياء وبواطنهم عن فعل المنهي عنه من الشرور والأمور الخبيثة والسيئة، ولذلك اتفقت الأمة على أن رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم معصومون فيما يتعلق بتبليغ الوحي، فلا يكذبون، ولا ينسون، ولا يغفلون، وقد تنوعت الدلائل الشرعية على إثبات ذلك في حق نبينا ﷺ –ومثله سائر الأنبياء –من تلك الدلائل ما وعد الله ﷻ به نبيه من عصمته من النسيان، قال ﷻ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ٦﴾ [الأعلى:6] ومنها تزكية الله ﷻ له من جهة البلاغ عنه، قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ٤﴾ [النجم:3–4]. أي أن ما يبلغه للناس هو من عند الله ﷻ ولم يكن من عنده أو من قوله.

---

(1) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (ج4/ص331)؛ ابن منظور لسان العرب (ج403/12)؛ الفيروزأبادي، القاموس المحيط (ج1101/1)؛ الزبيدي، تاج العروس (ج150/33)؛ الزجاج، معاني القرآن (ج159/5).

يقول ابن تيمية رحمه الله:

موضحاً مسألة عصمة الأنبياء: "فإنّ القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر: هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام؛ كما ذكر أبو الحسن الآمدي أنّ هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يُوافق هذا القول"(1).

فالأنبياء معصومون من الكبائر، والكفر، والشرك، والخطأ في تبليغ رسالة ربهم وما أوحي إليهم من ربهم ولا يقع منهم سهو ولا خطأ، وأما الصغائر فقد قال العلماء أن الأنبياء ممكن أن يقعوا فيها ولكن لا يقرون بها ويسارعون في التوبة منها إلى الله ﷻ، وحتى إذا أخطأ النبي سرعان ما يبين الله هذا الأمر ويرشده إلى الصلاح والتقوى والتوبة والاستغفار من الخطأ أو السهو أو النسيان أو التأويل، وهذا الأمر لا يقدح في نبوتهم حيث أن الله ﷻ أعطاهم الاختيار في التوبة والإنابة لله ﷻ.

وفي الصغائر ما حدث مع النبي ﷺ عندما جاءه عبدالله ابن مكتوم ﷺ وتركه وذهب يدعو سادات قريش فعاتبه ربه ﷻ قال ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤﴾ [عبس:1-4]. وكان النبي ﷺ عندما يلقى عبدالله يقول له أهلا بالذي عاتبني فيه ربي، كان النبي ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه، من الذهاب للحرب، فنزل عتاباً له، وقدم العفو تطميناً لقلبه في التخلف ويقول له هل تركتهم لتعرف الكاذب من الصادق منهم قال ﷻ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾ [التوبة:43]. فهذه الأمور لم تنقص من شأن النبي ﷺ حيث أنه اجتهد في هذه الأمور من نفسه وهو ترك الأولى. وذهب بعض العلماء إلى عصمتهم عن الصغائر أيضا، وما ورد عنهم من باب ترك الأولى، وترك الأولى ليس صغيرة.

وقال أيضاً عن أهل السنة: "هم متفقون على أنهم لا يقرون على خطأ في الدين أصلاً، ولا على فسوق، ولا كذب. ففي الجملة: كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله ﷻ، فهم متفقون على تنزيههم عنه. وعامة الجمهور الذين يُجوّزون عليهم الصغائر يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر عنهم ما يضرّهم" (2).

---

(1) ابن تيمية، النبوات (ج874/2)؛ ابن تيمية مجموع الفتاوى: (ج319/4).

(2) المصدرين السابقين.

والله ﷻ أوجب عصمتهم؛ لأن الله ﷻ جعلهم أسوة حسنة، وقدوة عملية لأقوامهم، وأمر باتباعهم فيما يقولون ويفعلون، قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[النساء:64].

قَالَ الرَّاغِب الأصفهاني: "عصمة الله تعالى الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجواهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة، وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق" [1].

وقال شهاب الدين الخفاجي[2]: "لطف الله تعالى يحمل النبي على فعل الخيرات ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء" [3].

ويمكن للباحث تعريف العِصْمة بأنها:

حفظ الله لأنبيائه ورسُلِه من الوقوع في الذُّنوب والمعاصي، والتقّول على الله ﷻ، وارتِكاب المنكرات والمحرَّمات، من كبائر الذنوب، قبل البعثة وبعدها ومما يترك له حق الاختيار.

والعصمة لها عدة أوجه من حيث إسقاطها على الواقع.

أولاً: العصمة من القتل.

ثانياً: العصمة من النسيان والخطأ في التبليغ وذلك يتضمن حفظ العقل من الغياب أو الجنون.

ثالثاً: العصمة من الكفر والمعاصي.

رابعاً: العصمة من الخطأ في فهم الأشياء والحكم عليها.

وهناك سؤال مطروح: فهل كانت العصمة الربانية متحققة بالأنبياء بأوجهها الأربعة؟

والجواب على هذا السؤال يكون كالتالي:

أولا: العصمة من القتل: إن الحفظ من القتل لم يكن للأنبياء جميعاً، وهذا واضح بنص القرآن قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ

---

(1) المطرفي، آيات عتاب النبي ﷺ في العصمة والاجتهاد (ج30/1) باب تعريف الراغب ودلالته.

(2) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (977 - 1067 هـ = 1569 - 1659م) -أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي. (الأعلام للزركلي: ج238/1).

(3) عبداللطيف، عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب (ص31).

﴿يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:61]. وكان هذا الكلام في حق اليهود حيث إنهم قتلوا عدداً كبيراً من الأنبياء.

ولكن هناك أنبياء قد حفظهم الله ﷻ من القتل بعد عدة محاولات لقتلهم:

- سيدنا إبراهيم ؑ، قال ﷻ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩﴾ [الأنبياء:69].
- سيدنا موسى ؑ، قال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢٠﴾ [القصص:20].
- **سيدنا عيسى** ؑ، قال ﷻ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [النساء: 157-158].
- سيدنا محمد ؑ، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٦٧﴾[المائدة:67]. وقد تعرض سيدنا محمد لمحاولة قتل من المشركين واليهود ولكن الله نجاه منهم.

ثانياً: العصمة من النسيان والخطأ في التبليغ: عصمة ربانية.

إن الحفظ الإلهي للرسول والنبي من النسيان والخطأ في التبليغ هو أمر لازم عقلاً لمقتضى الحال من كونه يبلغ عن ربه؛ ولأن أي خطأ في التبليغ تكون آثاره سلبية وخطيرة في الدعوة إلى الله ﷻ، حيث أن المبلغ يجب أن يكون على دراية بما يقول وبما يعمل وبعيداً عن النسيان والتأليف والتقول على الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ٦﴾ [الأعلى:6].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم:3-4].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر:9].

فالحفظ إنما هو لمادة الوحي وذلك يقتضي ضرورة حفظ النبي من غياب الوعي والإدراك، أو الإصابة بأي مرض نفسي مثل الاكتئاب والسحر، أو الإصابة بأي مرض جسمي يحول بينه وبين دعوة الناس مثل مرض الجزام، لأن ذلك يقدح في مادة الوحي فاقتضى حفظه من الله ﷻ عن كل أمر ينفر منه لناس أو يؤدي إلى ضجرهم.

قال ابن تيمية رحمه الله:

"فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله ﷻ فلا يكون خبرهم إلا حقا وهذا معنى النبوة وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبئ الناس بالغيب والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه" [1].

فجميع الأنبياء معصومون في نقل ما أخبر به الوحي أو أوحي إليهم من ربهم الحق، لأن الفطرة السليمة في داخلهم جبلت على ذلك، وتمكنت منهم أنوار الطاعة التي جعلتهم يبلغون ما أنزل إليهم من ربهم الحق، حتى يصل الدين والشريعة السمحاء صافية نقية إلى جميع البشر.

يقول الشيخ مصطفى المراغي[2] **شيخ الجامع الأزهر** " إنّ الوحي لا يلازم الأنبياء في كلّ عمل يصدر عنهم، وفي كلِّ قول يبدر منهم، فهم عرضة للخطأ، يمتازون عن سائر البشر بأنّ الله ﷻ لا يقرّهم على الخطأ بعد صدوره، ويعاتبهم عليه أحياناً " [3].

"هذه الصغائر التي تقع من الأنبياء لا يجوز أن تتخذ سبيلاً للطعن فيهم، والإزدراء منهم، فهي أمور صغيرة ومعدودة غفرها الله لهم، وتجاوز عنها، وطهرهم منها، وعلى المسلم أن يأخذ العبرة والعظة لنفسه من هذه، فإذا كان الرسل الكرام الذين اختارهم الله ﷻ واصطفاهم عاتبهم الله ﷻ ولامهم على أمور كهذه، فإنّه يجب أن نكون على حذر وتخوف من ذنوبنا وآثامنا، وعلينا أن نتأسى بالرسل والأنبياء في المسارعة إلى التوبة والأوبة إلى الله ﷻ، وكثرة التوجه إليه واستغفاره" [4].

والصغائر تجعل الأنبياء يعودون إلى ربهم ويستغفرونه، ويتوبون إليه؛ فكان الاستغفار والتوبة من حال الأنبياء، فسيدنا نوح يقول لقومه: قال ﷻ: ﴿**فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ١٠**﴾ [نوح:10]، وهذا آدم عليه السلام يطلب من ربه أن يغفر له بعد أن عصاه في أكل الشجرة قال ﷻ: ﴿**فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧**﴾ [البقرة:37]، وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه بالمغفرة والتوبة قال ﷻ: ﴿ **رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨**﴾ [البقرة:128]، وهذا

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج7/18).

(2) محمد مصطفى المراغي عالم أزهري وقاض شرعي مصري، شغل منصب شيخ الأزهر في الفترة من 1928 حتى استقالته في 1930 ثم تولى المشيخة مرة أخرى عام 1935 وحتى وفاته في ليلة 14 رمضان 1364 هـ الموافق 22 أغسطس 1945 : (ت1881– 1945) صعيد مصر.(الأعلام للزركلي: ج258/1).

(3) هيكل، حياة محمد (ص11) مقدمة الشيخ المراغي.

(4) الأشقر، الرسل والرسالات (ص112).

حبيبنا محمد يتوب إلى الله ويستغفره كل يوم أكثر من سبعين مرة؛ فيقول ﷺ: **(والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)**(1). فهذا دليل على أن الأنبياء إذا أخطأوا عادوا بالتوبة والإنابة إلى خالقهم التواب الرحيم.

ثالثا: العصمة من الكفر والمعاصي: عصمة اكتسابيه معرفية.

قبل الخوض في هذا النوع من العصمة، يجب الكلام على مقام النبوة، فالنبوة ليست هي منصباً شكلياً يتم منحها ارتجالاً أو قرعة أو اختياراً، وإنما هي منصب تلزم له مؤهلات وميزات وصفات معينة، فمن يتحقق به ذلك يُرشح لهذا المقام، وعملية الاجتباء والاصطفاء تكون من حق الخالق المدبر فقط، فيختص برحمته من يشاء ، والذي يصقل هذا النبي على هذه الصفات اللازمة التي تكون فيها كل أسباب الدعوة إلى الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك:14].

وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:124].

فيمنح الله ﷻ مقام النبوة للإنسان الذي تم اصطفاؤه من دون الآخرين؛ فيحصل هذا الإنسان المصطفى على مجموعة من الأنباء عن الوجود الموضوعي بحيث يصير عنده علم بمجموعة من الحقائق ابتداءً من أكبر حقيقة في الوجود الموضوعي ألا وهي حقيقة وجود الخالق المدبر، كما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما نظر إلى السماء وأخذ يتفكر في الكواكب والنجوم، قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام:75]، فيدرك ذلك حق اليقين، إضافة إلى بعض الأنباء من الحقائق الموضوعية عن الكون، فيصير هذا الرجل في مقام النبوة، إذاً؛ مقام النبوة هو منصب علمي ومعرفي، وليس منصباً إدارياً أو شكلياً لا محتوى له، فالنبوة علوم ومعارف ترفع صاحبها إلى مقام عظيم من الإيمان بالخالق المدبر(2) .

إن العصمة من الكفر والمعاصي إذا كانت ربانية فهذا يقتضي قهر المعصوم والسيطرة على إرادته بحيث يصير موجهاً من قبل قوة تفرض ذاتها عليه، وبالتالي فلا إرادة له ولا فضل أو ثواب في ترك المعاصي وفعل الطاعات لأنه مسلوب الإرادة ومسلوب الشهوات الإنسانية، بينما نلاحظ من خلال سيرة الأنبياء جميعاً أنهم يملكون إرادة حرة، ولهم

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ استغفار محمد ﷺ في اليوم والليلة، ص867: رقم الحديث 6307].

(2) اسلامبولي: منتدى العقلاني (مقال).

شهوات الإنسان، وهذا شيء طبيعي لأنهم من البشر فقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ١١٠﴾ [الكهف:110]، ونفي ذلك عنهم هو نفي لبشريتهم وقد عاملهم الله ﷻ على هذا الأساس البشري [الإرادة الحرة والشهوات الإنسانية] فقال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ٤٥﴾[الحاقة:44-46]. وهذا التهديد الإلهي للأنبياء الصادقين، فهو صريح في أن النبي يملك القدرة على التقول على الله ﷻ، ولولا ذلك لما كان للتهديد أي معنى أو مبرر إذا كان النبي لا يملك قدرة على الكذب، ولنزل عوضاً عن التهديد إخبار من الله ﷻ بأن هذا النبي مسلوب الإرادة والشهوات وبالتالي فهو مجبور مقهور ليس له من الأمر شيء.

لذا العصمة من الوقوع بالكفر أو المعاصي إنما هي عصمة إرادية اكتسابية وليست عصمة ربانية، وتكون في الواقع من خلال العلم والمعرفة لحقائق الأمور، لأن النبوة علوم ومعارف فهذا يقتضي عصمة صاحب هذا المقام من منطلق العلم اليقيني لعظمة الخالق سبحانه وتعالى والاستحضار الدائم لوجوده قال ﷻ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه:46]، والمعرفة لبعض الحقائق الكونية التي تزيد إيمانه بعظمة الخالق وقدرته على كل شيء فيتشكل عند النبي إرادياً مانع من الكفر والمعاصي من منطلق الإيمان بالله العظيم رغبة إليه ورهبة منه ومحبة له.

قال ابن تيمية رحمه الله:

"إن الله لا يبعث نبيا إلا من كان معصوما قبل النبوة، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم، وكذلك من قال إنه لا يبعث نبيا إلا من كان مؤمنا قبل النبوة، فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصا وإن تاب التائب منها، وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصا فهو غالط غلطا عظيما، فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلا؛ لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء، وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب" (1). فالذي عنده علم عن شيء يتعامل معه بحسب علمه المسبق.

فالعالم الذي يعلم أن اللحم ملوث وتناوله يؤدي إلى الهلاك الحتمي، فإنه يتعامل معه حسب علمه بمآله فيتشكل عنده مانع ذاتي عن تناول هذا اللحم الملوث، بل لا يفكر في تناوله ولو عرض عليه المال والمنصب، فإنه يبقى على تمنعه وبشدة لأنه يعلم أن هذه الإغراءات كلها وهمية إذا تناول اللحم الملوث فإنه سوف يهلك، ولن يحصل على أي شيء، حتى أنه لو

---

(1) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (ج269/6).

جاع فهو لا يفكر بسد جوعه بالتناول منه، وهذا الإصرار والتمنع كان نتيجة علمه بمآل الأمر حقيقة فتشكلت عنده العصمة من سلوك هذا الفعل القاتل.

والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء؛ والعارفين لحقائق الأمور ومآلها التي يحصلونها من خلال السير في الأرض ومعرفة كيف بدأ الخلق قال ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:20]، يصلون من خلال هذه المعرفة إلى الإيمان بالخالق المدبر ويقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:191].

ويرون عظمة الخالق وقدرته من خلال آيات الآفاق والأنفس قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:53].

عندئذ يذعنون للحق ويخضعون له، وعند استحضار هذه الحقائق الإيمانية التي وصلوا إليها من خلال الحقائق الكونية (آفاق وأنفس) يلزم منها خشية الله ﷻ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28]، فيتولد من هذه المعرفة والخشية والتعظيم لله ﷻ قوة في أنفس العلماء تمنعهم وتردعهم عن الوقوع في الكفر أو المعاصي، وكلما ازداد إيمانهم بعظمة الخالق ازدادت خشيتهم له، وبالتالي تزداد عصمتهم عن فعل المعاصي بشكل إرادي وذاتي منبثقة من علمهم واستحضارهم لهذا العلم.

رابعا: العصمة عن الخطأ في فهم الأشياء والحكم عليها:

إن الإنسان محدود بحواسه ومحدود بإدراكه للأشياء، كما أن علمه يكتسبه اكتساباً وليس علماً ذاتياً، والاكتساب للعلم يكون من خلال السير والدراسة والتدبر للواقع، والجدولة والتصنيف للمعلومات وتقليمها، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق:4]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:20].

ويزداد العلم عند الناس كلما امتد بهم الزمان فيتسع أفق المعرفة أضعاف ما كان عليه سابقاً، والوصول إلى الصواب يكون من خلال تراكم معلوماتي يحتوي على أجزاء كثيرة من الصواب، فيقوم الباحث بعملية الربط بينهما والاستقراء لها، إذاً الإنسان لا يصل إلى العلم إلا من خلال السير في الأرض والدراسة والتدبر، وذلك لأن التفكير لا يتم إلا بواقع يكون محلاً له ومهما حصل الإنسان في حياته على معلومات فإن ما يخفى عليه أكثر بكثير مما علمه.

قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:85]، فالناس لا يعلمون كل شيء وبالتالي فما أكثر أخطائهم في تفسير الأشياء أو الحكم عليها[1].

---

(1) اسلامبولي: منتدى العقلاني (مقال).

فصفة عدم العلم أو المعرفة صفة لازمة للإنسان قال ﷻ: **﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾** [النحل:78]، وكذلك صفة الخطأ لازمة للإنسان كون معلوماته ومعارفه اكتسابية ومحدودة، وكونه محدود الإدراك يقول النبي ﷺ: **(كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون)** [1]. وهذا واقع مشاهد وهو من المسلمات التي لا تحتاج إلى برهان، ولا يستثنى من ذلك أحد من الناس حتى ولا الأنبياء أنفسهم لأنهم من البشر، وينطبق عليهم ما ينطبق على البشر هذا ما أثبته الله ﷻ في كتابه إذ قال ﷻ آمراً لرسوله: **﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾** [الكهف:110]، فلا يوجد إنسان يعلم كل شيء ويفهم بكل شيء، ويستطيع أن يحكم على كل شيء.. لأن هذه الصفات لا تكون لمحدود، وإنما تكون لمن هو أزلي في الوجود سرمدي في البقاء.

"والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون إليها، ويسابقون إليها، لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك، ومن أخّر ذلك زمنا قليلاً كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون ﷺ هذا على المشهور أن إلقاءه كان بعد النبوة؛ وأما من قال إن إلقاءه كان قبل النبوة فلا يحتاج إلى هذا" [2].

قال تعالى معلماً نبيه:

قال ﷻ قل: **﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾** [الأعراف:188].

وقال ﷻ: **﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾** [الأحقاف:9]، فهذا النوع من العصمة غير موجود لأي كائن حتى أن الملائكة أنفسهم غير متحقق بهم العصمة في الفهم الصواب والحكم على الأشياء.

قال ﷻ: **﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾** [البقرة:30].

بعد التحدث عن العصمة بأوجهها علمنا أن العصمة الربانية لا تكون إلا في حال إنزال وحي إلى النبي فيتم حفظه والعناية به من النسيان والخطأ في التبليغ أو فقدان العقل أو الإصابة بالجنون وما شابه ذلك مما يعيق عملية تبليغ دعوة الله والإنذار.

---

(1) [ابن ماجة: سنن ابن ماجة، كتاب/ذكر التوبة: ص704: رقم الحديث 4251]؛ [المستدرك على الصحيحين، ج4/ ص272: رقم الحديث 7617]. صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(2) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى (ج269/6).

فالعصمة الربانية ليس المقصد بها شخص الرسول نفسه وإنما المقصد بها هو مادة الوحي، لذا استمرت عملية الحفظ الإلهي لمادة الوحي بعد وفاة النبي ﷺ وذلك بقوة ذاتية قائمة في تركيب بنية الكتاب الذي أنزله الله ﷻ ومصداقيته في الواقع، وروايته من قبل الناس بشكل متواتر كما نزل على النبي ﷺ ومن هذا الوجه يظهر لنا أن الرسل الأنبياء جميعهم معصومون عن القتل لاستمرار وحفظ الرسالة بخلاف الأنبياء فلقد تعرضوا للقتل وذلك لأنهم مجرد أئمة وعلماء ودعاة.

الخلاصة:

أولاً: اكتمل نزول الوحي على النبي ﷺ في قوله ﷻ: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ٣﴾**[المائدة:3].

ثانياً: بما أن الدين قد اكتمل نزولاً اقتضى ختم النبوة بسيدنا محمد قال ﷻ.

قال ﷻ: **﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ٤٠﴾**[الأحزاب:40].

ثالثاً: مادة الوحي التي أنزلت إلى الأنبياء جميعا محفوظة من التحريف والنسيان والاندثار، من الوحي للأنبياء ولكن البشر حرفوها باستثناء القرآن الكريم، قال ﷻ: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ٩﴾** [الحجر:9].

رابعاً: قام النبي بتنفيذ أمر ربه ﷻ وبلغ كل ما نزل عليه من ربه. قال ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ٦٧ ﴾** [المائدة:67].

خامساً: كان البلاغ للناس جميعاً وليس خاصاً لأحد.

قال ﷻ: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾** [الأعراف:158].

المطلب الثالث

همة الأنبياء في الدعوة لإعلاء كلمة الله

إن الدعوة لله ﷻ من أرقى وأهم وأشرف وأنبل الأعمال التي يقوم بها الإنسان، لأنها مرتبطة برب الكون وخالقه، فينسب شرفها إلى شرف المقام الذي تنسب إليه؛ ولأن فيها الخير العظيم الذي يعطيه الله ﷻ لمن يقوم بهذا الأمر، وقد أمرنا الله ﷻ بالدعوة إليه، ودعوة الناس لاتباع سبل الخير والرشاد، ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد فقال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران:104]، وقال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران:110]. فهذا أمر من الله للناس للدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إنَّ الدعوة إلى الله هي سبيل الرسول ﷺ وأتباعه، كما قال ﷻ :﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف:108]، بل الدَّعوة إلى الله هي مهمَّة الرّسل وأتباعهم جميعاً، لإخراج النَّاس من الظلمات إلى النَّور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النَّار إلى الجنَّة. وقد قال النبي ﷺ: **(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)** (1).

فنجد تهديدا من النبي محمد ﷺ لمن لا يدعو إلى الله ﷻ بحسب امكانياته وقدراته فكل إنسان مسلم داعية في مكانه؛ فالطبيب داعية في مكانه، وفي عمله من حسن الخلق، والتعامل مع المرضى؛ وكذلك المدرس فهو داعية من خلال عمله ويوصل رسالة الدعوة إلى من يقوم بتعليمهم وكذلك السائق والتاجر والعامل، فكل مؤتمن في مكانه.

ولم تقتصر الدّعوة إلى الله ﷻ على رسولنا الكريم محمّد ﷺ فقط بل كانت وظيفة لجميع الرّسل؛ حيث دعا الرّسل الناس إلى الإيمان بالله ﷻ وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم. ومما سبق يتبيّن لنا بأنّ جميع رسل الله ﷻ دعوا إلى عبادته وحده، والتبرّؤ من عبادة ما سواه، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم

(1) [أحمد: مسند الامام أحمد، ج332/33: رقم الحديث 23301]؛ [الترمذي: سنن الترمذي للألباني، الفتن عن رسول الله ﷺ /ما جاء بالمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص490: رقم الحديث 2169]. وقال أبو عيسى حديث حسن وحسنه الألباني.

مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ٣٦﴾ [النحل:36]. فرسل الله ﷻ هم الدعاة إلى الله ﷻ، وقد اختارهم الله ﷻ لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس ومنهج الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والبدع وسائر أنواع الضلال والانحراف ومحاربة الأوثان وعبادة القبور. وكانت دعوة الأنبياء تبنى على عدة أمور مهمة في الدعوة إلى الله ﷻ:

أولا: الدعوة إلى التوحيد:

فقضية التوحيد هو الأساس الذي تبنى عليه الدعوة؛ لأن من آمن بالله ﷻ رباً يسهل بعد ذلك أن يقبل أي أمر في حق الله ﷻ فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ٣٦﴾ [النحل:36]. فدل هذا على إنكار الله ﷻ عليهم قولهم وعلى أن الضلالة إنما حقت عليهم– بعد النذارة– بفعلهم [(1)].

"ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة (وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ) يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدْكم عن سبيل الله ﷻ، فتضلوا، (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ) يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله ﷻ، فوفَّقه لتصديق رسله، والقبول منها، والإيمان بالله، والعمل بطاعته، ففاز وأفلح، ونجا من عذاب الله ﷻ" [(2)].

ونجد في كل أمة خلت ومضت بعث الله ﷻ نبيًّا يدعو إلى عبادته والكفر بالطاغوت، وينفي سبحانه وتعالى –وهو عز وجل أعلم برسله– أن يكون أرسل رسولاً بغير شهادة التوحيد فقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ٢٥﴾ [الأنبياء:25]، فقد أرسل الله ﷻ جميع انبيائه بشهادة التوحيد وكان لسان حالهم يقول لقومهم: قال ﷻ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ٥٩﴾ [الأعراف:59]، قال ﷻ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ٦٥﴾ [الأعراف:65]. فجميع الأنبياء يدعون إلى التوحيد بلا إله إلا الله.

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1066/2).

(2) أنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج201/17)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج103/10).

ثانياً: تعبيد الناس لله وحده.

لقد كان كل نبي يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:65]، وهي – مع ما فيها من دلالة على التوحيد– دليل على أن دعوة الأنبياء إنما تهدف وتقصد تعبيد الناس لله سبحانه وتعالى، ومن ثم فالداعية السائر على خطى الأنبياء المقتفي آثارهم جدير بأن يتذكر كل حين ويستشعر أن غاية دعوته ومنتهى مقصده هو تعبيد الناس لله رب العالمين، وأن يعطي سائر أهدافه مكانها الطبيعي وحجمها المعقول؛ حينها لن يصبح داعية لنفسه ولا لتجميع الناس حول شخص أو حتى حول اجتهاداته أو اقتناعاته(1). يقول الرسول ﷺ: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله)** (2). فنجد أن النبي ﷺ قد هدد بقتال من لا يريد أن يدخل في الإسلام وشهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن قال ﷺ: **(إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله فإن هم طاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)** (3). فهنا عندما بعث النبي ﷺ معاذ إلى اليمن أمره بداية أن يأمرهم بالتوحيد، فإن فعلوا ذلك عصموا أنفسهم من القتل والعقاب؛ لأن شهادة التوحيد هي النجاة من عقاب الله تعالى.

ثالثاً: النبي لا يسأل الناس عليه أجراً.

كل نبي بعثه الله ﷻ كان لا يسأل الناس أجراً؛ بل كان كل عمله من أجل طاعة الله ﷻ وهداية الناس إلى طريق الخير والرشاد، ومن الضلال إلى الهدى، ومن الظلام إلى النور

---

(1) الدويش، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله (مقال).

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، ص10: رقم الحديث 25]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/ الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ص31: رقم الحديث 32].

(3) [البخاري: صحيح البخاري، المغازي/ بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ص591: رقم الحديث 4347].

بإذن الله تعالى. فهذا هود عليه السلام يدعو قومه إلى الحق والتقوى وطاعة الله ﷻ ولا يسألهم الأجر، بل هو دعوة الخير واجابة منهم لله تعالى في الدعوة إلى الحق المبين فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٢٧﴾ [الشعراء: 124– 127].

وهذا سيدنا صالح عليه السلام يقول لقومه: قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٤٥﴾ [الشعراء: 142–145].

وسيدنا لوط عليه السلام يدعو قومه إلى الخير، إلى تقوى الله ﷻ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٤﴾ [الشعراء :161–164].

وسيدنا شعيب عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله ﷻ قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٠﴾ [الشعراء :177–180].

وسيدنا نوح عليه السلام الذي دعا قومه دهراً من الزمن وصبر عليهم، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٧٢﴾ [يونس: 71–72].

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٩﴾ [هود:29].

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص:86].

فنجد من خلال الآيات السابقة أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا يدعون الناس بلا مقابل مالي أو مادي؛ إنما هي من أجل المودة والقربى والأنساب التي كانت بينهم، وهم كانوا يستمتعون بالدعوة إلى الله وتوصيل رسالة الحق، برغم ما كانوا يعانوه من الظلم والعذاب والصد من أقوامهم الذين كانوا يرفضون الدخول في عبادة الله الواحد الديان وبرغم ما كانوا يسمعون من إهانة وأذى جسدي ومعنوي من أقوامهم ومن أقرب الناس إليهم كما حدث مع

سيدنا محمد ﷺ مع عمه أبو لهب، ومع سيدنا إبراهيم عليه السلام مع والده، وسيدنا لوط عليه السلام وزوجته وسيدنا نوح عليه السلام مع ابنه وزوجته.

إن قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ٨٦﴾ [ص:86]. كلمة نكرة في سياق النفي قد دخلت عليها من الزائدة فهي في أعلى صور العموم، إن أي أجر وأي ثمرة عاجلة يريدها صاحبها في الدنيا كفيلة بأن تبعثر عليه الأوراق، وهي وثيقة اتهام له بانحرافه عن منهج الأنبياء، أما الدعاة الصادقون الذين يقتفون هدي النبوة ويسيرون على منهجها فهم أولئك الذين يقولون ما يعتقدون أنه الحق ويدينون الله ﷻ به دون أن يرجوا من وراء ذلك أجراً في الدار الدنيا أيًّا كان ذلك الأجر مالاً أو جاهاً.

إن من ينتظر مقابل من الدعوة إلى الله ﷻ فنظره قصير، وينظر إلى أمور دنيوية قريبة تفنى بسرعة، ومن يدعو مقابل الجاه والمكانة فعاقبته تكون غير سليمة، أما من ينتظر الأجر في الآخرة فسيفوز في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا حب الناس، وتوفيق الله ﷻ له، أما في الآخر فرضوان من الله ﷻ والفوز بالجنة.

يقول ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف:108].

رابعاً: كل نبي جاء بلسان قومه.

يقول ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم:4].

فقد كان الأنبياء من أقوامهم ويتكلمون بألسنتهم وهذا يحقق مقاصد وأهداف شتى:

أولاً: حتى يفقهوا ما يقول، ويدركوا ما يدعوهم إليه، ومن ثم فالخطاب الدعوي الموجه للناس ينبغي أن يكون واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولا يسوغ أن تتجاوز الرغبة في جمال العبارة وحسن الأسلوب لتحول الحديث إلى ألغاز يُحتاج في إدراكه إلى خبراء في حل رموزه والبحث عن كوامنه، ولهذا كان الرسول ﷺ وهو أفصح الناس يتكلم بكلام فصل لو عدَّه العاد لأحصاه، ولم يكن ﷺ يسرد كسائر الناس، بل كان يكرر الكلمة ثلاثاً، فعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، **(كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه)** [(1)].

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ صفة النبي ﷺ، ص462: رقم الحديث 3567]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الزهد والرقائق/ التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ص1366: رقم الحديث 2493].

ولئن دعت الداعية الضرورة بحيث لا يمكنه الإفصاح فيلجأ إلى التلميح والإيماء فإنه لا ينبغي أن يغلو فيبالغ في التعمية فلا يدركها إلا هو فيصبح المعنى في بطن الشاعر، وحينها لا تصبح لدعوته قيمة.

ثانياً: كون النبي ﷺ يتكلم بلسان قومه يعني أنه منهم يعرفهم ويعرفونه، ويعرف طباعهم وما هم عليه، يقول ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:2]، ومن ثم فالداعية إلى الله ﷻ أحوج ما يكون إلى أن يعرف واقعه، ويعي حال الناس وحال المخاطبين ولهذا اختار الله ﷻ الأنبياء من أقوامهم.

ثالثاً: يفيد هذا أنهم يعرفونه؛ فليس غريباً عليهم، وليس نكرة فيهم، ولهذا قالوا لصالح: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ [هود:62] كنا نعرفك ونؤمل فيك الخير ونرجوه.

"وكان النبي ﷺ معروفاً عند قومه بالصادق الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان يحمل الكل ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الحق، كان يأتيه الضعيف فيعينه، والمحتاج فيسد حاجته، ولهذا فالدعاة إلى الله عز وجل السائرون على منهج الأنبياء حريٌ بهم أن يكونوا أعلاماً شامخة في أقوامهم يعرفهم الجميع القاصي والداني"[1].

نموذج من دعوة بعض الأنبياء:

دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه:

سيدنا إبراهيم عليه السلام هو خليل الله ﷻ، اصطفاه الله برسالته وفضله على كثير من خلقه، كان إبراهيم عليه السلام يعيش في قوم يعبدون الكواكب، فلم يكن يرضيه ذلك، وأحس بفطرته أن هناك إلها أعظم حتى هداه الله واصطفاه برسالته، وأخذ إبراهيم عليه السلام يدعو قومه لوحدانية الله ﷻ وعبادته ولكنهم كذبوه وحاولوا إحراقه فأنجاه الله من بين أيديهم، جعل الله الأنبياء من نسل إبراهيم عليه السلام فولد له إسماعيل وإسحاق، قام إبراهيم ببناء الكعبة مع إسماعيل.

وهو أحد أولي العزم الخمسة الكبار الذين أخذ الله منهم ميثاقاً غليظاً، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد بترتيب بعثهم، يقول ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[الأحزاب:7].

وهو النبي الذي ابتلاه الله ﷻ ببلاء مبين، بلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب، ورغم حدة الشدة، وعنت البلاء، فكان إبراهيم عليه السلام هو العبد الذي وفى وزاد على الوفاء بالإحسان.

---

(1) الدويش، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله (مقال).

وقد كرم الله ﷻ إبراهيم تكريماً خاصاً، فجعل ملته هي التوحيد الخالص النقي من الشوائب. وجعل العقل في جانب الذين يتبعون دينه.

وكان من فضل الله على إبراهيم أن جعله الله إماما للناس. وجعل في ذريته النبوة والكتاب. يقول ﷻ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾[البقرة:124]، فكل الأنبياء من بعد إبراهيم هم من نسله فهم أولاده وأحفاده. حتى إذا جاء آخر الأنبياء محمد ﷺ، جاء تحقيقا واستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام التي دعا الله ﷻ فيها أن يبعث في الأميين رسولا منهم.

ولو مضينا نبحث في فضل إبراهيم عليه السلام وتكريم الله له فسوف نمتلئ بالدهشة، نحن أمام بشر جاء ربه بقلب سليم، إنسان لم يكد الله ﷻ يقول له أسلم حتى قال أسلمت لرب العالمين، نبي هو أول من سمانا المسلمين، نبي كان جداً وأباً لكل أنبياء الله عليهم السلام الذين جاءوا بعده، نبي هادئ متسامح حليم أواه منيب.

حال المشركين قبل بعثة إبراهيم عليه السلام:

يتحدث القرآن عن ميلاده أو طفولته، ولا يتوقف عند عصره صراحة، ولكنه يرسم صورة لجو الحياة في أيامه، فتدب الحياة في عصره، وترى الناس قد انقسموا ثلاث فئات:

أ- فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية.

ب-وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر.

ت-وفئة تعبد الملوك والحكام.

نشأة إبراهيم عليه السلام:

ولد إبراهيم عليه السلام وكان والده كافراً متميزاً يصنع بيديه تماثيل الآلهة، وقيل إن أباه مات قبل ولادته فرباه عمه، وكان له بمثابة الأب، وكان إبراهيم عليه السلام يدعوه بلفظ الأبوة، وقيل إن أباه لم يمت وكان آزر هو والده حقاً، وقيل أن آزر اسم صنم اشتهر أبوه بصناعته، ومهما يكن من أمر فقد ولد إبراهيم عليه السلام في هذه الأسرة.

فرب الأسرة أعظم نحات يصنع تماثيل الآلهة، ومهنة الأب تضفي عليه قداسة خاصة في قومه، وتجعل لأسرته كلها مكاناً ممتازاً في المجتمع. هي أسرة مرموقة، أسرة من الصفوة الحاكمة.

مرت الأيام، وكبر إبراهيم عليه السلام، كان قلبه يمتلئ من طفولته بكراهية صادقة لهذه التماثيل التي يصنعها والده. لم يكن يفهم كيف يمكن لإنسان عاقل أن يصنع بيديه تمثالاً، ثم

يسجد له بعد ذلك. لاحظ إبراهيم ﵇ أن هذه التماثيل لا تشرب ولا تأكل ولا تتكلم ولا تستطيع أن تعتدل لو قلبها أحد على جنبها. كيف يتصور الناس أن هذه التماثيل تضر وتنفع؟

مواجهة عبدة الكواكب والنجوم:

قرر إبراهيم ﵇ مواجهة عبدة النجوم من قومه، فأعلن عندما رأى أحد الكواكب في الليل، أن هذا الكوكب ربه. ويبدو أن قومه اطمأنوا له، وحسبوا أنه يرفض عبادة التماثيل ويهوى عبادة الكواكب، فبدأ يحاورهم بطريقة تأتي على هواهم حتى ظن الكفار أنه يؤمن بالكواكب والنجوم، يقول ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾ [الأنعام: 67-77].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ أراد إبراهيم ﵇ أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، وجن عليه الليل ستره بظلامه وقوله: هذا رَبِّي على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم ينكر عليه بالإفساد، أنه قاله على وجه الاستفهام تقديره: أهذا ربي، وإنما قاله وقت مراهقته أو أول أوان بلوغه. فَلَمَّا أَفَلَ أي غاب......﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ مبتدئاً في الطلوع. ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾ [الأنعام:77]، استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق، فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشاداً لقومه وتنبيهاً لهم على أن القمر أيضاً لتغير حاله لا يصلح للألوهية، وأن من اتخذه إلهاً فهو ضال [1].

غير أن إبراهيم ﵇ كان يدخر لقومه مفاجأة مذهلة في الصباح. لقد أفل الكوكب الذي التحق بديانته بالأمس، وإبراهيم لا يحب الآفلين، فعاد إبراهيم ﵇ في الليلة الثانية يعلن لقومه أن القمر ربه، لم يكن قومه على درجة كافية من الذكاء ليدركوا أنه يسخر منهم برفق ولطف وحب. كيف يعبدون ربا يختفي ثم يظهر، يأفل ثم يشرق، لم يفهم قومه هذا في المرة الأولى فكرره مع القمر، لكن القمر كالزهرة كأي كوكب آخر، يظهر ويختفي. فقال إبراهيم عندما أفل القمر ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾ [الأنعام:77]. نلاحظ هنا أنه عندما يحدث قومه عن رفضه لألوهية القمر، فإنه يمزق العقيدة القمرية بهدوء ولطف، كيف يعبد الناس ربا يختفي ويأفل. (لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي) يفهمهم أن له ربا غير كل ما يعبدون، غير أن اللفتة لا تصل إليهم. ويعاود إبراهيم ﵇ محاولته في إقامة الحجة على الفئة الأولى من

---

(1) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج169/2)؛ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القـــرآن (ج162/3).

قومه، عبدة الكواكب والنجوم. فيعلن أن الشمس ربه، لأنها أكبر من القمر؛ وما أن غابت الشمس، حتى أعلن براءته من عبادة النجوم والكواكب، لأنها غير مستقرة تأتي وتذهب، وأنهى جولته الأولى بتوجيهه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفا ليس مشركا مثلهم [(1)].

استطاع إبراهيم عليه السلام بحجته أن يظهر الحق، وبدأ صراع قومه معه. لم يسكت عنه عبدة النجوم والكواكب، بدأوا جدالهم وتخويفهم له وتهديده. ورد إبراهيم عليه السلام عليهم، يقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾ [الأنعام:80-81].

لا نعرف رهبة الهجوم عليه، ولا حدة الصراع ضده، ولا أسلوب قومه الذي اتبعه معه لتخويفه، تجاوز القرآن هذا كله إلى رده هو، كان جدالهم باطلاً فأسقطه القرآن من القصة، وذكر رد إبراهيم عليه السلام المنطقي العاقل، كيف يخوفونه ولا يخافون هم؟ أي الفريقين أحق بالأمن؟[(2)].

بعد أن بيَّنَ إبراهيم عليه السلام حجته لفئة عبدة النجوم والكواكب، استعد لتبيين حجته لعبدة الأصنام. آتاه الله الحجة في المرة الأولى كما سيؤتيه الحجة في كل مرة، وكان الله عز وجل يؤيد إبراهيم عليه السلام ويريه ملكوت السماوات والأرض. لم يكن معه غير إسلامه حين بدأ صراعه مع عبدة الأصنام. هذه المرة يأخذ الصراع شكلاً أعظم حدة، لأن والده سيكون في المعركة، هذه مهنة الأب وسر مكانته وموضع تصديق القوم، وهي العبادة التي تتبعها الأغلبية.

مواجهة عبدة الأصنام:

يقول تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾ [الأنعام:74]، وخرج إبراهيم عليه السلام على قومه بدعوته، قال بحسم غاضب وغيرة على الحق: يقول تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾ [الأنبياء:52-56].

---

(1) ابن كثير، صحيح قصص الأنبياء (ص/106).

(2) بهجت، أنبياء الله (ص85).

انتهى الأمر وبدأ الصراع بين إبراهيم ﷺ وقومه، كان أشدهم ذهولاً وغضباً هو أبيه، واشتبك الأب والابن في الصراع. فصلت بينهما المبادئ فاختلفا، الابن يقف مع الله، والأب يقف مع الباطل. قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم ﷺ: وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون، (قال) إبراهيم (لَقَدْ كُنْتُم) أيها القوم (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتكم إياها (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، قال أبوه وقومه له: أجئتنا بالحقّ فيما تقول (أَمْ أَنْتَ) هازل لاعب (مِنَ اللاعِبِينَ) (1).

وهنا يبدأ تهديد الأب لابنه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ٤٦﴾ [مريم:46]. فكان رد الابن الحنون والبار بوالده، الناصح له، والخائف عليه من العذاب، والاستمرار بالكفر، قال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ٤٢ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ٤٣ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ٤٤ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ٤٥﴾ [مريم:42-45].

"فغضب والده وقال لإبراهيم ﷺ وهو ثائر إذا لم تتوقف عن دعوتك هذه فسوف أرجمك، سأقتلك ضرباً بالحجارة، وأسفر الصراع عن طرد إبراهيم ﷺ من بيته. كما أسفر عن تهديده بالقتل رميا بالحجارة" (2). رغم ذلك تصرف إبراهيم ﷺ كابن بار ونبي كريم، خاطب أباه بأدب الأنبياء، قال لأبيه ردا على الإهانات والتجريح والطرد والتهديد بالقتل:

﴿قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ٤٧ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ٤٨﴾ [مريم:47-48]

وخرج إبراهيم ﷺ من بيت أبيه. هجر قومه وما يعبدون من دون الله. وقرر في نفسه أمرا. كان يعرف أن هناك احتفالاً عظيماً يقام على الضفة الأخرى من النهر، وينصرف الناس جميعاً إليه. وانتظر حتى جاء الاحتفال وخلت المدينة التي يعيش فيها من الناس.

وخرج إبراهيم ﷺ حذراً، وهو يقصد مكان الأصنام وعندما وصل نظر إلى تماثيل الآلهة المنحوتة من الصخر والخشب، ونظر إلى الطعام الذي وضعه الناس أمامها كنذور وهدايا، اقترب إبراهيم ﷺ من التماثيل وسألهم: (أَلَا تَأْكُلُونَ) كان يسخر منهم ويعرف أنهم لا يأكلون. وعاد يسأل التماثيل: (مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ) ثم هوى بفأسه على الآلهة.

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج456/18).

(2) الشعراوي، قصص الأنبياء (ص84).

وتحولت الآلهة المعبودة إلى قطع صغيرة من الحجارة والأخشاب المهشمة، إلا كبير الأصنام فقد تركه إبراهيم ﴿لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ فيسألونه كيف وقعت الواقعة وهو حاضر فلم يدفع عن صغار الآلهة! ولعلهم حينئذ يراجعون القضية كلها، فيرجعون إلى صوابهم.

إلا أن قوم إبراهيم عليه السلام الذين عطّلت الخرافة عقولهم عن التفكير، وغلّ التقليد أفكارهم عن التأمل والتدبر، لم يسألوا أنفسهم: إن كانت هذه آلهة فكيف وقع لها ما وقع دون أن تدفع عن أنفسها شيئا؟! وهذا كبيرها كيف لم يدفع عنها؟! وبدلا من ذلك ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:59].

فأحضروا إبراهيم عليه السلام، وتجمّع الناس، وسألوه ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء:62] فأجابهم إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:63] والتهكم واضح في هذا الجواب الساخر. فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم عليه السلام والبحث عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون. فالأمر أيسر من هذا بكثير، إنما أراد أن يقول لهم: إن هذه التماثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكاً، فهي جماد لا إدراك له أصلاً. وأنتم كذلك مثلها مسلوبو الإدراك لا تميزون بين الجائز والمستحيل. فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم أن هذا التمثال هو الذي حطمها، وكان سؤاله من نوع التهكم الساخر الذي هزهم وحيرهم في الإجابة، وردهم إلى شيء من التدبر والتفكر: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الأنبياء:64].

وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخف، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم، وأن تتفتح بصيرتهم لأول مرة فيتدبروا ذلك السخف الذي يأخذون به أنفسهم، وذلك الظلم الذي هم فيه تائهون، ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء:65].

وحقا كانت الأولى رجعة إلى النفوس، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس؛ كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب، كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر، أما الثانية فكانت انقلاباً على الرأس فلا عقل ولا تفكير. وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم. وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟

ومن ثم يجيبهم بعنف وضيق على غير عادته وهو الصبور الحليم، لأن السخف هنا يجاوز صبر الحليم قال: ﴿أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝ أُفّٖ لَّكُمۡ

وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ٦٧﴾ [الأنبياء:66-67] (1). وهي قولة يظهر فيها ضيق الصدر وغيظ النفس، والعجب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف، عند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائما حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل، فيلجأون إلى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾[الأنبياء:68].

نجاة إبراهيم عليه السلام من النار:

وبدأ الاستعداد لإحراق إبراهيم عليه السلام، انتشر النبأ المنطقة كلها، وجاء الناس من القرى والجبال والمدن ليشهدوا عقاب الذي تجرأ على الآلهة وحطمها واعترف بذلك وسخر من الكهنة، وحفروا حفرة عظيمة ملؤوها بالحطب والخشب والأشجار، وأشعلوا فيها النار. وأحضروا المنجنيق –الذي أشار عليهم ابليس بعمله حتى يبتعدوا عن النار من شدة حرها– وهو آلة جبارة ليقذفوا إبراهيم عليه السلام فيها فيسقط في حفرة النار، ووضعوا إبراهيم عليه السلام بعد أن قيدوا يديه وقدميه في المنجنيق، واشتعلت النار في الحفرة وتصاعد اللهب إلى السماء. وكان الناس يقفون بعيدا عن الحفرة من فرط الحرارة اللاهبة. وأصدر كبير الكهنة أمره بإطلاق إبراهيم عليه السلام، في النار.

جاء جبريل عليه السلام ووقف عند رأس إبراهيم وسأله: يا إبراهيم: ألك حاجة؟

قال إبراهيم: أما إليك فلا أما من الله فحسبنا الله ونعم الوكيل، عن ابن عباس رضي الله عنه، حسبنا الله ونعم الوكيل، "**قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم» حين قالوا:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران: 173] (2).

انطلق المنجنيق ملقيا إبراهيم عليه السلام، في حفرة النار. كانت النار موجودة في مكانها، ولكنها لم تكن تمارس وظيفتها في الإحراق. فقد أصدر الله عز وجل إلى النار أمره بأن تكون ﴿بَرۡدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩﴾[الأنبياء:69]، أحرقت النار قيوده فقط. وجلس إبراهيم عليه السلام، وسطها كأنه يجلس وسط حديقة. كان يسبّح بحمد ربه ويمجّده. لم يكن في قلبه مكان خال يمكن أن يمتلئ بالخوف أو الرهبة أو الجزع، كان القلب مليئاً بالحب وحده. ومات الخوف، وتلاشت الرهبة، واستحالت النار إلى سلام بارد يلطف عنه حرارة الجو.

جلس الكهنة والناس يرقبون النار من بعيد، كانت حرارتها تصل إليهم على الرغم من بعدهم عنها، وظلت النار تشتعل فترة طويلة حتى ظن الكافرون أنها لن تنطفئ أبداً، فلما

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2387/4).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، التفسير/إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، ص623: رقم الحديث 4563].

انطفأت فوجئوا بإبراهيم عليه السلام، يخرج من الحفرة سليما كما دخل. ووجهه يتلألأ بالنور والجلال. وثيابه كما هي لم تحترق. وليس عليه أي أثر للدخان أو الحريق.

خرج إبراهيم عليه السلام، من النار كما لو كان يخرج من حديقة. وتصاعدت صيحات الدهشة الكافرة. خسروا جولتهم خسارة مريرة وساخرة. ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ٧٠﴾ [الأنبياء:70].

مواجهة عبدة الملوك:

إن زمن اصطفاء الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام، غير محدد في القرآن؛ وبالتالي فنحن لا نستطيع أن نقطع فيه بجواب نهائي. كل ما نستطيع أن نقطع فيه برأي، أن إبراهيم أقام الحجة على عبدة التماثيل بشكل قاطع، كما أقامها على عبدة النجوم والكواكب من قبل بشكل حاسم، ولم يبق إلا أن تقام الحجة على الملوك المتألهين وعبادهم، وبذلك تقوم الحجة على جميع الكافرين.

فذهب إبراهيم عليه السلام لملك متألّه كان في زمانه، وتجاوز القرآن اسم الملك لإنعدام أهميته، لكن روي أن الملك المعاصر لإبراهيم كان يلقب (بالنمرود) وهو ملك الآراميين بالعراق. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ٢٥٨﴾ [البقرة:258]، كما تجاوز حقيقة مشاعره، كما تجاوز الحوار الطويل الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وبينه. لكن الله تعالى في كتابه الحكيم أخبرنا الحجة الأولى التي أقامها إبراهيم عليه السلام على الملك الطاغية، فقال إبراهيم بهدوء: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾. قال الملك: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ أستطيع أن أحضر رجلاً يسير في الشارع وأقتله، وأستطيع أن أعفو عن محكوم عليه بالإعدام وأنجيه من الموت، وبذلك أكون قادراً على الحياة والموت.

لم يجادل إبراهيم عليه السلام الملك لسذاجة ما يقول. غير أنه أراد أن يثبت للملك أنه يتوهم في نفسه القدرة وهو في الحقيقة ليس قادراً، فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [1].

استمع الملك إلى تحدي إبراهيم عليه السلام صامتاً، فلما انتهى كلام النبي بهت الملك، أحس بالعجز ولم يستطع أن يجيب، لقد أثبت له إبراهيم عليه السلام أنه كاذب، قال له إن الله عز وجل يأتي بالشمس من المشرق، فهل يستطيع هو أن يأتي بها من المغرب، إن للكون نظماً وقوانين

---

(1) الشعراوي، قصص الأنبياء (ص93).

يمشي طبقاً لها، قوانين خلقها الله ﷻ ولا يستطيع أي مخلوق أن يتحكم فيها. ولو كان الملك صادقاً في ادعائه الألوهية فليغير نظام الكون وقوانينه، عندئذ أحس الملك بالعجز، وأخرسه التحدي، ولم يعرف ماذا يقول، ولا كيف يتصرف. انصرف إبراهيم عليه السلام من قصر الملك، بعد أن بهت الذي كفر.

"إن العادة جارية بأن الأنبياء يبدأون بتكوين قاعدة شعبية حتى يكون للدعوة ثقل ثم يلتفتون إلى القيادة ليدعوها، وأيضاً، فمن عادة خصوم الدعوة ملاحقة الداعية وإحراجه ليفضح أمام الناس خصوصاً وأن إبراهيم عليه السلام بعد نجاته من النار بمعجزة التفتت إليه الأنظار وتعجب الناس من ربه الذي نجاه فبادر الملك إلى مناظرته ليوقعه في الحرج ظناً منه أن إبراهيم عليه السلام قد ينهزم في المناظرة، وما علم أنه المؤيد من عند الله ﷻ وهو سيد المناظرين، ومنظرهم الأكبر، والمجادل عن حوزة التوحيد وحمى الملة بكل ألوان الجدل"[1] .

أسلوب سيدنا إبراهيم في الدعوة:

1. دعوته لأبيه:

لقد كانت كلمات إبراهيم عليه السلام، تفيض حناناً وشفقة وتتدفق عطفاً ورقة، فبيّن لأبيه أن ما يعبده فاقد لأوصاف الربوبية من السمع والبصر؛ فضلاً عن الخلق فكيف يضر أو ينفع ثم أردف ذلك ببيان ما قد أوتيه من علم وحكمة وأن دعوته قد بنيت عليهما ففي اتباعه سلوك الصراط السوي وقد بينت سورة مريم تفاصيل هذ الأمر.

2. دعوته لقومه.

بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام، أباه لقربه توجه بالدعوة إلى قومه، وكانوا فيما قبل قسمان، منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الكواكب، وقيل: إنهم كانوا يعبدون الكواكب ويصورون أصناماً على صورها يعبدونها ويعكفون عليها، وعلى أي ، فقد أبطل كلا المعبودين بالأدلة القطعية وبين وهاء ما هم عليه من العبادة، وبدأهم بالدعوة إلى توحيد الله ﷻ بالعبادة وتقواه وبين لهم أن ما يعبدون ما هو إلا إفك مفترى، وأنها لا تملك لهم رزقاً فليعبدوا من يملك رزقهم، ثم أخبرهم بأنه مبلغ لا يستطيع هدايتهم إلا بإذن الله ﷻ، ولفت أنظارهم إلى أن مصيرهم إن لم يستجيبوا للدعوة مصير أمثالهم فقد سبقهم على ذلك أمم ولحقهم من ربهم من النكال والعذاب ما لا يخفي عليهم.

---

(1) الخضيري، دعوة إبراهيم عليه السلام في القرآن (مدونة تاريخية).

3.دعوته للملك:

حين ناظره في ربه، وهذه المناظرة كانت فيما يظهر بعد نجاة الخليل من النار كما ذكره السدي ويدل عليه: أن العادة جارية بأن الأنبياء يبدأون بتكوين قاعدة شعبية حتى يكون للدعوة ثقل ثم يلتفتون إلى القيادة ليدعوها، وأيضاً، فمن عادة خصوم الدعوة ملاحقة الداعية وإحراجه ليفضح أمام الناس خصوصاً وأن إبراهيم عليه السلام بعد نجاته من النار بمعجزة التفتت إليه الأنظار وتعجب الناس من ربه الذي نجاه فبادر الملك إلى مناظرته ليوقعه في الحرج ظناً منه أن إبراهيم عليه السلام قد ينهزم في المناظرة، وما علم أنه المؤيد من عند الله عز وجل وهو سيد المناظرين، ومنظرهم الأكبر، والمجادل عن حوزة التوحيد وحمى الملة بكل ألوان الجدل[1] .

(1) أنظر: الخضيري، دعوة إبراهيم عليه السلام في القرآن (مدونة تاريخية).

المبحث الثاني

علو المؤمنين

المطلب الأول

علو المؤمنين على الكافرين

"الإيمان بالله ﷻ هو الاعتقاد الجازم بوجوده ﷻ، والإيمان بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته" [1]. وهو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ رب كل شيء ومليكه وأنه الخالق الرازق المحي المميت وإنه المستحق لأن يفرد بالعبادة والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل عيب ونقص.

والايمان هو مطلب لكل موحد على وجه البصيرة، حيث أن الإيمان يتقرب به الانسان لله ﷻ في قوله وعمله وسلوكه وخُلقه وفي كل أمور حياته. ويجب الايمان أيضا بالملائكة والكتب والنبيين والقضاء والقدر لقوله ﷻ: **﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ٢٨٥﴾** [البقرة:285]. وقول النبي ﷺ في حديث جبريل الطويل عن الإسلام والإيمان والإحسان حين سأل محمد ﷺ **قال: (يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[2].

الإيمان بالله ﷻ يتضمن ثلاثة أمور، فمن آمن بها فهو المؤمن حقاً. وهي الإيمان بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته. من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تحريف. من تعامل معها على غير حقيقتها فقد دخل في الشرك والذي لا يغفره الله ﷻ لقوله ﷻ: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا٤٨﴾** [النساء:48]. فالإيمان الحقيقي والذي يستقر في القلب، يجعل المؤمن مستعليا بإيمانه على

(1) العثيمين، شرح أصول الايمان (ص15).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الإيمان/معرفة الإسلام والإيمان والإحسان، ص23: رقم الحديث 8].

الذين كفروا، ويكون هو صاحب المكانة العظيمة وصاحب الكلمة القوية وصاحب القرار السديد الذي ينبعث من إيمانه بربه ﷻ واتباعه لمنهجه القويم، وهو سبيل الحق والدين؛ سبيل الخلاص يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. صراط الله المستقيم الذي لا عوج فيه ولا ضلال قال ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ١٥٣﴾ [الأنعام:153]. وقال ﷺ: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ١٣٩﴾ [آل عمران:139].

"انظروا أيها المسلمون في الماضي والحاضر إلى من سبقكم من الأمم، وتعرفوا على أخبار الماضين، فستجدوا منهجاً واحداً لا يتغير، وطريقاً واحداً لا يتخلف، وهو إن سرتم سير الطائعين الموفقين نجحتم، وإن سرتم سير العصاة المكذبين خسرتم، إنكم سلكتم طريقاً معتدلاً يوم بدر فانتصرتم، وسلكتم طريقا خطأ بمخالفة نبيكم يوم أحد فانهزمتم. وهكذا كل ما نتعرض له من هزائم إنما هو بسبب من أنفسنا"[1].

فالمؤمن هو الأعلى وهو الأسمى مهما أصابه من المصائب والفتن والابتلاءات، ومهما تعرض لظلم الأعداء، وظلم ذوي القربى، ومهما خسر من الأبدان والأرواح والأموال.

لذلك فإن استعلاء الإيمان يمثل حالة الاستعلاء التي يجب أن تستقر عليها نفس المؤمن إزاء كل شيء، وكل وضع، وكل قيمة، وكل أحد، الاستعلاء بالإيمان وقيمه على جميع القيم المنبثقة من أصل غير أصل الإيمان.

الاستعلاء على قوى الأرض الحائدة عن منهج الإيمان. وعلى قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان. وعلى تقاليد الأرض التي لم يصغها الإيمان، وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان، وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان، الاستعلاء مع ضعف القوة، وقلة العدد، وفقر المال، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء[2].

"فمن كان مؤمنا فإنه الأعلى بنص القرآن. وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:9]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ [المجادلة:20-21]، والله محقق وعده لمن هو كذلك كائناً من كان. ومما يجب أن يعلم أنه لا يسوغ في العقل ولا الدين طلب رضا المخلوقين لوجهين:
أحدهما: أن هذا غير ممكن. كما قال الشافعي رضي الله عنه رضا الناس غاية لا تدرك. فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه ودع ما سواه ولا تعانه.

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ج240/1).
(2) سيد قطب، معالم في الطريق (ص163).

والثاني: أنا مأمورون بأن نتحرى رضا الله ورسوله"(1).

وعلو المؤمن يكون في أمور عدة منها:

أولا: علو المؤمن في إيمانه:

فالإنسان المؤمن الذي آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ؛ يعيش بسعادة وهناء ويستمد قوته من الله ﷻ فهي قوة الإيمان المستوحاة من حب المؤمن لربه، وأن الله ﷻ ناصره ومؤيده وهو معه إن أحسن الظن بالله فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله ﷻ: **(أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)** (2).

"المؤمن قوي لأنه يستمد قوته من الله العلي الكبير، الذي يؤمن به، ويتوكل عليه، ويعتقد أنه معه حيث كان، وأن الله ﷻ ناصر المؤمنين، وخاذل المبطلين. والمؤمن عزيز لا يذل؛ لأنه متوكل على الله ﷻ، والمؤمن حكيم لا يضل؛ لأنه مسترشد بهدي الله ﷻ.

والتوكل على الله ﷻ هو من ثمار الإيمان، ولكنه عند ضعاف المسلمين استسلام واسترخاء، إن التوكل الحقيقي حافز إلى مقاومة العدو، شحنة تملأ المؤمن بروح التحدي والإصرار" (3).

وإيمان المؤمن يجب أن يترتب عليه حب الله وحب رسوله ﷺ واتباع منهجه الذي أوحاه له ربه، لقوله ﷻ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران:31]، فطاعة الله ورسوله وأولي الأمر واجبة ما لم يؤمر أولو الأمر بمعصية، لقوله ﷻ: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ**﴾ [النساء:59].

فالمؤمن يؤمن بأن الله ﷻ هو خالقه ورازقه ومدبر أمره، ويؤمن بأن الحياة والموت بيد الله ﷻ، ويؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، ويؤمن بالأجل والرزق الذي قدره الله ﷻ، والإيمان بالغيب المثمر للتقوى والعمل. هي أساس صفات المؤمن، إيمان يقين وصدق، لا يخالجه شك ولا ريب الإيمان الذي يثمر في صاحبه تقوى الله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج232/3).

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/باب ويحذركم الله نفسه، ص1016: رقم الحديث 7405]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الذكر، والدعاء/الحث على ذكر الله، ص1235: رقم الحديث 2675].

(3) النابلسي، قوة المؤمن (محاضرة).

ثانيا: علو المؤمن بعبادته:

فرض الله ﷻ عبادات على المؤمن الذي آمن به واتبع سبيله وهي الصلاة والصوم والحج والزكاة وأمر الله المسلمين أن يؤدوا العبادات على حقها والإخلاص فيها وعدم إشراك أحد مع الله في العبادة والطاعة قال رسول الله ﷺ: (**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**) (1).

بعض الآيات التي تتحدث عن الإيمان:

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة:3].

قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة:43].

قال ﷻ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البقرة 45].

قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾ [البقرة:110].

قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة:153].

قال ﷻ: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾ [البقرة:177].

قال ﷻ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ [البقرة:238].

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧﴾ [البقرة:277].

قال ﷻ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة:71].

والعبادات التي يقوم بها المسلم، ويعمل بها تغير مسار حياته للأفضل دائما، حيث أنها تكون محرك ومحفز للوصول لأعلى صفات وكمال الأخلاق الحميدة، التي يجي أن يتصف بها المؤمن الصادق في عبادته وطاعته وتظهر في سلوكه العام في كل مناحي حياته.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الايمان/معرفة الإسلام والإيمان والإحسان، ص: رقم الحديث 8].

ثالثا: علو المؤمن بجهاده:

الجهاد في سبيل الله ﷻ من أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين، وقمع الكافرين والمنافقين، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين، قال ﷻ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج:78]. والجهاد هو بيعة المؤمن مع الله ﷻ في بيع نفسه وماله من أجل رفع راية التوحيد خفاقة عالية والدعوة إلى الله ﷻ ونصرة الإسلام والمسلمين في ربوع المعمورة وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة:111].

قال ابن تيمية رحمه الله:" فإن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، فالثمن على الله لا على الخلق، فمن طلبَ الثمنَ منهم لم يكن له على الله ثمنٌ، فإنه من كان في الله تَلَفُه كان على الله خَلَفُه، وإن كان قد أُوذي على مصيبة فليَرجعْ باللومِ على نفسِه، ويكون في لَومِه لها شُغْلٌ عن لَومِه لمن آذاه، وإن كان قد أُوذِي على حظّ فليُوطِّن نفسَه على الصبر، فإنّ نيلَ الحُظوظِ دونَه أمرٌ أَمَرُّ من الصَّبر، فمن لم يصبر على حرِّ الهَوَاجر والأمطارِ والثلوج ومشقةِ الأسفارِ ولصوصِ الطريقِ، وإلاّ فلا حاجةَ له في المتاجر" [1].

والجهاد هو درب المؤمنين الموحدين لرفع راية الإسلام، فبالجهاد أعز الله ﷻ أقواماً وأذل آخرين؛ فأعز المؤمنين العابدين الصاحين، وأذل المنافقين والكافرين الذين حاربوا الله ورسوله ودين الحق.

قال سيد قطب رحمه الله: "إن الجهاد في سبيل الله بيعة معقودة بعنق كل مؤمن على الإطلاق منذ كانت الرسل ومنذ كان دين الله، إنها السنة الجارية التي لا تستقيم هذه الحياة بدونها، ولا تصلح الحياة بتركها: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾

(1) ابن تيمية، جامع المسائل لابن تيمية (ج171/1).

[البقرة:251]. ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ [الحج:40]" [1].

والجهاد مع أنه كرامة؛ إلا أنه معقود في رقبة كل مؤمن، ويجب عليه الجهاد بالمال والنفس والولد والكلمة الطيبة وكلمة الحق عند سلطان جائر. عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: **(إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)** [2].

إن الحق لا بد أن ينطلق في طريقه، ولا بد أن يقف له الباطل في الطريق، بل لا بد أن يأخذ عليه الطريق، إن دين الله ﷻ لا بد أن ينطلق لتحرير البشر من العبودية للعباد وردَّهم إلى العبودية لله وحده، ولا بدَّ أن يقف له الطاغوت في الطريق، بل لا بد أن يقطع عليه الطريق، ولا بد لدين الله ﷻ أن ينطلق في الأرض كلها لتحرير الإنسان كله، ولا بد للحق أن يمضي في طريقه ولا ينثني عنه ليدع للباطل طريقاً، ومادام في الأرض كفر ومادام في الأرض باطل، وما دامت في الأرض عبودية لغير الله تذل كرامة الإنسان، فالجهاد في سبيل الله ﷻ ماض، والبيعة في عنق كل مؤمن تطالبه بالوفاء، وإلا فليس بالإيمان قال ﷺ: **(ومن مات ولم يَغْزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)** [3]،[4].

ونص الفقهاء أنه يجب على الإمام أن يقوم بالغزو مرة كل عام – إذا لم تدع الحاجة لأكثر من ذلك – قال ابن قُدامة: (وأقل ما يُفعل مرة في كل عام لأن الجزية تجب على أهل الذمة في كل عام، وهي بدل عن النصرة، فكذلك مُبدَلُها وهو الجهاد، فيجب في كل عام مرة إلا من عذر، وإن دعت الحاجة إلى القتال في عام أكثر من مرة وجب ذلك، لأنه فرض كفاية فوجب منه ما دعت الحاجة إليه) [5].

فالجهاد لا يخلو منه عام من الأعوام منذ أن شرع إلى أن تقوم الساعة، وهو جهاد دفع وجهاد طلب للذود والدفاع عن الإسلام والمسلمين، ومن حكمة الله تعالى أن جعل الصراع بين الحق والباطل باقٍ إلى يوم القيامة، وما دام هذا الصراع موجوداً فالجهاد موجود، لا يحد بوقت معين، فمتى وجد الباطل والضلال والكفر، ومتى استبيحت حرمات

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1717/3).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، الفتن عن رسول الله ﷺ/ ما جاء في الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، ص491: رقم الحديث 2174]. صححه الألباني.

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ ذم من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، ص921: رقم الحديث 1910].

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج1717/3).

(5) ابن قدامة، المغني لابن قدامة (ج198/9).

المسلمين وأوطانهم فالجهاد ماض، وفضيلته باقية بحسب كل زمان ومكان، قال ﷻ: **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾** [البقرة :217].

وعن جابر ﷺ مرفوعاً: **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)**[1]. وقال ﷺ: **(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)**[2] .

ومن فضل الجهاد أنه له أجر عظيم عند الله تعالى وشرف الله ﷻ المجاهدين بالمراتب العليا في الآخرة وخصوصا الشهداء منهم حيث وقال ﷻ: **﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾** [ال عمران 169-171].

"لا تظنن {الذين قتلوا في سبيل الله} يوم بدر ويوم أحد {أمواتا} كسائر الأموات بل هم كالأحياء {عند ربهم يرزقون} التحف، معجبين {بمآ آتاهم الله} بما أعطاهم الله من كرامته بعضهم ببعض من إخوانهم الذين في الدنيا أن يلحقوا بهم لأن الله بشرهم بذلك إذا خاف غيرهم إذا حزن غيرهم" [3].

وقال ﷻ: **﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢﴾** [التوبة :20-22].

وهذا بيان عظم أجر الجهاد والمجاهدين ودرجاتهم في الدنيا والآخرة، من جاهد بنفسه أو ماله أو كلاهما معاً، فلهم أجر عظيم عند الله ﷻ، وسيدخلهم جنات النعيم.

---

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الإمارة/باب قول النبي ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ص925: رقم الحديث 1923].

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ص385: رقم الحديث 2849]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الامارة/الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، ص906: رقم الحديث 1871].

(3) ابن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص60).

المطلب الثاني

علو المؤمنين في همتهم في الدعوة للإسلام

الدعوة إلى الله ﷻ من أشرف الأعمال وأرفع العبادات، وهي أخصُّ خصائص الرسل عليهم السلام، وأبرز مهام الأولياء الأصفياء من عباده الصالحين، قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت:33]، والدعاة إلى الله هم صفوة مختارة من رجال الأمة؛ إذ يستلزم قيامهم بالدعوة أن يكونوا نماذج يحتذي بها الناس، وقدوة لهم في كل تصرفاتهم، تبدو عليهم آثار الرسالة التي يدعون الناس إليها على علم وبصيرة؛ وقد أوجب الله ﷻ على الأمة الإسلامية أن تهيئ من بينها طائفة تقوم بالدعوة إلى الإسلام الصحيح، وتهيئة هؤلاء الدعاة ليست أمراً هيناً بل تحتاج إلى إمكانيات وتضحيات مستمرة عما كان عند سلف هذه الأمة. قال ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: 104].

فالداعية يتصف بصفات تختلف عن غيره من الناس، لأنه سيكون قدوة للناس والمدعوين من خلال دعوته في كل أفعاله وأقواله وتصرفاته الأيجابية والسلبية، فهو يُنظر إليه بكل تصرف يفعله وكل قول يقوله، لأن المدعو يعتبره قدوته ونبراسه؛ فإن كان الداعية الذي يتصف بصفات الأخلاق الحميدة، والمعاملة الحسنة، كان له الأثر الطيب في نفس المدعوين وكان له القبول في نفوسهم، وأهم أمر هو أن يتصف بالأخلاق العالية الحميدة التي هي صفات الأنبياء والصالحين قال ﷻ في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم:4] وإن كان غير ذلك كان النظر إليه بصورة مختلفة وقد لا يسمع له ولا يؤخذ منه و قد نبه الله ﷻ نبيه من هذا الأمر ووجهه إلى الطريق السديد حتى يكون عبرة لنا أيضا قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾ [ال عمران:159].

ولأن حاجة الأمة للدين كحاجة الجسد إلى الروح، فكما أنه إذا فُقدت الروح فسد الجسد، فكذلك الأمة إذا فقدت الدين فسدت دنياهم وأخراهم، ولذلك يجب أن يتوفر الدعاة في كل وقت وكل حين ليقوموا بهذا الأمر وتوجيه الناس إلى عبادة الله ﷻ وتصحيح المفاهيم الخاطئة عند البشر في عبادة الله ﷻ وهداية الضالين بالأخذ بأيديهم إلى الهدى بأمر الله ﷻ والابتعاد عن الضلال والفجور والعصيان ودعوة من لا يؤمن بالله ﷻ إلى دينه وعبادته واطاعة أوامره واجتناب نواهيه ليكون من الفائزين في الدنيا والآخرة.

صفات الداعية المسلم:

أولا: الإخلاص:

وهو أساس قبول الأعمال كلها، فإذا عريت منه لم تقبل منه، قال ﷻ: **﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾** [البينة:5]. فالداعية لا بد أن يكون مخلصا لله ﷻ في أعماله ودعوته لربه، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا ثناء الناس ولا مديحهم وإنما يريد بذلك وجه الله ﷻ، قال ﷺ: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى)** [1]، ولهذا فإن الداعية المخلص لا يكون همه كثرة أتباعه أو ذيوع صيته أو نحو ذلك، وإنما همه وكده دخول الناس في دين الله ﷻ ودخولهم الجنة بإذن الله ﷻ وانقاذهم من النار.

ثانيا: الصدق مع الله:

وهو أساس عظيم لا بد من توافره في الداعية إلى الله في قصده وقوله وعمله، فيمضي في دعوته بعزيمة صادقة ونية صالحة وإرادة صحيحة، كما قال ﷻ: **﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾** [الأحزاب:23] وقال ﷻ: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾** [التوبة:119] وإذا كان الداعية صادقا مع الله ﷻ في دعوته آتت دعوته ثمارها واطمأن الناس له، وقبلوا دعوته وأقبلوا عليه ونفذوا كلامه، فإن الذي يخرج من القلب ينفذ إلى القلب والذي يخرج من اللسان لا يتجاوز السمع.

ثالثا: التأسي بالنبي ﷺ:

إذ هو القدوة والأسوة الحسنة في كل شيء، وهو الداعي الأول للإسلام كما قال ﷻ: **﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾** [الأحزاب:21] وأولى الناس بالإقتداء به هم الدعاة إلى الله ﷻ، لأنهم يدعون إلى اتباعه والاقتداء به فوجب أن يكونوا هم السابقين إلى ذلك. **قال العرباض:** (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ **فقال :أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا**

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، بدء الوحي/كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ، ص5: رقم الحديث 1]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/إنما الأعمال بالنية، ص920: رقم الحديث 1907].

كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة[1] .

رابعا: العلم:

وهو شرط لا بد من توافره في الداعية إلى الله ﷻ، لا بد أن يدعوا إلى الله بعلم وبصيرة، ومن تكلم فيما لا يعلم يهدم ولا يبني ويفسد ولا يصلح، يقول الله تعالى مبينا نهج النبي ﷺ وأتباعه في الدعوة إلى الله قال ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ١٠٨﴾ [يوسف:108] والبصيرة هي العلم الصحيح المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأن الداعية الذي يعلم أمور دينه ودنياه يسهل عليه الدعوة إلى الله ﷻ ويستطيع التغلب على أي مشكلة تواجهه.

يقول ابن القيم رحمه الله: "فالطالب الصادق في طلبه كلما خرب شيء من ذاته جعله عمارة لقلبه وروحه. وكلما نقص شيء من دنياه جعله زيادة في أخرته. وكلما منع شئ من لذات دنياه: جعله زيادة في لذات أخرته وكلما ناله هم أو حزن أو غم جعله في أفراح أخرت" [2].

ومن لم يطلب العلم ولم يصدقه ويعلم العلم المتعلق بذات الله ﷻ ويوقره فهو خرب القلب ولا يجد الحب والقبول من الناس لأنه بعيد عن الله ﷻ والذي يجتهد ويعرف فهو في خير ونعمة في الدنيا والآخرة لأنه سيكسب رضا الله ﷻ وحب الناس.

خامسا: الرفق:

فينبغي للداعية أن يكون رفيقاً بالمدعوين حليماً معهم، طليق الوجه، لطيف العبارة كما قال النبي عليه الصلاة والسلام **(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلاشانه)** [3] وذلك أن المقصود من الدعوة إلا الله تبليغ شرائع الله إلى الخلق، ولا يتم ذلك إلا إذا مالت قلوبهم إلى الداعي وسكنت نفوسهم إليه، ولذا قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [ال عمران:159]. "أي لو كنت خشناً جافياً في معاملتهم لتفرقوا عنك ولم يسكنوا إليك ولم يتم أمرك من هدايتهم وإرشادهم إلى الصرط السوي"[4].

---

(1) [أبو داوود: سنن أبي داوود، السنة/لزوم السنة، ص832: رقم الحديث 4607]. صححه الألباني.

(2) ابن القيم، الفوائد (ص189).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة/فضل الرفق، ص1203: رقم الحديث 2594].

(4) مجلة البحوث الإسلامية (ج220/1).

سادسا: الصبر:

وهو خلق فاضل كريم وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وزكاتها وقوامها وهو من أهم المهمات ومن أعظم الواجبات، ولا سيما في حق الدعاة إلى الله ﷻ، ولهذا أمر الله ﷻ به أنبياءه ورسله عليهم السلام وهم سادة الدعاة إلى الله ﷻ ومقدموهم، قال ﷻ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف:35]. قال ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل:127]، وإن لم يكن الداعية صبوراً انقطع من أول الطريق، وانثنى من أول المسير، لأنه لابد أن ينتابه شيء من الأذى والابتلاء؛ فإن لم يكن متحلياً بالصبر لم يستطع المضي في طريق الدعوة. قال ﷺ: **(ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)**[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: "وقيل: الصبر شجاعة النفس ومن ها هنا أخذ القائل قوله الشجاعة صبر ساعة وقيل: الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب والصبر والجزع ضدان ولهذا يقابل أحدهما بالآخر قال تعالى عن أهل النار: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ٢١﴾ [إبراهيم:21] والجزع قرين العجز وشقيقه والصبر قرين الكيس ومادته فلو سئل الجزع من أبوك لقال العجز ولو سئل الكيس من أبوك لقال الصبر والنفس مطية العبد التى يسير عليها إلى الجنة أو النار والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطيه فإن لم يكن للمطيه خطام ولا زمام شردت في كل مذهب"[2].

سابعا: القدوة الحسنة:

فالداعية إلى الله ﷻ ينبغي أن يكون سباقاً إلى الخير، منافساً في الطاعات، مبتعداً عن الشر، لا يرى فيه المدعون إلا الأخلاق الحميده، والمعاملات الكريمة، وحسن السيرة، كما قال ﷻ عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود:88] خلافاً للذين يقولون مالا يعملون من دعاة الباطل وأئمة السوء، والداعية بسيرته الحميدة وبحسن تطبيقه لما يدعو إليه يؤثر في الناس تأثيراً أبلغ من القول والكلام والأفعال، وأن يكون سلوكه في الحياة جيداً وألا يخالف أفعاله وأقواله وتصرفاته، وأن يكون القدوة الحسنة التي يتصف بها الداعية.

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الزكاة/الاستعفاف عن المسألة، ص199: رقم الحديث 1469]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الزكاة/فضل التعفف والصبر، ص465: رقم الحديث 1053].

(2) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص18).

ثامنا: حسن الخلق:

فإن الداعية بحسن خلقه وطيب معاملته وكريم معشره يؤثر في المدعوين أعظم التأثير، ويجذب قلوبهم إليه ويأسر نفوسهم ويحرك مشاعرهم، قال ﷻ في وصف نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] وقال ﷺ: **(إن من خياركم أحسنكم أخلاقا)** (1).

فبحسن الخلق يملك الداعية قلوب الناس ووجدانهم، ويكون محبوباً وقدوة لهم في جميع أبواب الخير وينهاهم عن الشر وفعله أو القرب إليه.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء. وهو رأس كل خير. وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيظ والحلم.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط"(2).

فبمثل هذه الصفات الرائعة والنعوت الكريمة أثر الدعاة وأئمة الهدى في الناس وجذبوا قلوبهم إلى هذا الدين الحنيف، وكانوا هداة إلى الخير.

تاسعا: الإيمان بأن الهداية بيد الله وحده:

إن الله يهدي من يشاء ويضلل من يشاء كما قال ﷻ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56] والذي بيد الداعية بعد التوفيق من الله ﷻ هو الإستعانة به والبيان والإرشاد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولكن الأمر يحتاج إلى بذل الوسع والجهد، وتبيين حقائق ونتائج اتباع الدين وما يترتب عليه من دخول للجنة بأمر الله ﷻ والابتعاد عن النار لمن سمع وأطاع ومن ترك الهداية واتبع الشيطان فسوف يلقى غياً ويحاسب على تركه طاعة الله ﷻ.

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ صفة النبي، ص484: رقم الحديث 3559]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الفضائل/كثرة حيائه ﷺ، ص1096: رقم الحديث 2321].

(2) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج294/2).

ومشيئة الضلال والهدى تعود للشخص نفسه، فمن اتبع الهدى وما جاء في القرآن من آيات بينات فيهديه الله ﷻ للخير، ومن ابتعد عن القرآن والهدى وطريق الشر فهو في ضلال مبين قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج:16].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "وكذلك لما فصلنا في هذا القرآن ما فصلنا، جعلناه آيات بينات واضحات، دالات على جميع المطالب والمسائل النافعة، ولكن الهداية بيد الله، فمن أراد الله هدايته، اهتدى بهذا القرآن، وجعله إماماً له وقدوة، واستضاء بنوره، ومن لم يرد الله هدايته، فلو جاءته كل آية ما آمن، ولم ينفعه القرآن شيئا، بل يكون حجة عليه"(1).

عدم اليأس من رحمة الله ﷻ:

يجب على الداعية ألاّ يغضب من عدم استجابة دعوته وأن يحتمل ويصبر، وإن شاهد من يرتكب المعاصي ويستمر في دعوتهم لله ﷻ وإن استمر في عمل المعصية فليستمر هو في الدعوة والصبر عليها فقد أُتيَ الرسول ﷺ برجل شرب الخمر وهو من الصحابة أكثر من خمسين مرة، فلما أتى به ليقام عليه الحدّ، قال بعض الصحابة: أخزاه الله، ما أكثر ما يؤتى به؛ فغضب ﷺ، وقال للرجل: **(لا تقل ذلك لا تعن الشيطان عليه، والذي نفسي بيده، ما علمتُ إلا أنه يحبّ الله ورسوله)**(2).

فما أحسن الحكمة، وما أعظم التوجيه من النبي ﷺ لأصحابه في أمور الدعوة والصبر عليها؛ لذلك لا ييأس الداعية من الناس مهما بدرت منهم المعاصي والمخالفات والأخطاء، ويعتبر أنهم أمل هذه الأمة، وأنهم في يوم من الأيام سوف تفتح لهم أبواب التوبة، وسوف تراهم صادقين مخلصين، تائبين متوضئين.

وينبغي على الداعية ألا ييأس من استجابة الناس، بل عليه أن يصبر ويثابر، ويسأل الله ﷻ لهم الهداية في السجود، ولا يستعجل عليهم، فإن رسولنا ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى **(لا إله إلا الله)**، فلم ييأس مع كثرة الإيذاء، ومع كثرة السب، ومع كثرة الشتم والإهانة من قبل المدعوين ويعلو ويسمو بأخلاقه وصبره. ويعلم الداعية أن حبيبه محمد ﷺ تعرض للأذى والصد من الكفار والمشركين، ومع ذلك صبر وتحمل كل ذلك ولم يغضب، حتى أتاه ملك الجبال. فقال له: يا محمد ﷺ، إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج535/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود وما يحذر منها/ما يكره من لعن شارب الخمر، ص934: رقم الحديث 6780-6781].

فقال له رسول الله ﷺ: **(بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا)**[1]. فأخرج الله ﷻ من أصلاب الكفرة القادة، فمن صُلب الوليد بن المغيرة: خالد بن الوليد، ومن صُلب أبي جهل: عكرمة بن أبي جهل. فما أحسن الطريقة، وما أحسن ألا ييأس الداعية، وأن يعلم أن العاصي قد يتحول بعد عصيانه إلى إمام مسجد، أو خطيب، أو إلى عالم.

فلا يقنط الداعية من رحمة الله ﷻ فإن رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء، وهو الرحمن الرحيم، الذي يقول في الحديث القدسي الذي رواه أحمد والترمذي بسند صحيح: **(يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أُبالي، يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بها مغفرة)**[2] .

وعلى الداعية ألا ييأس من المدعوين بسبب بعض معاصيهم وإنما عليه أن يعايش الجميع، الكبير والصغير، الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، ولتعلم أن هذا العاصي قد يكون في يوم من الأيام من رجال الدعوة، وقد يكون من أولياء الله ﷻ، فلا ييأس، وعليه أن يتدرّج معه، وأن يأخذ بيده رويداً رويداً، وألا يجابهه وألا يقاطعه.

قال علي رضي الله عنه وأرضاه: (إن الفقيه حق الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها) [3].

ومن آداب الداعية كذلك ألا يهون على الناس المعاصي، بل يخوفهم من الواحد الأحد، فيكون في دعوته وسطاً بين الخوف والرجاء، وقد ورد من صفاته ﷻ أنه يغار إذا فعل العبد

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ذكر الملائكة، ص438: رقم الحديث 3231]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الجهاد والسير/ما لقي النبي ﷺ من أذى الكافرين والمنافقين، ص864: رقم الحديث 1795].

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/ فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله، ص804: رقم الحديث 3450]. صححه الألباني.

(3) [سنن الدارمي: مسند الدارمي ج1/ص338: رقم الحديث 305]. [تعليق المحقق] في هذا الإسناد علتان: الأولى: ضعف ليث بن أبي سليم والثانية: الانقطاع يحيى بن عباد بن شيبان لم يدرك عليا فيما نعلم.

المعصية؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(إن الله يَغارُ، وغَيرةُ الله أن يأتي المؤمنُ ما حرَّمَ الله)**.[1] .

قال ابن تيمية – رحمه الله: "وغيْرة الله ﷻ أن يأتي العبد ما حرم عليه، وغيْرته أن يزني عبدُه أو تزني أمَتُه .الغيْرة التي وصف الله بها نفسه: إمَّا خاصة وهو أن يأتي المؤمن ما حرَّم عليه، وإما عامة وهي غيرته من الفواحش ما ظهر منها وما بطن"[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: "الغيرة تتضمن البغض والكراهة، فأخبر أنه لا أحدَ أغير منه، وأن من غيْرته حرَّم الفواحش، ولا أحد أحب إليه المِدْحة منه، والغيْرة عند المعطلة النفاة من الكيفيات النفسية، كالحياء والفرح والغضب والسخط والمقت والكراهية؛ فيستحيل وصفه عندهم بذلك، ومعلوم أن هذه الصفات من صفات الكمال المحمودة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرةً، وأضدادها مذمومة عقلاً وشرعاً وعرفاً وفطرةً؛ فإن الذي لا يغار بل تستوي عنده الفاحشة وتركها: مذموم غاية الذم مستحق للذم القبيح" [3] .

والداعية الذي يهتدي على يديه الناس بإذن الله ﷻ له أجر عظيم، وثواب جزيل، ويكون له خير من الدنيا وما فيها، حيث أنه يأخذ بيد العاصي أو التائه من الضلال إلى الهدى، ومن الحزن إلى السعادة، ومن التيه إلى الرشد، يقول النبي ﷺ: **(فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم)**[4].

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/الغيرة، ص746: رقم الحديث 2594]؛ [مسلم: صحيح مسلم، التوبة/غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ص1265: رقم الحديث 2762].

(2) ابن تيمية، الاستقامة (ج9/2).

(3) ابن القيم، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج1497/4).

(4) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، فضائل أصحاب النبي ﷺ/مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، ص505: رقم الحديث 3701]؛ [مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة/فضل علي بن أبي طالب ﷺ. ص1129: رقم الحديث 2406].

المطلب الثالث

عزة المؤمنين في محاورة أعداء الله وعلوهم في ذلك

العزة خصلة حميدة جعلها الله ﷻ من صفاته، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [الشعراء:9] وجعلها صفة حميدة للإنسان المسلم الذي يدعو إلى الله ﷻ حتى يكون عزيزا على الكافرين والمنافقين، ولا تلين له قناة في مقارعتهم، ويكون له العزة في دعوتهم لله ﷻ ومحاورتهم ومجادلتهم لطريق الحق المبين، والعزة ليست تكبراً أو تفاخراً وليست بغياً أو عدواناً وليست هضماً لحقٍ أو ظلماً لإنسانٍ وإنما هي الحفاظ على الكرامة والصيانة لما يجب أن يصان ولذلك لا تتعارض العزة مع الرحمة بل لعل خير الأعزاء هو من يكون خير الرحماء، والعزة تكون على المنافق والكافر، وذلة المؤمنين الموحدين تكون للمؤمنين الموحدين، قال ﷻ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ [آل عمران:54]. والعزة تكون في الله ﷻ ولله حتى يعين الله ﷻ العبد في كل أموره.

قال القرطبي: "فمن كان يريد العزة لينال الفوز الأكبر ويدخل دار العزة، فليقصد بالعزة الله سبحانه والاعتزاز به فإنه من اعتز بالعبد أذله الله ومن اعتز بالله أعزه الله" [(1)] .

قال أبو بكر الشبلي[(2)]: "نظرت في ذل كل ذي ذل فزاد ذلي عليهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي عليهم فإذا عزهم ذل في عزي وتلا في أثره قال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ [فاطر:10]، من اعتز بذي العز فذو العزِّ له عز" [(3)].

قال الشافعي: "من لم تُعِزُّهُ التقوى فلا عز له" [(4)].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج329/14).

(2) هو الشيخ الزاهد أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي، ولد في سامراء عام 247 هـ/861م، وكان أبوه من رجال دار الخلافة في سامراء، وهو تركي الأصل من قرية شبلية من أعمال أشروسنة. ونشأ الشبلي مع أولاد الأمراء والوزراء، وأنخرط في سلك الوظيفة بدار الخلافة، وحظي من الأمراء بالنعم الوافرة، وعين أميرا على (دوماند) من توابع طبرستان ويعد من أهل الصوفية. توفي سنة 331هـ-945م. (سير أعلام النبلاء: ج544/11).

(3) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج374/10).

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء (ج97/10).

قال المناوي[1]:"فينبغي للعالم أن لا يشين علمه وتعليمه بالطمع ولو ممن يعلمه بنحو مال أو خدمة وإن قل ولو على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لم يهدها وقد حث الأئمة على أن لا يدنس العلم بالأطماع ولا يذل بالذهاب إلى غير أهله من أبناء الدنيا بلا ضرورة ولا إلى من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره وسلطانه والحكايات عن مالك وغيره مشهورة فعلى العالم تناول ما يحتاجه من الدنيا على الوجه المعتدل من القناعة لا الطمع وأقل درجاته أن يستقذر التعلق بالدنيا ولا يبالي بفوتها فإنه أعلم الناس بخستها وسرعة زوالها وحقارتها وكثرة عنائها وقلة غنائها[2].

نموذج من حوارات المسلمين مع الكافرين:

حوار جعفر بن أبي طالب ﷺ والنجاشي:

عندما ذهب عمرو بن العاص إلى الحبشة ليرد المؤمنين الذين هاجروا إليها، وطلب من النجاشي أن يسلمه المؤمنين، فتقدم جعفر بن أبي طالب ﷺ في ثبات وثقة عالية وألقى خطاباً جليلاً مهيباً، إن دل على شيء فإنما هو الحق وقد أجراه الله على لسانه. وفي خطابه قَسّم جعفر بن أبي طالب ﷺ كلماته إلى مقاطع عدة، يحمل كل مقطع منها معنى معين، ويصل به إلى هدف خاص.

المقطع الأول: جعفر بن أبي طالب ﷺ يقبح صور الجاهلية.

"أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف" [3].

فقد بدأ جعفر بن أبي طالب ﷺ بتقبيح الحالة التي كانوا عليها قبل الإسلام، وتصويريها بصورة تأنف منها النفوس الكريمة، وتأباها العقول السليمة، وهو بهذا يرسل إشارة واضحة أيضاً تتضمن أن هذين الرسولين (عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة) ما زالا على هذه الصورة الخبيثة وتلك الأخلاق الفاسدة.

---

(1) هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين. المشهور بالمناوي. ولد سنة: 952هـ وتوفي سنة: 1031 هـ. عاش في القاهرة، وتوفي بها. من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستملي منه تآليفه. الأعلام للزركلي (65/3).

(2) المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير (ج290/4).

(3) أحمد، مسند الإمام أحمد، حديث جعفر بن أبي طالب (ج266/3)، صححه الشيخ أحمد شاكر.

ونلاحظ أيضًا أن كل مساوئ الجاهلية التي صورها جعفر ﷺ لا تبعد كثيرًا عن صفة الظلم؛ فكان هناك إما ظلم مع النفس وذلك بعبادة الأصنام قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13]، أو ظلم مع الرحم بقطع الأرحام، أو ظلم مع الجار بالإساءة إليه، أو ظلم مع الضعيف بأكل حقه.

ولنتخيل مثل هذه الصور من الظلم وهي تعرض على ملك عادل لا يُظلم عنده أحد، فكان تصدير جعفر ﷺ بذكر مساوئ الجاهلية –ولا شك– قد ترك أثرًا عظيماً في قلب النجاشي، بل في قلب أساقفته، فكان هذا المقطع من كلام جعفر سهماً قد أُطلق في مقتل لقريش ووفدها.

المقطع الثاني: جعفر ﷺ يتحدث عن بعض صفات النبيﷺ:

قال جعفر: "فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه" [(1)].

وهنا يشير جعفر إلى أن الذي جاء بهذا الدين الجديد والمخالف لما هم عليه جميعًا ليس رجلاً أفّاكًا كذّابًا يريد خداع الناس من أجل مصلحة ما، بل هو صادق أمين، وطاهر عفيف، ومن أعرق أنسابنا، وقد جاء بالحق الواضح.

وإزاء هذه النعوت لم يستطع عمرو بن العاص ولا عبد الله بن أبي ربيعة أن يردّا بكلمة واحدة؛ فقد كان رسول الله ﷺ فوق كل شبهة، هذا إضافةً إلى أن النصارى يؤمنون بالرسل بصفة عامة، فما أكثر الرسل التي تحدثت عنها التوراة والإنجيل.

المقطع الثالث: جعفر بن أبي طالب ﷺ يمجد صور الإسلام:

وهذا المقطع في غاية الروعة، فبعد أن عرض لصورة الجاهلية الحقيقية، أخذ في عرض الصورة المقابلة لها وهي صورة الإسلام، التي جاء بها هذا الرجل الصادق الأمين، فقال جعفر بن أبي طالب: "فدعانا إلى الله ﷻ لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ﷻ وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام [(2)]. فعدّد عليه أمورَ الإسلام.

---

(1) المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (ج107/4).

(2) أنظر: أبو زهرة، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم (ج365/1).

وفي ذلك التصوير لم يكذب جعفر ولم يتجمل، وإنما هي الحقيقة، فالباطل بطبيعته قبيح مقيت كريه، والإسلام بطبيعته حسن جميل محبوب، فقط عليك أن تعرض الصورة بوضوح، وستختار الفطرة السليمة دين ربها.

المقطع الرابع: جعفر بن أبي طالب ﷺ يكيد من الكافرين:

وهو غاية في الذكاء والتوفيق، قال جعفر ﷺ: "فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا".

ثم أتبع ذلك فقال: "فعدَا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث".

وهنا يبرز جعفر بن أبي طالب ﷺ الدور القبيح للكافرين، وكان منهم آنذاك عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، ولا شك أن موقفهما أصبح ضعيفًا جدًّا، ولا ننسى هنا أن صور التعذيب والابتلاء تستهوي قلوب النصارى كثيراً؛ فهي تذكرهم بالحواريين الذين عُذِّبوا من قبل، وبالذين كانوا يفتنونهم عن دينهم بأبشع الأساليب، بل تذكرهم بصورة المسيح.

وهكذا سيطر جعفر ﷺ تماماً على مشاعر النجاشي، بل وعلى مشاعر الأساقفة من حوله، وقد ختم بيانه هذا بمقطع سياسي حكيم قال فيه: "فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاّ نظلم عندك أيها الملك" (1).

وهنا -وفي صدقٍ تام وفي غير نفاق ولا كذب- يرفع جعفر ﷺ من شأن النجاشي، فيذكر أفضليته على من سواه في مثل مكانه، ويرفع من قيمة العدل عنده، وهو بذلك يكسب قلبه، فيلين جانبه وتهدأ نفسه؛ فلا يتسرع بحكم، ولا يجور في قضاء.

أمام خطاب وبيان جعفر ﷺ وقد بدا عليه وكأنه بدأ يقتنع بكلامه ويهتم بأمر هذا الدين الجديد، سأله النجاشي قائلاً: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قال جعفر ﷺ: نعم. قال النجاشي: اقرأه عليّ.

وفي الآيات التي سيقرؤها على النجاشي فكر جعفر، ثم هداه الله إلى اختيار موفّق، فبرغم كثرة السور التي نزلت في مكة، إلا أنه اختار صدر سورة مريم.

اختار السورة التي تتحدث عن عيسى وزكريا ويحيى -عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم-اختار السورة ذات السياق العذب اللطيف، تلك التي تجذب قلوب السامعين وتأخذ بألبابهم وأفئدتهم، فتنشرح صدورهم لما جاء من عند الرحمن الرحيم، فقرأ جعفر:

---

(1) عبد الواحد، سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ عَليه الصَّلاة وَالسَّلام (ج142/1).

قال ﷻ: ﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٦ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ٢١ ۞فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ٢٢﴾ [مريم: 1-22].

لم يتحمل النصارى أثر تلك الكلمات المعجزة، فما تمالكوا أن انهمرت دموعهم غزيرة فياضة، وبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكى الأساقفة، ولم تقف هدايا عمرو حائلاً بين كلام الله ﷻ وبين قلوب السامعين، وهنا وبوضوح أخذ النجاشي القرار وقال:

"إن هذا والذي جاء به موسى (وفي رواية: عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة". وإن هذا ليعد إقراراً منه بصدق الرسالة، وصدق رسول الله وصدِق جعفر ﷺ ومن معه. ثم التفت إلى عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة وقال لهما: "انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً" (1).

وبهذا يكون الوفد الإسلامي قد نجح أعظم نجاح، ولم ينجح في إقناع عقل النجاشي وأساقفته فقط، بل تعدى ذلك حتى وصل إلى قلوبهم، وكانت هذه الجولة بكاملها في صفِّ المؤمنين، وهُزم سفيرا قريش هزيمة منكرة، وذلك في أول تجربة لقريش مع المؤمنين على أرض محايدة (2).

---

(1) انظر: الصلَّابي، السيرة النبوية –عرض وقائع وتحليل أحداث (ج199/1).

(2) انظر: السرجاني، خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي (محاضرة).

وهكذا وبثبات المسلم وعزته، وعلوه بإيمانه، ودعوته انتصر المؤمن الموحد على الكافر بخطابه الموزون وبراهينه الحافزة والقوية وحنكته وفراسته التي وهبها الله ﷻ له كي وبتوفيق الله ﷻ ينتصر على عدوه ويحمي دينه ودعوته.

الخلاصة من قصة جعفر ﷺ:

1. أن صاحب الحق منتصر لا محالة مهما تكالب عليه الظالمون.
2. التحدث عن المواقف والصفات الجيدة والطيبة لدى الحكم والثناء عليه بما يستحق.
3. معرفة ظروف الخصم وانتقادها واستغلال ذلك لصالح المسلم المحاور.
4. بيان أهمية ظروف المؤمن وما تعرض له من ظلم واضطهاد لأنه آمن بالله ﷻ.
5. أن يستند المحاور على أسس قوية، يحاور بها الخصم من إيجابيات المحاور وسلبيات الخصم.
6. أن يكون المحاور هادئا وسلسلاً في حواره، ويمتلك الجرأة والخبرة في الرد على الخصم.
7. أن يكون همه نصرة الحق ولا يكون همه أن يمجد نفسه في هذا الأمر.

وهناك الكثير من الحوارات بين المؤمنين الصالحين الموحدين مع الظالمين والكفار، كتبت في كتب السير، وفيها ما هو نصرة للإسلام والمسلمين ولحفظ الدين، كحوار عبدالله بن حذافة السهمي مع قيصر الروم، وربعي بن عامر مع الفرس، وأحمد بن حنبل وصبره في قضية خلق القرآن، وسعيد بن جبير مع الحجاج، وفي هذه الحوارات بينت عزة المسلم الصابر المحتسب في كل موقف من المواقف الإيمانية الرائعة التي تنم عن ثبات العقيدة وحسن التربية والأخلاق التي اتصف بها المسلمون في مواجهة أعداء الله من الكفار والظالمين.

المبحث الثالث

علو أهل الجنة

المطلب الأول

علو أهل الجنة واكتسابه من الله ﷻ

الجنة مطمع ومطلب كل مؤمن موحد بربه ﷻ لأنها دار المستقر في الآخرة، ولذلك وجب على كل مسلم أن يسعى للآخرة بجد واجتهاد وعمل دؤوب لينال رضا الله ﷻ، وليفوز في الدارين الدنيا والآخرة ومن كان يريد الخير في الدنيا فقط أعطاه الله ووسع عليه ومنهم من يقتر عليه جياته بقضائه وقدره قال ﷻ: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا١٩**﴾ [الإسراء:18-19]

يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: "من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثواباً ولا عقاباً من ربه على عمله ﴿**عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ**﴾ يقول: يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا**﴾ يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، (**مَذْمُومًا**) على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أيادينا عنده في الدنيا (**مَّدْحُورًا**) يقول: مبعدا: مقصى في النار" [1].

قال ﷻ: ﴿**وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ٢٦**﴾ [المطففين:26]. والجنة يتنافس المتنافسون لها، وهي أفق تستحق السباق، وغاية تستحق التضحية والعمل للآخرة، الذين يتنافسون في شيء من أشياء الأرض، مهما كبر وجل وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في شيء حقير فان قريب، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة هزيلة زهيدة، فهون من شأنها وارفع نفسك عنها قال رسول الله ﷺ: **(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)** [2].

فإن وجدت الكافر والعاصي ومن لا يعرف الله ﷻ حق المعرفة يتقلب في شيء من النعيم في هذه الدنيا فلا تعجب إنما أعطاه الله ﷻ شيء لا يساوي جناح بعوضه، ويوم القيامة

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج409/17).

(2) [النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج341/4: رقم الحديث 7847]. حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

يكون وبالاً عليه فالدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر، ليس السباق إلى إحراز اللهو واللعب والتفاخر والتكاثر بسباق يليق بمن شبوا على الطوق، وتركوا عالم اللهو واللعب للأطفال والصغار، فلا تغر الحياة الدنيا الإنسان المؤمن، إنها مليئة بالفتن والمغريات، تظنها ثقيله ذات قيمه لكنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، فما السباق إلى ذلك الأفق، وإلى ذلك الهدف، وإنما إلى ذلك الملك العريض، إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض.

فالتنافس والسباق يكون فيما فرض الله ﷻ من الطاعات والعبادات والتقرب لله ﷻ بكل أعمال الخير والعمل المستمر في الدعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بأمور الدين قال ﷺ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة :105] وهو عمل في الدنيا من أجل الآخرة فالمؤمن بطاعته وعبادته الحقة يعلو على الكافرين في الدنيا والآخرة والله ﷻ هو الذي يقدر العمل ويعرف ما في نفوس البشر من خير وشر ومن رياء وإخلاص.

يقول الطبري: "فسيرى الله إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا (وَسَتُرَدُّونَ)، يوم القيامة، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون، وما منه خالصاً، وما منه رياءً، وما منه طاعةً، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"(1).

فالمؤمن يدخل الجنة برحمة الله ﷻ بعد العمل وإخلاص النية لله ﷻ ولأن قبول العمل لا يعلمه إلا الله فقد قال رسول الله ﷺ: **(ما من أحد يدخله عمله الجنة فقيل: ولا أنت؟ يا رسول الله قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني ربي برحمة)**(2). ولكن العمل مطلوب لأن الله ﷻ طلب من المؤمن أن يعمل والنتائج عنده ﷻ وهو الذي يعلم السر وأخفى, فعن عمران بن حصين، قال: **(قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له، أو: لما يسر له)**(3).

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج463/14).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار/لن يدخل الجنة أحد بعمله، ص1295: رقم الحديث 2816].

(3) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، القدر/جف القلم على علم الله، ص911: رقم الحديث 6596]؛ [مسلم: صحيح مسلم، القدر/كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، ص1223: رقم الحديث 2649].

من أسباب دخول الجنة:

1 - الإيمان بالله وعدم الإشراك به:

قال ﷻ: **﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾** [المائدة:72]، وعن أبي هُريرةَ ﷺ قال: سمعتُ ﷺ يقول: **(قال الله تعالى: أنا أغْنَى الشُّركاء عن الشِّرك، مَن عمِل عملاً أشْرك فيه معي غيري تركتُه وشِرْكه)**[1] .

2– المحافظة على صلاة الصبح والعصر

قال رسول الله ﷺ: **(من صلى البردين دخل الجنة)** [2]. والبردان هما وصلاة الفجر وصلاة العصر.

3–الحج المبرور:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)** [3].

4–كثرة الصيام:

عن سهل ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد)** [4].

ويقوم المؤمن بصيام النوافل كالأيام الست من شوال، ويومي الاثنين والخميس، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء، يتقرب بهم لله ﷻ وكي يقي نفسه من النار.

5– الصلاة على مواقيتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله: عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: **(قلت: يا نبي الله، أي الأعمال أقرب إلى الجنة؟ قال: "الصلاة على مواقيتها" قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: "بر الوالدين" قلت: وماذا يا نبي الله؟ قال: "الجهاد في سبيل الله")**[5].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الزهد، والرقائق/من أشرك بعمله غير الله، ص1361: رقم الحديث 2985].

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، مواقيت، الصلاة/فضل صلاة الفجر، ص84: رقم الحديث 574]؛ [مسلم: صحيح مسلم، المساجد/ فضل صلاتي الفجر والعصر، ص285: رقم الحديث 635].

(3) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، العمرة والحج/باب العمرة وجوب العمرة وفضلها، ص236: رقم الحديث 1773]؛ [صحيح مسلم: الحج/ فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ص613: رقم الحديث 1349].

(4) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الصوم/الريان للصائمين، ص252: رقم الحديث 1896]؛ [صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، ص551: رقم الحديث 1152].

(5) [مسلم: صحيح مسلم: الإيمان/ بيان الإيمان بالله أفضل الأعمال، ص: رقم الحديث 85].

6- من أحصى اسماء الله الحسنى:

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة)**[1]. "أى عرفها وحفظها وفهمها وعمل بمقتضاها وتعبد بها وآمن بها كلها"[2].

7 - بناء مسجد:

عن عثمان بن عفان ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة)** [3].

8 - اجتناب الكبائر:

قال رسول الله ﷺ: **(من جاء يعبد الله لا يشرك به شيئا ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر فإن له الجنة وسألوه ما الكبائر قال الإشراك بالله وقتل النفس المسلمة وفرار يوم الزحف)** [4].

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الشروط/ الريان للصائمين، ص396: رقم الحديث 2736]؛ [مسلم: صحيح مسلم: الذكر والدعاء والتوبة/ أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ص551: رقم الحديث 2677].

(2) ابن مَنْدَه، التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد (ج196/2).

(3) [ابن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، ج2/ 268: رقم الحديث 1291]؛ [البغوي، شرح السنة، ج437/2: رقم الحديث 461]؛ [ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعة/ باب من بنى لله مسجدا، ص 141: رقم الحديث 736]. صححه الألباني.

(4) [النسائي: السنن الكبرى، تحريم الدم/ ذكر الكبائر، ص619: رقم الحديث 4009]؛ صححه الألباني.

المطلب الثاني

درجات أهل الجنة وتفاوتهم فيها

الجنة هي دار الفائزين والمتقين والمؤمنين، فهي هدية الله ﷻ لعباده المخلصين، الذين اتبعوا أوامر ربهم وأطاعوه واتقوه، فمن علّق قلبه بربه واجتنب المعاصي وعمل عملاً صالحاً فيكون الفائز بجنّات النعيم، فهي حلم كل إنسان مسلم، حيث هناك الراحة الأبدية والسعادة والهناء، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فنرجوا الله أن يرزقنا وإياكم دخوله، وأن يسكننا الفردوس الأعلى مع النبيين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

"والوصول للجنة يكون بالتقوى والعمل الخالص النقي الطاهر، والعابدين الزاهدين الذين جعلوا حياتهم كلها لله ﷻ من أهلها قال ﷻ: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل:31-32]، فالملائكة عندما تقبض أرواح المؤمنين الموحدين العاملين والطائعين لله ﷻ، تبشرهم بدخول الجنة جزاءً بما كانوا يعملون في الدنيا، وتعطيهم الطمأنينة والسلام. "﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ أي طاهرين من الشرك" (1) .

ودخول الجنة يكون بالتضحيات الكبيرة في النفس والمال، فتقديم النفس رخيصة في سبيل الله من أجل نصرة الإسلام والمسلمين من أسمى المطالب والتضحيات في سبيل الله ﷻ، وبذل المال أيضاً في سبيل الله في تجهيز الغزاة للمعارك، وفي الصدقات للفقراء والمحتاجين قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾ [التوبة:111].

يقول ابن عباس: "إن الله اشترى من المؤمنين المخلصين أنفسهم وأموالهم بالجنة يقاتلون في طاعة الله فيقتلون العدو ويقتلهم العدو وعداً على الله واجباً أن يوفيهم في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفر بوفاء عهده من الله {فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به} الله يعني الجنة {وذلك هو الفوز العظيم} النجاء الوافر"(2).

---

(1) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج605/1).

(2) ابن عباس، نوير المقباس من تفسير ابن عباس (ج167/1).

والجنة مهرها غالي وهو قهر النفوس وجبلها على طاعة الله ﷻ وترك المعصية والتقرب لله ﷻ بجميع أنواع العبادات، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **(حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)** [1]. لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره ومنها بذل النفس والمال والولد والصبر على الابتلاء، ولا يوصل إلى النار إلا بالشهوات التي تؤدي إلى المعاصي والآثام، وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل إلى المحبوب فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات.

"ولهذا قال ﷺ: (حفت الجنة بالمكاره) يعني: لمخالفة أسبابها من الأعمال الصالحة للهوى (وحفت النار بالشهوات) لموافقة أسبابها من المعاصي للهوى. فطوبى لمن كان هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ، وويل لمن قدم هواه على ذلك، لقد هلك"[2].

درجات الجنة:

والجنة فيها درجات، ويسكن المؤمن في الدرجة التي قدرها الله ﷻ له، حسب أعماله وأقواله ورحمة الله ﷻ به، وتقدير الله ﷻ له في مكانته في الجنة، وحسن عمله واجتهاد العاملين في الدنيا واستعدادهم للآخرة، لقوله ﷻ: **﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾** [المجادلة:11]، ولقوله ﷻ: **﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾** [يوسف:76]، ولقوله ﷻ:**﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾** [الانعام:132]، ولقوله ﷻ: **﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾** [الأنعام:165]

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: "ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويثيبه بها، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً (وما ربك بغافل عما يعملون)، يقول جل ثناؤه: وكل ذلك من عملهم، يا محمد، بعلم من ربِّك، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه" [3].

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الرقائق/ حجبت النار بالشهوات، ص898: رقم الحديث 6487]؛ [مسلم: صحيح مسلم: الجنة، وصفة نعيم أهلها، ص1298: رقم الحديث 2822].

(2) الحكمي: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج540/2).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج125/12)

وعن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال: **(في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس)** (1).

فالدرجات تكون مع الطاعة في الجنة، والدركات تكون مع المعصية في النار.

أسباب تفاوت الدرجات في الجنة:

أولا: الإيمان بالله ﷻ والعلم:

فالإيمان بالله ﷻ هو أهم سبب بداية في دخول الجنة؛ حيث أن المشرك والكافر والمنافق لا يدخلون الجنة، وذلك بسبب عدم إيمانهم بالله ﷻ وارتكابهم المعاصي والآثام وتعاليهم على الله ﷻ، وابتعادهم عن نواهيه، كما أن العلم أيضاً سبب في دخول الجنة وارتقاء صاحبه في الدرجات العلى من الجنة، قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة:11]، "يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان، والله ﷻ خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها"(2).

ثانيا: قراءة وحفظ القرآن:

قد لا يعرف تحديداً عدد درجات الجنة، مع قول النبي ﷺ أنها مئة درجة، وقد قيل إنها بعدد آيات القرآن الكريم أخذا من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: **(يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)**(3) .

قال المنذري في الترغيب: قال الخطابي: "جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة في الآخرة، فيقال للقارئ ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة". (4)

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، صفة الجنة عن رسول الله ﷺ/ما جاء في صفة درجات الجنة، ص570: رقم الحديث 2531]. صححه الألباني.

(2) التفسير الميسر (ج543/1).

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، ثواب القرآن/ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من أجر، ص651: رقم الحديث 2914]؛ [أبو داوود: سنن أبو داوود، الصلاة/كيف يستحب الترتيل في القراءة، ص253: رقم الحديث 1464]. حسن صحيح الألباني.

(4) المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف (ج228/2).

ثالثا: الجهاد في سيل الله ﷻ:

فالجهاد ذروة سنام الإسلام، وبه تحرر البلاد والعباد، وبه ترفع راية الجهاد، وبه يعز الله ﷻ أقواما ويضع آخرين، وهو فرض على كل مسلم أن يقوم به إذا احتلت بلاد المسلمين من أجل تحريرها، وفيه الأجر العظيم، وهو مطلب الموحدين المؤمنين الصادقين حيث فيه النصر أو الشهادة ليكون الشهيد في الفردوس الأعلى مع النبيين والصالحين والصديقين.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **(يا أبا سعيد من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وجبت له الجنة** فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها علي يا رسول الله، ففعل، ثم قال: **وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: **الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله).**[1]

وعن أبي نجيح السلمي ﷺ قال حاصرنا مع رسول الله ﷺ الطائف فسمعته يقول: **(من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة". قال فبلغت يومئذ ستة عشر سهم)** [2].

فالمجاهد له الدرجات العلى في الجنة مع شرف الجهاد في الدنيا ومقارعة أعداء الله وقد حث النبي ﷻ على الجهاد وحبذه وبين فضله وأهميته للمسلمين.

رابعا: التواضع:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عز وجل عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع عبد لله عز وجل إلا رفعه الله عز وجل)** [3].

فالتواضع خصلة محمودة يحبها الله ﷻ، ويحب المتواضعين ويرفع درجاتهم في الدنيا والآخرة، ويكون له الحب والاحترام والتقدير بين الناس، والكبر مذموم ويعاقب الله ﷻ المتكبرين يوم القيامة، والمتكبرين يبغضهم الناس وهم منبوذون في المجتمع بسبب كبرهم وتعاليهم على الناس فالمتواضع يرى الناس كباراً وهم كذلك يرونه كبيراً.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الامارة/ بيان ما أعده الله للمجاهد، ص911: رقم الحديث 1884].

(2) [النسائي: سنن النسائي، كتاب الجهاد/ثواب من رمى بسهم في سبيل الله، ص485: رقم الحديث 3142]؛ [الهيثمي، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج396/1: رقم الحديث 1945]. صححه الألباني.

(3) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ استحباب العفو والتواضع، ص1201: رقم الحديث 2588].

خامسا: محبة النبي ﷺ وأصحابه:

عن أنس بن مالك ﷺ، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: (يا رسول الله متى الساعة؟ قال: **وما أعددت للساعة؟** قال: حب الله ورسوله، قال: **فإنك مع من أحببت.** قال أنس: فما فرحنا، بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي ﷺ: **فإنك مع من أحببت.** قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم) [1].

فحب النبي ﷺ وأصحابه عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، ويحشر الإنسان مع من أحب، ويكون معه في الدرجات العلا إن صدق في حبه، وحب النبي ﷺ يكون باتباعه والعمل بأوامره والابتعاد عن نواهيه قال ﷻ: **﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣١﴾** (آل عمران:31).

استغفار ودعاء الابن لوالديه:

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك)** [2].

---

(1) [صحيح مسلم: البر والصلة والاداب/ المرء مع من أحب. ص1218: رقم الحديث 2639].

(2) [مسند الامام أحمد: ج356/16: رقم الحديث 10610]؛ [أبو شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار ج6/ص93: رقم الحديث 29740]. حديث حسن.

المطلب الثالث

نعيم أهل الجنة وتفاخرهم به على الكافرين

إنّ الجنة هي سلعة الله الغالية التي عَرْضُها السماوات والأرض، وهي التي لا يفوز بها إلا المؤمنون الموحدون، الذين آمنوا بربهم، وعبدوه حق عبادته، ولم يشركوا في عبادته شيئاً، والذين عملوا صالحاً في حياتهم الدنيا، واستعدوا للقاء ربهم في الآخرة. وقد جاء في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة الكثير من النصوص الشرعية التي تَصِف الجنة وتُرَغِّب بها، وتصف النار وتُرَهِّب منها. ولو أردنا حصرها جميعاً لطال الكلام، وضاق المقام، قال ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ١٥﴾ [محمد: 15]. فالجنة هي دار الخلد والسعادة، والراحة الأبدية، ففيها الأمان الدائم في ظل عرش الرحمن، وفيها الأنهار الجارية، والقطوف الدانية، والسرر المرفوعة، والأكواب الموضوعة، والنمارق المصفوفة.

بعض صور نعيم الجنة:

أولا: رؤية الله ﷻ في الجنة:

فرؤية الله ﷻ حقيقة واقعة يوم القيامة للمؤمنين الموحدين الصادقين الذين آمنوا به ولم يروه وعبدوه وأطاعوه، حباً وخوفاً ورجاءً وطمعاً في عفوه ومغفرته ورضاه، قال ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ [القيامة:22-23]. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**(إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا)** (1).

قال ابن حجر في فتح الباري وقوله: "فإن استطعتم أن لا تغلبوا": "فيه إشارة إلى قطع أسباب الغلبة المنافية للاستطاعة كالنوم، والشغل، ومقاومة ذلك بالاستعداد له"(2).

قال: في عون المعبود في قوله: "قبل طلوع الشمس وقبل غروبها: "يعني الفجر والعصر، وخص بالمحافظة على هاتين الصلاتين الصبح والعصر لتعاقب الملائكة في

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ ص1020: رقم الحديث 7434].

(2) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج33/2).

وقتهما، ولأن صلاة الصبح وقت النوم، وصلاة العصر وقت الفراغ من الصناعات، وإتمام الوظائف، فالقيام فيهما أشق على النفس" [1].

"وأجمع عليه أهل الحق وسلف الأمة وأهل الصدق وأعلام الأئمة، ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف، وأنعم نعيم الجنة قدراً، وأعلاه وأغلاه خطراً وأمراً، وهي الغاية القصوى والنهاية العظمى التي شمر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واتفق الأنبياء والمرسلون، والصحابة والتابعون، وأئمة السلف والدين على ثبوتها في دار القرار، من غير شك ولا إنكار، وإنما أنكرها أهل البدع والضلال" [2].

ثانيا: المآل إلى وعد الله في الجنة من النعيم:

إن الله ﷻ وعد المؤمنين الصادقين الجنات والنعيم المقيم، من اتبع رضوانه سبل السلام، ويوم القيامة يرى المؤمن هذا النعيم والخير المقيم متاع الدنيا واقع مشهود، ونعيم الجنة غيب موعود، والناس يتأثرون بما يرون ويشاهدون، ويثقل على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي، فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت؟

قال ﷻ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [الأعراف:44].

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: "ونادى أهلُ الجنة أهلَ النار بعد دخولهموها: يا أهل النار، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا في الدنيا على ألسن رسله، من الثواب على الإيمان به وبهم، وعلى طاعته، فهل وجدتم ما وعدنا ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب؟ فأجابهم أهل النار: بأنْ نعم، قد وجدنا ما وعد ربنا حقًّا" [3].

ثالثا: متاع أهل الجنة وملبسهم:

وأما لباس أهلها، فهو الحرير والذهب والسندس والإستبرق، فقد حرموا هذه الملابس في الدنيا ولكن الله ﷻ يلبسهم إياها في الآخر جزاء من ربك عطاء حسابا قال ﷻ: ﴿وجَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ [فاطر:33].

---

(1) آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم (ج39/13).

(2) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية (ج241/2).

(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج446/12).

قال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:31].

"وأما فرشها، فمن إستبرق مفروشة في أعلى الرتب. قال ﷻ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ ﴾ [الرحمن:54]. إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله تعالى" [1].

"وأما الأرائك فهي الأسرّة قال ﷻ: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ١٦﴾ [الغاشية:13-16].

السرر **(مَّرْفُوعَةٌ)** بعضها فوق بعض أو في أنفسهم لجلالتها وحبهم لها أو مرفوعة المكان ليلتذوا بارتفاعها أو ليشاهدوا ملكهم ونعيمهم. **(مَّوْضُوعَةٌ)** بين أيديهم ليلتذوا بالنظر إليها لأنها ذهب وفضة أو مستعملة على الدوام لاستدامة شربهم. **(وَنَمَارِقُ)** الوسائد والمرافق. البسط الفاخرة أو الطنافس المخملة **(مَبْثُوثَةٌ)** مبسوطة أو بعضها فوق بعض أو كثيرة أو متفرقة" [2].

رابعا: رؤية سيدنا محمد على الحوض:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة، فقال: **(السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أني قد رأيت إخواننا، فقالوا: يا رسول الله، ألسنا بإخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي. وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. وأنا فرطهم على الحوض، فقالوا: يا رسول الله؟ كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى، يا رسول الله قال: فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء. وأنا فرطهم على الحوض. فلا يذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم ألا هلم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: فسحقا. فسحقا. فسحقا)**.[3]وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال النبي ﷺ للأنصار: **(إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض)**[4].

---

(1) العز بن عبد السلام، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) (ج269/3).

(2) المصدر السابق: (ج446/3).

(3) [مسلم، صحيح مسلم كتاب الطهارة/باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: ج130/1: رقم الحديث 249].

(4) [البخاري، صحيح البخاري: مناقب الأنصار/ قول النبي للأنصار (اصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض)، ص514: رقم الحديث 3793].

ملاحظة:

هذا المطلب متعلق بالآخرة، ولكن أردنا أن نبين فيه جزاء من علا في الدنيا بإيمانه وطاعته لله ﷻ، ومن علا واستكبر بكفره وطغيانه؛ فالأول له الجنة والنعيم المقيم في الآخرة، والآخر له النار وبئس المصير، وأردنا أن نربط ما في الأرض بما في السماء من نعيم مقيم أو عذاب أليم.

الفصل الثانــي

العلو المذموم والفساد

المبحث الأول

علو إبليس وإفساده

المطلب الأول

استكبار إبليس عن السجود لآدم

أولا: خلق آدم:

لقد خلق الله ﷻ السماوات والأرض، وما فيهما من مخلوقات وأجرام تدل على عظمة الخالق، وخلق الله ﷻ الملائكة لعبادته، وطاعة أمره في السماوات العلا، ومنهم من يتكفل بمتابعة ومراقبة البشر على الأرض، وخلق أيضا الشيطان لأمر يعلمه الله ﷻ في السماء ثم أنزله إلى الأرض وحرم عليه الجنة؛ ولذلك خلق الله آدم عليه السلام قال ﷻ: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ٣٠﴾** [البقرة:30].

فالله ﷻ خلق الانسان ليكون خليفته على الأرض، ولعبادته ونشر دينه على الأرض ليمر هذا الانسان بمرحلة الاختبار الدنيوي وبعدها يعود يوم الحساب لله ﷻ ويحاسب على أعماله، فإن كان خير فمن الله وله الجنة، وإن كان غير ذلك فمن نفسه وله النار والعياذ بالله منها.

قال ابن كثير: "كان الجن بنو الجان في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنة، فأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، فبعث الله جندا من الملائكة فضربوهم، حتى ألحقوهم بجزائر البحور، فقال الله للملائكة: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾** قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ **﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**.

"وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾** إلى قوله: **﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ٣٣﴾** [البقرة:33]. قال: خلق الله الملائكة يوم الأربعاء وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة؛ فكفر قوم من الجن، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم، فكانت الدماء بينهم، وكان الفساد في الأرض، فمن ثم قالوا: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾** كما أفسدت الجن**﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾**كما سفكوا" [1].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج219/1).

فالملائكة قدرت أن الإنسان سيفسد في الأرض وبني الانسان يقتل بعضه بعضاً، وسيكون عندهم الإفساد الكبير، وقدروا هذ الأمر قياساً على ما فعله الجن قبلهم من قتل وإفساد فيما بينهم ولكن الله ﷻ أخبرهم أنه يعلم ما لا يعلمون وأنه سيخلق هذا الخلق لطاعته وعبادته وإن كفر بعضهم أو عصى أو فعل المنكرات. فعن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ:**(خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)**[1] .

فالنبي ﷺ يبلغنا ويعلمنا المادة التي خُلق منها الملائكة والجان والبشر، كل على وصفه وهيئته.

قول: "هذا بدء خلق آدم، خلقه الله أول بدء من تراب، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء، ومن طينة طيبة وسبخة، فكذلك ذريته طيب، وخبيث، أسود وأحمر وأبيض. ثم بلَّ ذلك التراب فصار طيناً، فذلك قوله: "من طين" فلما لصق الطين بعضه ببعض، فصار طيناً لازباً، بمعنى لاصقًا، ثم قال: **﴿مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾**. يقول: مثل الطين إذا عصر انسل من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأ مسنوناً، فخلق من الحمأ، فلما جفَّ صار صلصالاً كالفخار، يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار، له دوي كدوي الفخار" [2].

وبعد أن خلق الله ﷻ آدم ﵇ وأحسن صورته وخلقه، طلب من الملائكة وإبليس أن يسجدوا لآدم، فسجد الملائكة كلهم من دون تردد أو تفكير بل استجابة سريعة لرب العباد الذي خلقهم جميعاً وسواهم على ما يريد رغم أنهم قالوا لله ﷻ أجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء ولكن كان هذا نظرهم القريب في آدم وذريته ولكن الله ﷻ يريد شيئا آخر لآدم وذريته وهي الاختبار وبعدها دخول الجنة أو النار كل حسب عمله وكانت الاستجابة والسجود لآدم ولكن إبليس –لعنه الله– عصى أمر ربه وقال: **﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾** [ص:76]. فضل نفسه على آدم بقياس نفسي، قياس الكبرياء والغرور، وبقياس أن الفاضل لا يسجد للمفضول **﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾**، مع أن الله ﷻ يعلم من هو الأفضل، وحتى ولو أن الله ﷻ طلب من الفاضل أن يسجد للمفضول، يجب عليه أن يسمع ويطيع دون شك أو تردد لأن الآمر هو الله ﷻ، فنجد الملائكة قد سجدت دون تفكير أو تردد، مع أنها هي الأفضل في خلقها من آدم لأنها خلقت من نور؛ والنور أفضل من التراب ولكن السمع والطاعة لله ﷻ كانت حاضرة في نفس الملائكة، بالرغم من أن الملائكة قد قالت عن آدم وذريته أتجعل فيها

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الزهد والرقائق/ في أحاديث متفرقة، ص1364: رقم الحديث 2996].

(2) الشيباني، الرد على الجهمية والزنادقة (ج67/1).

من يفسد فيها ويسفك الدماء، هذا كان توقع الملائكة مع العلم أن الله ﷻ هو الذي يعلم الغيب، ويعلم ما سيكون وهو يعلم ما الذي سيفعله بنو آدم.

ولكن عناد إبليس واستكباره وغروره، ووصف نفسه أنه هو الأفضل ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦﴾[ص:76] جعله يعصي الله ﷻ عصيان استكبار وعلو وبعد عن الجادة والصواب أودى به إلى غضب الله ﷻ وطرد من الجنة والوعيد بالنار وقد بين الله في القرآن تفاصيل رد إبليس واستكباره الصفة التي لحقت به من الرجم والوعيد والعقاب الشديد والطرد من الجنة والخلود في النار.

قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ [البقرة:34]. وقال ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾ [الأعراف:11]. وقال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾ [الكهف:50].

وقال ﷻ: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨﴾ [ص:71-78]. "ففي الايات السابقة كانت تتحدث عن خلق آدم وسجود الملائكة ومعصية إبليس. "فذكر قصة آدم واستكبار إبليس عليه، فقال: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أي: واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا سجود تحية وتكريم، كما مر تحقيقه فسجدوا طاعة لأمر الله وامتثالاً لطلبه السجود إلا إبليس فإنه أبى واستكبر ولم يسجد، وجملة كان من الجن مستأنفة لبيان سبب عصيانه وأنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة فلهذا عصى، ومعنى ففسق عن أمر ربه أنه خرج عن طاعة ربه"[1].

فالسجود لآدم عليه السلام هو سجود تكريم وليس سجود طاعة، لأن المستحق للطاعة والمعبود الذي يعبد ويطاع هو الله ﷻ وأراد الله ﷻ أن يبين للملائكة وإبليس أهمية آدم عنده ويجب أن يكرم فمن سمع وأطاع فله الجنة ومن عصى ورفض فله النار والعياذ بالله.

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج346/3).

"فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهر، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستترا عنهم من ذلك، عاتبه ربه على ما أظهر من معصيته إياه بتركه السجود لآدم، فأصر على معصيته، وأقام على غيه وطغيانه-لعنه الله-فأخرجه من الجنة، وطرده منها، وسلبه ما كان آتاه من ملك السماء الدنيا والأرض، وعزله عن خزن الجنه فقال له جل جلاله: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ ، يعني من الجنة، قال ﷻ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ٧٨﴾ [ص:77-78]، وهو بعد في السماء لم يهبط إلى الأرض" [1].

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك (ج103/1).

المطلب الثاني

معصية إبليس لله تعالى

إبليس وخلقه ومكانته:

معصية ابليس لله تعالى جاءت بعد أن أمره الله ﷻ أن يسجد لآدم عليه السلام، وتنكر لهذا الأمر ورفض السجود بحجة الأفضلية، ولكن الله ﷻ كان يعلم ما في نفس إبليس من الغرور والكبر وأراد أن يظهره للملائكة الذين قالوا في آدم عليه السلام أنه سيكون هو وذريته مفسدون في الأرض، وبين لهم خبث إبليس لعنه الله وما كان فيه من الغرور والكيد، والملائكة كانت لا تعلم ذلك حيث أن إبليس كان يتجول في الجنة حيث يشاء.

وإبليس كان من أهل الأرض من الجن ولشدة طاعته رفعه الله ﷻ إلى السماء تكريماً له، وصار يتجول في الجنة حيث يشاء وقيل أنه كان خازنا من خزان الجنة.

عن ابن عباس قال رضي الله عنه: "كان إبليس من خزان الجنة، وكان يدير أمر سماء الدنيا. وعنه كان إبليس من أشراف الملائكة وكرمهم قبيلة وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان السماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض. وكان فيما قضى الله ﷻ أنه رأى أن له بذلك شرفاً وعظمة على أهل السماء فوقع في قلبه من ذلك كبر لا يعلمه إلا الله ﷻ فلما كان عند السجود، حين أمر أن يسجد لآدم عليه السلام استخرج الله ﷻ كبره عند السجود فلعنه وأخره إلى يوم الدين" [(1)].

قال الحسن البصري:[(2)] "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم، عليه السلام، أصل البشر" [(3)].

---

(1) القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره (ج4402/6).

(2) الحسن بن يسار البصري (21هـ/642م - 110هـ/728م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بـأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة، كانت أم الحسن تابعة لخدمة أم سلمة، فترسلها في حاجاتها فيبكي الحسن وهو طفل فترضعه أم سلمة لتسكته وبذلك رضع من أم سلمة، وتربى في بيت النبوة. كانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، ودعا له عمر بن الخطاب، فقال "اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس". حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره. الأعلام للزركلي (2/ 266).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج167/5).

يقول الشيخ الشنقيطي(1): "وأظهر الحجج في المسألة حجة من قال: إنه غير ملك. لأن قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:50]، وهو أظهر شيء في الموضوع من نصوص الوحي. والعلم عند الله تعالى" (2).

والأمر هنا أن إبليس كان مع الملائكة بصورته في الطاعة والعبادة، ولكن لم يكن من مادتهم المخلوقة، فالملائكة من نور، وإبليس من النار، وشتان بين النور والنار في الخلق، حيث أن النور أفضل من النار ولو كان إبليس من الملائكة لأطاع الله وسجد لآدم لأن الملائكة معصومون من معصية الله ﷻ قال ﷻ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]. ورغم اختلاف الأقوال في مكانة إبليس قبل المعصية فإنه كان في الجنة ومن المقربين حيث كان يصول ويجول في الجنة ومع الملائكة فهذا لا يقدح في كونه عابداً لله ﷻ فيما يراه الملائكة ولكن الله ﷻ أعلم ما في نفسه وقد أخر فضحه لأجل مسمى.

"وقد بين **الامام ابن القيم** القول الفصل في هذا الأمر في توضيح هل إبليس من الملائكة أم الجن **فقال رحمه الله**: "فإن إبليس كان مع الملائكة بصورته وليس منهم بمادته وأصله فإن أصله من نار وأصل الملائكة من نور، فالنافي كونه من الملائكة والمثبت كونه منهم لم يتواردا على محل واحد"(3).

أن ما ورد في الكتاب والسنة من وصف إبليس بالعصيان، وأن له ذرية، وأنه مخلوق من النار، وأنه يأكل ويشرب، يدل دلالة ظاهرة على أنه من الجن، لأن هذه الصفات من صفات الجن دون الملائكة.

المعصية والطرد من رحمة الله ﷻ:

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:76] هكذا كان الرد من إبليس –لعنه الله– لله ﷻ، فعندما خلق الله ﷻ آدم وأمر الملائكة وإبليس السجود لآدم عليه السلام رفض السجود وتعالى في نفسه الكبر والحقد والحسد لآدم لأنه علم في قرارة نفسه أن آدم

---

(1) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المدني. ولد بموريتانيا عام 1325 هـ حوالي 17 فبراير 1905 مدينة تنبه في موريتانيا، حيث نشأ يتيماً فكفله أخواله وأحسنوا تربيته ومعاملته، فدرس في دارهم علوم القرآن الكريم والسيرة النبوية المباركة والأدب والتاريخ، فكان ذلك البيت مدرسته الأولى، عُرف عنه الذكاء واللباقة والاجتهاد والهيبة. عين عضواً في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً في هيئة كبار العلماء 1391/7/8 هـ. توفي سنة 1393هـ– 1974م. أعلام في أرض النبوة: ص458.

(2) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (ج291/3).

(3) الشحود، الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل (ج51/1)؛ القاسمي، محاسن التأويل (ج291/1).

عليه السلام سيكون أفضل منه عند الله ﷻ وسيكون له ولذريته الطائعين شأن عظيم وكرامة وهي دخول الجنة وحب الله ﷻ لهم. ففطرته الخبيثة والتي يعلم الله ﷻ مسبقاً ما يكن في نفسه من تعالي وكبرياء وغرور ربما لمكانة قد أعطاه الله ﷻ إياها لا يعلمها إلا هو جعلته يظن نفسه أعظم من الجميع حتى من الملائكة أنفسهم، حيث أنه كان يتحرك في الجنة حيث يشاء والملائكة كل له مكان بين راكع وساجد ومسبح لله ﷻ ولذلك ظن نفسه أفضل من الجميع.

قال التويجري[1]: "وأمرهم بالسجود له تكريماً له، وإظهاراً لفضله، وامتحانهم بالسجود لمن زعموا أنه يفسد في الأرض، ويسفك الدماء، فأسجدهم له، وأظهر فضله عليهم، لما أثنوا على أنفسهم، وذموا الخليفة الذي اصطفاه ربهم. واستخرج سبحانه ما كان كامناً في نفس إبليس من الكبر والمعصية، والذي ظهر عند أمره بالسجود مع الملائكة لآدم. فاستحق اللعنة والطرد والإبعاد على ما كان كامناً في نفسه، والله يعلم ذلك، ولكن لم يكن ليعاقبه على ما علمه، بل على وقوع معلومه، الذي لم تكن الملائكة تعلمه، فلما امتنع من السجود علموا خبثه"[2].

"والله ﷻ يعلم ما في نفس إبليس عندما خاطبه ﷻ: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾ [الاعراف:12] فهو يعلم ما يكن في نفسه ولكن أراد توبيخه وليبين له ضلاله وكفره. ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ**﴾. فدل بقوله: (**إِذْ أَمَرْتُكَ**). أنَّ إبْلِيسَ أمِرَ بالسجود مع الملائكة، ومعنى (**مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ**) إلْغَاءُ " لا " وهي مؤكدة، المعنى: ما منعك أن تسجد فمسألته عن هذا واللَّه قد علم ما منعه؛ توبيخ له ولْيُظْهِرَ أنه معاند، وأنه ركب المعصية خلافاً للَّهِ، وكل من خالف اللَّه في أمره فلم يَرَهُ وَاجباً عليه كافر بإجماع، لو ترك تارك صلاةً قال إنها لا تجب كان كافراً بإجماع الأمة، فأعلم اللَّه جل ثناؤُه أن معصية إبليس معصية معانَدَة وكفر، وقد أعلم الله أنه من الكافرين فقال: ﴿**إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٧٤**﴾ [ص:74]"[3] .

---

(1) محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري في مدينة بريدة عام ولد 1371هـ. درس في مدينة بريدة، ثم تخرج من كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام 1395هـ. تلقى العلم الشرعي على يد علماء عصره من السلف كابن باز وابن عثيمين والبليهي عليهم رحمة الله تعالى، كما تتلمذ على كتب كثير من علماء السلف كابن تيمية وابن القيم وغيرهما من علماء السلف في الماضي والحاضر.

عمل معلماً للعلوم الشرعية لعدة سنوات، ثم اختير عام 1412هـ نائباً لمدير مركز توعية الجاليات بالقصيم، ثم مديراً لمكتب توعية الجاليات بالخبيب ببريدة حتى عام 1429هـ وحالياً متقاعد. موقع طريق الإسلام.

(2) التويجري، موسوعة فقه القلوب (ج568/1).

(3) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج332/2).

قال الشيخ الشعراوي[1]: "وقد كان إبليس كما جاء في الأثر يسمى طاووس الملائكة. وكان يزهو بخيلاء بينهم. وهذه الخيلاء أو الكبر هو الذي جعله يقع في المعصية، ولأن إبليس خلق مختاراً، فقد كان مزهواً باختياره لطاعة الله، قبل أن يقوده غروره إلى الكفر والمعصية، ولذلك لم يكد يصدر الأمر من الله بالسجود لآدم، حتى امتنع إبليس تكبراً منه. ولم يجاهد نفسه على طاعة الله. فمعصية إبليس هي معصية في القمة، لأنه رد الأمر على الآمر وظن أنه خير من آدم، ولم يلتزم بطاعة الله، ومضى غروره يقوده من معصية إلى أخرى. فطرده الله من رحمته وجعله رجيما" [2].

وبعد المعصية والتكبر على الله ﷻ غضب عليه ولعنه، طرده من الجنة إلى الأرض مذموماً مدحوراً إلى يوم الدين وكان عاقبته خالداً فيها ومن تبعه إلى يوم الدين من الكفار والمشركين وعصاة المؤمنين الذين يأخذون عقابهم على معاصيهم.

الخلاصة:

- امتناع إبليس عن السجود لآدم عليه السلام لأنه يرى نفسه فاضلاً وآدم عليه السلام مفضولاً، وقياس ذلك على أصل الخلق لكليهما، وهو قياس فاسد، لأنه يرى مادة خلقه خير من مادة خلق آدم عليه السلام، وغاب عنه تشريف الله ﷻ لآدم عليه السلام حين خلقه بيديه، وأمر الملائكة بالسجود له تشريفاً وتعظيماً.
- الحسد والاستكبار هما اللذان دفعا إبليس للرد على المولى ﷻ، بأنه خير من آدم عليه السلام، ولا يصح السجود له، وفي هذا الرد من الجهل والغباء الكثير، فضلا عن الاعتراض عن أمر المولى ﷻ، وتوهم أن الطاعة لله ﷻ لا تكون إلا فيما يوافق الهوى.
- **الفرق بين معصية آدم عليه السلام وإبليس:**

إبليس عصى ربه معصية استكبار وحقد وحسد لآدم عليه السلام، وجعل نفسه الأفضل، ولكنه لم يراجع نفسه، ولم يعود إلى رشده، ويتوب إلى الله ﷻ، ويتبرأ مما فعل، بل أصر على المعصية، ووعد أيضاً أن يضل ذرية آدم عليه السلام من بعده إلى يوم القيامة، فحاسبه الله

---

(1) محمد متولي الشعراوي ولد في 1329هـ-1911م بمصر، وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره. في عام 1922م التحق بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، وأظهر نبوغاً منذ الصغر في حفظه للشعر والمأثور من القول والحكم، ثم حصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة 1923م، ودخل المعهد الثانوي الأزهري، وزاد اهتمامه بالشعر والأدب، علم بارز من أعلام الدعوة الإسلامية، وإمام فرض نفسه، وحفر لها في ذاكرة التاريخ مكاناً بارزاً كواحد من كبار المفسرين، وكصاحب أول تفسير شفوي كامل للقرآن الكريم، ت 1418هـ- 1998م. موقع ويكيبيديا.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر- (ج257/1).

بالطرد حيث قال ﷻ: ﴿قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ١٨﴾ [الأعراف:18]. قال ابن القيم: "ومعصية إبليس فإنها كانت عن علم لا عن جهل"(1).

أما آدم عليه السلام فعندما عصى هو وزوجته استغفرا الله ﷻ، وتابا وأنابا وطلبا من ربهما أن يغفر لهما، وشعرا بالذنب وعظمته في معصية الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ٢٣﴾ [الأعراف:23] فلما رأى الله ﷻ استغفار آدم وندمه عفا عنه وغفر له؛ لأنه أخطأ فأناب وعاد وتاب قال ﷻ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ٣٧﴾ [البقرة:37]. وبعد التوبة والغفران لآدم وزوجته أنزلهما إلى الأرض هما والشيطان ليكون بعضهما لبعض عدو قال ﷻ: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ٣٦﴾ [البقرة:36].

يقول الشيخ الشعراوي: "من هنا كان الفَرْق بين معصية آدم عليه السلام ومعصية إبليس: آدم عصى واعترف بذنبه وأقرَّ به، فقال ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:23] فقبل الله منه وغفر له. أما إبليس فعلَّل عدم سجوده: ﴿ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ [الإسراء:61] وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [ص:76] فردَّ الحكم على الله.

"لذلك نقول لمن يُفتي بغير ما شرع الله فيُحلِّل الحرام لسبب ما، نقول له: احذر أنْ تردَّ على الله حكمه؛ لأنك إنْ فعلتَ فأنت كإبليس حين ردَّ على الله حُكمه، لكن أَفْتِ بالحكم الصحيح، ثم تعلَّل بأن الظروف لا تساعد على تطبيقه، فعلى الأقل تحتفظ بإيمانك، والمعصية تمحوها التوبة والاستغفار، أما الكفر فلا حيلةَ معه"(2).

قال صاحب معاني القرآن(3): "والفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس أن إبليس أقام على الذنب وتاب آدم ورجع قال الله جل وعز قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" (4).

---

(1) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ج172/1).

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر– (ج17/)10898.

(3) أبو جعفر النحاس نحوي مصري، ولد بالفسطاط وأخذ النحو عن مشايخها، ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن الزجّاج والأخفش الأصغر والمبرد ونقطويه. وبعد رجوعه من العراق، تصدر النحاس حلقة النحو بالجامع العتيق بالفسطاط، ونافسه على رئاسة النحويين بمصر أبو العباس بن ولاد وكثيراً ما عُقدت المناظرات بينهما. أخذ النحاس الحديث عن الحسن بن غليب والنسائي. توفي بالفسطاط عام 338 هـ. (الأعلام للزركلي: 208/1).

(4) النحاس، معاني القرآن (ج22/3).

قال السري السقطي[1]: "كل معصية في شهوة يؤمل غفرانها، وكل معصية في كبر لا يؤمل غفرانها، لأن معصية إبليس كانت من كبر، ومعصية آدم كانت من شهوة".[2]

خلاصة الفرق بين معصية آدم وإبليس:

1. أن آدم عليه السلام قبل الأمر الإلهي بعدم الاقتراب من الشجرة عندما قال له ربه قال ﷻ: **﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ٣٥﴾** [البقرة:35]، بيد أنه خالفه فكان عاصياً. أما إبليس فرد الأمر الإلهي على الآمر سبحانه فكان كافراً.
2. أن آدم عليه السلام تاب فتاب الله عليه مصداقاً لقوله قال ﷻ: **﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ٣٧﴾** [البقرة:37]. وعن ابن عباس ووهب بن منبه: أن الكلمات (سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي اغفر لي إنك خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم) وقال محمد بن كعب هي قوله (لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أرحم الراحمين. أما إبليس فلم يعترف بمعصيته، ولم يتب منها فضرب آدم بتوبته وأوبته مثلاً للخليقة الناجية خطأ ومتاب، وضرب إبليس بإصراره على حوبته مثلاً للخليقة الهالكة خطيئة وإصرار [3].

---

(1) أبو الحسن سرى الدين بن المغلس السقطي، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري وأول من تكلم في بغداد في التوحيد وحقائق الأحوال، يقول عنه أبو عبد الرحمن السلمي أنه «إمام البغداديين وشيخهم في وقته». وكان تلميذ معروف الكرخي وخال الجنيد وأستاذه. سنة 253 هـــ ومقامه في الجانب الغربي من بغداد بالشونيـــزية. سير أعلام النبلاء: (ج533/9).

(2) أبو حيان؛ البصائر والذخائر (ج88/2).

(3) أنظر: الرازي، مفاتيح الغيب (ج466/3)؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج324/1).

عن سعيد بن جبير [1]، عن ابن عباس ﷺ: "فتلقى آدمُ من ربه كلمات فتابَ عليه"، قال: أي رب! ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي رب، ألم تسكني جَنتك؟ قال: بلى. قال: أي رب، ألم تسبق رحمتُك غضبك؟ قال: بلى. قال: أرأيت إن أنا تبت وأصلحت، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم [2].

وكانت التوبة والإنابة من آدم ﷺ لربه سبب في مغفرة ذنبه، وإعادته والصالحين والموحدين من ذريته إلى الجنة بإذن الله ﷻ، والنار مثوى لإبليس وذريته، ومن تبعهم على الضلال ومعصية الله ﷻ في الدنيا، وسينال الخسران في الدنيا والآخرة.

---

(1) الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، سعيد بن جبير الأسدي (95-46 هـ) تابعي حبشي الأصل، كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين في المدينة المنورة، سكن الكوفة ونشر العِلم فيها وكان من علماء التابعين، فأصبح إماماً ومعلماً لأهلها، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية. (سير إعلام النبلاء: 324/17).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج542/1).

المطلب الثالث

إفساد إبليس للبشر بعد كفره

سبب الإفساد:

بعد معصية إبليس لربه ورجمه من الله ﷻ وغضبه عليه، وطرده من الجنة إلى الدنيا، وتوعده بالعذاب والنار في الآخرة، وأن يكون خسيساً مذؤوماً مدحوراً، توعد إبليس آدم وذريته بالضلال والمعصية لله ﷻ، قال ﷻ: **﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ١٨﴾** [الأعراف:13-18]. وهذا التوعد من إبليس للبشر، وطرق ومداخل الشيطان التي سيدخل بها للإنسان، وتهديده لإغواء كل البشر إلا عباد الله المخلصين.

ووصف إبليس أنه تكبر وعاند كبراً وهو مع ذلك يقول قال ﷻ: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾** [ص:82-83][(1)]. وقد يعتقد البعض أن إبليس لديه مشيئة في اضلال الناس أي يضلهم حسب مشيئته ويتركهم حسب مشيئته ولكن من يضله الشيطان يعلم الله هذا الأمر من قبل وأن لا سلطان للشيطان على من حفظه الله من كيده.

"وأيضا عظم القول في القلوب بأن ما شاء إبليس كان وما لم لا يشأ لا يكون على العلم بكون ما لا يحصى من الشر وخروج الخير من الكون في ذلك ووجود مشيئة إبليس بذلك ثبت أن كون حقائق الأشياء بما لله فيها مشيئة وإمتناعها عن الكون لذلك لذلك استحسنوا إضافة ذلك إلى الله واستقبحوا إضافته إلى إبليس وغيره من العصاة ولا قوة إلا بالله، ثم العبرة بما يوجبه ضرورة العقل وهي توجب ذلك إذ يعلم كل أحد أن فعله يخرج على غير الذي يريده من الحسن والقبح واللذة والألم والمحبة والسخط ثبت أن لغيرهم في خروج فعلهم على ما خرج إرادة على تلك الإرادة يخرج الفعل والله الموفق" [(2)].

وإرادة إبليس هو التمني في إضلال البشر، وأن يعصوا ربهم الذي خلقهم، وأن يذهب بهم إلى النار، لأنها مصيره، ويعتبر البشر وأبو البشر هم السبب في دخوله النار، وطرده من

---

(1) المحاسبي، ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه (ج215/1).

(2) الماتريدي، التوحيد (ج292/1).

الجنة التي كان يعيش فيها، ويتجول في كل مكان فيها، ولكن الحقد والحسد والكبر والغرور هو السبب في طرده من الجنة، وليس آدم؛ فالملائكة أطاعت ربها فبقيت في الجنة معززة مكرمة عابدة لله ﷻ وهو عصى ربه فطرد منها.

"بعض الناس يتصورون أن للشيطان تلك القدرة التي يستطيع بها أن يجبر الإنسان على ترك الطاعات وفعل المعاصي، ومن ثم فلا ذنب على الإنسان إذا قصر في طاعة الله ﷻ أو فعل معصية من المعاصي، وهذا التصور إنما سببه الجهل بالقرآن الذي بين حقيقة الشيطان وأنه ليس له سلطان بقهر الإنسان على فعل المعصية أو يثبطه عن القيام بالطاعة، لأنه في هذا التصور يكون مشاركاً لله ﷻ في القدرة على قهر العباد وجبرهم على ما يشاء، وهذا هو عين الشرك في الربوبية، ولو كان للشيطان مثل هذه السلطة لكان في ذلك مناقضة لتكليف الله ﷻ للبشر، وفي ذلك مناقضة صريحة لما في القرآن الكريم، لأن التكليف مبني على قدرة الإنسان في اختيار الخير أو الشر، وإذا انتفى الاختيار عند الإنسان – بسبب إجبار الشيطان له على فعل المعاصي وترك الواجبات – لكان في ذلك بطلان التكليف من قبل الله للإنسان، وهذا الكلام لا يقول به إلا كافر أو جاهل، لأن بعث الله للرسل على مدار التاريخ إنما جاء لاختبار هذه الإرادة عند الإنسان، فإما أن يستجيب هذا الإنسان لداعي الله ﷻ، وإما أن يستجيب لداعي الشيطان الذي يوسوس للإنسان ويزين له المعاصي، وعلى أساس هذه الاستجابة أو عدمها يكون جزاء الإنسان بالجنة أو النار"[1].

تخلي الشيطان عن أتباعه:

فالشيطان ليس بإمكانه إجبار الإنسان على المعصية ولكنه يريد له المعصية، ويريد إفساده ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولكنه يوم القيامة يتخلى ويترك اتباعه للنار والعذاب، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [ابراهيم:22].

"أي وما كان لي تسلط عليكم بإظهار حجة على ما وعدتكم به وزينته لكم ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾: أي إلا مجرد دعائي لكم إلى الغواية والضلال بلا حجة ولا برهان... وقيل: المراد بالسلطان هنا: القهر، أي: ما كان لي عليكم من قهر يضطركم إلى

(1) السقاف، مدى سلطان الشيطان على الانسان (بحث).

إجابتي، وقيل: هذا الاستثناء هو من باب: تحية بينهم ضرب وجيع، مبالغة في نفيه للسلطان عن نفسه، كأنه قال: إنما يكون لي عليكم سلطان إذا كان مجرد الدعاء من السلطان، وليس منه قطع" [(1)].

وهنا يتهرب الشيطان من أوليائه الذين اتبعوه بعد أن أصابت الغشاوة أعينهم واتبعوا طريق الضلال ويقول لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ أي بين لهم أن كان يخذلهم ويضلهم وأخلفهم الوعد يوم القيامة من النجاة من النار ودخول الجنة.

وإبليس يبين لهم سبب التخلي عنهم يوم القيامة ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾، فهو لم يمتلك القرار في إفسادهم بل يمتلك الإرادة لإفسادهم، والقرار بأيديهم في الضلال أو الهدى، لأنه لو كان القرار بيد الشيطان لرفع التكليف عن الإنسان، ولما حاسبه الله ولكن هناك تخيير للإنسان في الهدى أو الضلال لأن الله ﷻ ترك له حرية الاختيار والاتباع.

قال الشوكاني :"(فَلَا تَلُومُونِي) بما وقعتم فيه بسبب وعدي لكم بالباطل وإخلافي لهذا الموعد .(وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ) باستجابتكم لي بمجرد الدعوة التي لا سلطان عليها ولا حجة، فإن من قبل المواعيد الباطلة والدعاوى الزائفة عن طريق الحق فعلى نفسه جنى ولمآربه قطع، ولا سيما ودعوتي هذه الباطلة وموعدي الفاسد وقعا معارضين لوعد الله لكم وعد الحق، ودعوته لكم إلى دار السلام، مع قيام الحجة التي لا تخفى على عاقل ولا تلتبس إلا على مخذول"[(2)].

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ "أي فرغ من الحساب، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ بأن قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني دخل النار؛ فوفى بما وعد؛ وها قد دخلتم النار بعصيانكم، ودخل أهل الجنة الجنة بطاعتهم و﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ بأن لا بعث، ولا حساب، ولا جزاء ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ كذبتكم ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾ تسلط وقوة؛ حتى ألزمكم بالعصيان، وأكرهكم على الكفر ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ ﴾ للكفر والعصيان ﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ ﴾أجبتم ندائي؛ بغير تعقل أو روية ﴿تَلُومُونِي﴾ الآن ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾ على تغفلكم وعدم حرصكم ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ ﴾ بمغيثكم. أي

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج124/3).

(2) الشوكاني، فتح القدير (ج124/3)؛ انظر: القِنَّوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (ج105/7).

بمجيب صراخكم ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ أي بإشراككم إياي مع الله في الطاعة والعبادة "[1].

وفي النهاية الإنسان هو الذي يتحمل عاقبة أمره، من الضلال والعصيان والكفر والشرك، فالشيطان يزين له، وهو يتبعه دون تفكير أو نظر أو انتباه لعاقبة الأمر في الآخرة ويندم حين لا ينفع الندم؛ فالشيطان يتخلى عن وعده للعصاة والمشركين أنه لا يوجد في الآخرة من بعث وحساب وعقاب وجنة ونار. ولكن وعد الله ﷻ هم المحقق للمؤمنين الموحدين الذين عصوا الشيطان واتبعوا طريق الرحمن طريق العبادة والخير وسبل السلام.

مداخل الشيطان للإنسان:

وقد قال الشيطان أنه سيقعد لابن آدم في كل طريق وفي كل درب وفي كل سبيل ليضله عن سبيل الله ﷻ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال ﷻ على لسان إبليس: **﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ١٨﴾** [الأعراف:16-18]. وقال ﷻ على لسانه أيضا: **﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ٤٠﴾** [الحجر:39-40].

فقد توعد ابن آدم أن يزين له طرق الفساد والمعصية وأن يأتيه من كل طريق وكل اتجاه إلا من الأعلى لأنه خط الوصول لله تبارك وتعالى ولا يستطيع الشيطان أن يقترب من هذا الخط لأن الله حافظه وحافظ صاحبه الذي يتقرب به إلى الله ﷻ بالطاعات والقرب من الله ﷻ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه **الله،** سبعة مداخل يدخل بها الشيطان على الإنسان ليضله، وليغويه، وهذه المداخل هي كما يلي إن شاء الله:

العقبة الأولى: الكفر بالله وبدينه.

وهي عقبة الكفر بالله ﷻ وبدينه ولقائه وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله عنه، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، فأولى مداخل الشيطان هو جهلك بالله ﷻ؛ فيجعلك تتسخط من أقداره وتيأس من رحمته، إلى أن يُفسِد علاقتك بربِّك ويوصلك إلى الكفر به دون أن تدري وسبب الوقوع فيها: الجهل بالله ﷻ، والحل لذلك التحصُّن

---

(1) الخطيب، أوضح التفاسير (ج307/1).

بالتوحيد والعلم بالله ﷻ، ومعرفته حق المعرفة، ومعرفة أمور الدين حلالها وحرامها، صغيرها وكبيرها.([1])

العقبة الثانية: البدعة.

أولا: تعريف البدعة لغة:

وأصل مادة بدع للاختراع على غير مثال سابق، ومنه قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۝١١٧﴾ [البقرة:117]، أي مخترعهما من غير مثال سابق متقدم، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ۝٩﴾ [الأحقاف:9]، أي ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد، بل تقدمني كثير من الرسل. ويقال: ابتدع فلان (بدعة يعني ابتدأ) طريقة لم يسبقه إليها سابق. وهذا أمر بديع، يقال في الشيء المستحسن (الذي لا مثال له في الحسن)، فكأنه لم يتقدمه ما هو مثله ولا ما يشبهه.

ومن هذا المعنى **سميت البدعة بدعة، فاستخراجها للسلوك عليها هو الابتداع، وهيئتها هي البدعة**، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة.

ويمكن أن يقال أن البدعة هو كل أمر مستحدث في الدين بعد كماله بالنزول على سيدنا محمد ﷺ يخالف مضمون وأصول الشرع.

ثانياً: البدعة اصطلاحاً:

"فالبدعة عبارة عن: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه".

وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات، وأما على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة فيقول: "البدعة طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"[2].

إما بإعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وإما بالتعبُّد بما لم يأذن به الله من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدين التي لا يقبل الله منها شيئًا، كما قال ﷺ: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[3]، فيجعل الإنسان يعمل مبتدعات مخالفة للدين والسنة بقصد صلاح الأعمال فالنيات الحسنة وحدها لا تكفل صلاح الأعمال، بل لابد

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج237/1).

(2) الشاطبي، الاعْتصام (ج45/1).

(3) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري: الصلح/إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ص360: رقم الحديث 2697]. [مسلم: صحيح مسلم، الأقضية/نقض الحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ص851: رقم الحديث 1718].

من أعمال حسنة بعلم إلى جانب النيات الحسنة، فيجب على الإنسان تعلم هدي النبي للنجاة من هذه المصيبة والبدعة والنجاة في الدنيا والآخرة.

العقبة الثالثة: الكبائر.

تعريف الكبيرة لغةً:

الكبيرة في اللغة: مفرد كبيرات وكبائر، مؤنث الكبير، وهو: الإثم الكبير، قال ابن منظور في اللسان: الكبيرة هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً لعظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف [1].

تعريف الكبيرة اصطلاحاً:

"هي كل معصية فيها حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيها وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب، أو لَعَن الله ورسوله فاعلها" [2].

"فالكبائر إذن: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس المحرم قتلها، وقول الزور وقد يدخل في قول الزور، شهادة الزور وقذف المحصنة، واليمين الغموس، والسحر ويدخل في قتل النفس المحرم قتلها، قتل الرجل ولده من أجل أن يطعم معه والفرار من الزحف، والزنا بحليلة الجار" [3].

ويمكن القول أن كل ما نهى الله ﷻ عنه فهو كبيرة، أو هي كل ذنب ختمه الله ﷻ بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

"فإن ظفر به فيها زينها له وحسنها في عينه وسوَّف به وفتح له باب الإرجاء، وقال له الإيمان هو نفس التصديق فلا تقدح فيه الأعمال، وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهي قوله: لا يضر مع التوحيد ذنب كما لا ينفع مع الشرك حسنة!" [4].

وهو ربما لا يحدثك بالكبائر الظاهرة؛ كالزنا والقتل والسرقة. إنما يوقعك في كبائر أخرى باطنة؛ كالكبر والرياء والاستكبار والعُجب؛ أو التي لا يعلم الكثير من الناس أنها من الكبائر، مثل: والغيبة والنميمة وغيرها، ويجب على المؤمن ألا يفتح باب الكبائر ويعرف صغيرها وكبيرها وظاهرها وباطنها ليسلم من الوقوع في مصيدته في فعل الكبائر.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج129/5).
(2) التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي (ج535/4).
(3) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج253/8).
(4) مدارج السالكين (ج239/1).

العقبة الرابعة: الصغائر.

تعريف الصغائر لغة:

جمع صغيرة، من صغر الشيء فهو صغير وجمعه صغار، والصغيرة صفة وجمعها صغار أيضا، ولا تجمع على صغائر إلا في الذنوب والآثام. والصغيرة من الإثم جمعها صغيرات وصغائر لأنها اسم مثل خطيئة وخطيئات وخطايا والأصل خطائي على فعائل[1].

والصغيرة: هي كل ما سوى الكبيرة من صغائر الذنوب كاللَّمم.

وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [النجم:32]. "وقد تكفل الله لمن اجتنب الكبائر أن يكفر عنه الصغائر ويدخله الجنة"[2].

تعريف الصغيرة المُختار والراجح من أقوال أهل العلم: هي كل ذنب لم يُوجب حداً في الدنيا، أو وعيداً في الآخرة، وكان قليل المفسدة.

الفرق بين الصغائر والكبائر:

"إذا أراد المسلم معرفة الفرق بين الكبائر والصغائر فليعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها. فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليها فهي من الكبائر. ولا يمكن ضبط المفاسد والمصالح إلا بالتقريب والموازنة والنظر، فمن سب أو شتم الرب أو الرسول، أو استهان بالرسل، أو كذّب واحداً منهم، أو ضمخ الكعبة بالعذرة، أو ألقى المصحف في القاذورات والمزابل، فهذا من أكبر الكبائر، ولم ينص الشرع على أنه كبيرة. من أمسك مسلماً لمن يقتله، أو امرأة محصنة لمن يزني بها، فهذا لم يُنص عليه، مع أن مفسدته أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم، مع كونه من الكبائر. ومن دل الكفار على عورات المسلمين مع علمه أنهم يقتلون المسلمين، ويَسْبون نساءهم وأطفالهم، ويخربون ديارهم، ويأخذون أموالهم، فهذه المفاسد التي حصلت بفعله أعظم من تولِّيه يوم الزحف مع كونه من الكبائر" [3].

فكال له منها، وقال: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم؟ أو ما علمت بأنها تكفر باجتناب الكبائر وبالحسنات؟ ولا يزال يهون عليه أمرها حتى يصر عليها، فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالاً منه، فالإصرار على الذنب أقبح منه ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار والانسان يتعفف عن صغائر الأمور

---

(1) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (ج340/1).

(2) التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي (ج535/4).

(3) المصدر السابق (ج535/4).

حتى لا يقع فيها وبعدها تجره للكبائر والعياذ بالله. والصغائر ومحقرات الذنوب تهلك الإنسان إن فعلها وتهاون فيها.

والرسول ﷺ يقول: **(إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه)** [1].

العقبة الخامسة: المباحـــات.

تعريف المباح: المباح من حيث وصفه بالإباحة ما لا يثاب على فعله وتركه، ولا يعاقب على تركه وفعله أي ما لا يتعلق بكل من فعله وتركه ثواب ولا عقاب. كالأكل والشرب واللباس والتنزه، ولكن بما لا يزيد عن حده ولا يؤثر على العبادة والطاعة[2].

والمباحات هي التي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات وعن الاجتهاد في التزود لمعاده، ثم طمع فيه أن يستدرجه منها إلى ترك السنن، ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، وأقل ما ينال منه تفويته الأرباح والمكاسب العظيمة والمنازل العالية، ولو عرف السعر لما فوَّت على نفسه شيئًا من القربات، ولكنه جاهل بالسعر. فيجب على المسلم عدم الاستكثار من المباحات وانشغاله بها والاهتمام بها.

العقبة السادسة: عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات.

فأمره بها وحسنها في عينه وزينها له وأراه ما فيها من الفضل والربح؛ ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسبًا وربحًا؛ لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمفضول عن الفاضل وبالمرجوح عن الراجح وبالمحبوب لله عن الأحب إليه وبالمرضي عن الأرضى له. ولذلك يجب على الانسان أن يعرف نفسه وعيوبها وأن يوجهها للخير ومعرفة الفاضل والمفضول من الأعمال.

العقبة السابعة: تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب.

على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وظاهر عليه بجنده وسلط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط، وهذه العقبة لا حيلة له في التخلص منها، فإنه كلما جد في الاستقامة والدعوة إلى الله والقيام له بأمره جد العدو في إغراء السفهاء به، فهو في هذه العقبة قد لبس لأمة الحرب وأخذ في محاربة العدو لله وبالله، فعبوديته

---

(1) [أحمد، مسند الإمام أحمد، مسند عبدالله بن مسعود، ج466/37: رقم الحديث 22809]. إسناده صحيح

(2) المحلي، شرح ورقات في أصول الفقه (ص73).

فيها عبودية خواص العارفين وهي تسمى عبودية المراغمة(1)، ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له.

فمن تعبَّد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهمٍ وافر، وعلى قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه يكون نصيبه من هذه المراغمة(2).

هل لإبليس سلطان على المؤمنين الصالحين؟

قد أجابنا القرآن الكريم على هذا السؤال في كثير من الآيات الكريمة قال ﷻ: **﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝﴾** [النحل:99-100]. وقال ﷻ: **﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝﴾** [سبأ:20-21]. وقال ﷻ عن إبليس عليه اللعنة: **﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝﴾** [الحجر:39-42]. وقال ﷻ : **﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾** [الإسراء:65].

إن هذه الآيات التي سقناها تبين لنا أن دعوة الشيطان للضلال والفساد إنما تثمر مع الذين يعرضون عن ذكر الله، ويتركون السلاح الذي أمر الله بالتسلح به ضد وساوس الشيطان ومراوغاته التي لا تهدأ لجر هذا الإنسان إلى الهاوية، أما المؤمنون فقد عرفوا السلاح الذي به يقاومون هذا التسلط، قال ﷻ: **﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝﴾** [الأعراف:200-201]. والطائف هو الوسوسة أو مبدؤها، وهو إذا مس المؤمنين تذكروا فإذا هم مبصرون، فلا يقعون في فخ طاعته، وقد نبه الله ﷻ إبليس أنه ليس له سلطان على الموحدين الذين ربطوا قلوبهم بطاعة الله ﷻ، إنما يتبعه أصحاب الضلال والهوى، الذين تزينت لهم الدنيا وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم في غيهم يعمهون.

---

(1) عبودية المراغمة: هي مخالفة الشيطان واتباع طريق الرحمن في الطاعة والعبادة، حيث الشيطان يأمر بالسوء ومعصية الله ﷻ والانسان يخالفه بطاعة الله ﷻ واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

(2) انظر بتصرف: ابن القيم مدارج السالكين (ج1/ص237-241).

قال محمد رشيد رضا[1]: **(**والنفس الزكية الفطرة، المستقيمة لله تعالى بهداية الكتاب والسنة لا يكاد الشيطان يصلها، وإذا طاف بها طائف من وسوسته في حال الغفلة كان هو المذكر لها، فإذا هي مبصرة قائمة بما يجب عليها، فمثلها في عدم تأثير الوسوسة فيها أو عدم إفسادها لها كمثل البدن القوي في عدم استعداده لفتك جراثيم الأمراض به، كما أن النفس الفاسدة الفطرة بالشرك أو النفاق والمعاصي وسوء الأخلاق تكون مستعدة لطاعة الشيطان، كاستعداد البدن الضعيف والمزاج الفاسد لتأثير ميكروبات الأمراض، ومن الأرواح والأبدان ما ليس في منتهى القوة ولا غاية الضعف، فكل منها يتأثر بقدر استعداده، وتكون عاقبة السلامة إن كان أقرب إلى الصحة والقوة، والهلاك إن كان بضد ذلك**)**.[2]

والمؤمن شديد الإيمان يفر منه الشيطان كما أخبر النبي ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ عندما قال له: **(إيها يا ابن الخطاب: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك)**[3]. وهذا الأمر ليس خاصاً بعمر ﷺ فهو لكل مؤمن عابد زاهد، ملتزم محافظ على طاعة الله ﷻ، ومرتبط قبله بالله ﷻ ولا تلهيه الدنيا وترفها، فإن ذكر الله ﷻ و الوضوء والصلاة من الأمور الهامة التي تطرد الشيطان من طريق بني آدم. قال ﷺ **(يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل، فارقد فإن استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).** [4]

---

(1) محمد رشيد بن علي رضا ولد 1282 هـ- م1865 في قرية "القلمون"، تبعد عن طرابلس الشام ثلاثة أميال، ان أبوه "علي رضا" شيخاً للقلمون وإماماً لمسجدها، فعُني بتربية ولده وتعليمه. حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ويعتبر مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وتوفي 1354 هـ- 1935م. الموسوعة الإسلامية.

(2) القلموني، تفسير المنار (ج429/7).

(3) [البخاري: صحيح البخاري: بدء الخلق/صفة إبليس وجنوده، ص446: رقم الحديث 3294].

(4) [البخاري: صحيح البخاري: التهجد/باب عقد الشيطان على قافية الرأس إن لم يصل قيام الليل، ص154: رقم الحديث 1142].

المبحث الثاني

علو النمرود وإفساده

المطلب الأول

جبروت النمرود وطغيانه

النمرود:

النمرود، ذلك الملك العظيم الذي كان له ملك الدنيا كلها، ومع ذلك كان كافرا بالله ﷻ.
وهو النمرود بن كوش بن سام بن نبي الله نوح عليه السلام. ادَّعى لنفسه الربوبية، وأمر الناس بالسجود له وعبادته من دون الله الخالق؛ وقد كان النمرود ملك بابل العراق ويحكمها بالنار والحديد، والظلم والبطش، وكان الناس يخافونه أشد الخوف، لأنه كان لا يرحم أحداً وكان يعبد الأصنام التي كان يصنعها النحاتون في ذلك الوقت وقد كان معبد خاص لهم، وقد كان قومه أيضاً يعبدون الكواكب والنجوم في عصره؛ وعرف عند المسلمين بنمروذ، ولد 2053 قبل الميلاد، وهو شخصية تاريخية ذكرت لأول مرة في التوراة اليهودية بالاسم كملك جبار تحدى الله؛ وربط المفسرون للقرآن نمرود هذا مع الشخصية القرآنية للملك الذي تجادل مع إبراهيم وعاقبه بالحرق بعد حواره معه وإنكار عبوديته له لأنه يعبد الله الواحد القهار.
وقال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: "أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق جل وعلا عنادا ومكابرة وادعى لنفسه الربوبية" [1].

وقال مجاهد: "ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران: بختنصر ونمرود بن كنعان، لم يملكها غيرهم"[2].

فهؤلاء الأربعة قد بسط الله ﷻ لهم الدنيا بكل مافيها من بشر وحجر وخيرات فمنهم من كان على الحق ودعى إلى الله ﷻ وعمل صالحاً كسليمان وذوالقرنين ولهما الجنة، ومنهم من شغلته الدنيا عن طاعة الله ﷻ ، وكفر واستعبد الناس كالنمرود وبختنصر ولهما النار.

---

(1) الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج107/1).
(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج574/4).

من مظاهر كفره وجبروته:

أولا: تعبيد الناس له:

هو أن يجعل الناس يسجدون له ويعبدونه عند احتياجهم له في الطعام والشراب كونه إلهاً لهم، وأنه هو الذي يرزقهم ويعطيهم الخير كله، وكانت الناس تفعل ذلك خوفاً منه واحتياجها للطعام والشراب وعدم معرفتهم بالله ﷻ .

عن كعب[1] **قال:** "رأى إبراهيم قوماً يأتون النمرود الجبار فيصيبون منه طعاماً، فانطلق معهم، فكلما مر به رجل، قال له: من ربك؟ قال: أنت ربي وسجد له، وأعطاه حاجته، حتى مر به إبراهيم صلى الله عليه وسلم، فقال: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت، قال: فأنا أحيي وأميت، قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [البقرة: 258] ، فخرج ولم يعطه شيئاً، فعمد إبراهيم إلى تراب، فملأ به وعاءه ودخل منزله، وأمر أهله أن لا يحلوه، فوضع رأسه فنام، فحلت امرأته الوعاء، فإذا أجود دقيق رأت، فخبزته، فقربته إليه، فقال لها: من أين هذا؟ قالت: سرقته من الوعاء، قال: فضحك ، ثم حمد الله وأثنى عليه"[2].

ثانيا: قتل الأطفال:

عندما أراد الله ﷻ أن يوقف جبروت النمرود في جعل نفسه إله وتعبيد الناس له، جعله يحلم حلماً يسبب ازعاجه والتفكير في هذا الأمر، فقد رأى في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر، حتى لم يبق لهما ضوء، ففزع من هذه الرؤيا واستدعى الكهنة والسحرة ليفسروا له الحلم. فقالوا له: هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة، تكون نهايتك ونهاية أهل بيتك على يديه. تحققت الرؤيا بظهور النبي سيدنا إبراهيم عليه السلام.

فطلب من جنده قتل كل طفل يولد في هذه السنة، حتى لا يخرج له من يفسد عليه حياته، ويخرب عليه ملكه، ولكن عندما ولدت أم ابراهيم ابنها أخفته في سرب على طرف المدينة حيث ولدته فيه وصارت تعتني في كل يوم حتى صار فتياً ثم أخرجته.

---

(1) هو كعب بن مانع الحميري اليماني العلامة، الحَبر، الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، قدم المدينة من اليمن أيام عمر رضي الله عنه فجالس الصحابة وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عنهم، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، وثقة). وقال ابن حجر العسقلاني: (كعب الأحبار تابعي ثقة، كان من علماء اليهود وعنده علم غزير، وله إطلاع تام على كتب بني إسرائيل، ويحدّث بأشياء كثيرة عنها). (ت 34 هـ). سير أعلام النبلاء: 472/4.

(2) المرْوزي، الزهد والرقائق لابن المبارك (ج370/1).

وقال محمد بن إسحاق: "قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نمرود بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامئذ، فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك" [1].

وهكذا سلّم الله سيدنا إبراهيم عليه السلام من بطش النمرود وزبانيته وبقي حياً بحنكة والدته التي أخفت عن الجميع مولده حتى عن والده الذي سألها عن حملها فقالت ولدت ولداً فمات وعندما صار فتياً حيث أنه عليه السلام كان يكبر العام بثلاث وقد سبق أقرانه فعندما خرج من السرب إلى الناس لم يميزوا أنه ابن هذا العام أعلمت والده بالأمر وسبب الإخفاء فسعد بعودة إبراهيم عليه السلام له.

محاولة صعوده للسماء:

بعد محاورة ابراهيم عليه السلام للنمرود وأعلمه أنه يعبد ربه ورب النمرود أراد النمرود الذي يدعي أنه رب هذا الكون أن يرتقي إلى السماء ليرى إلهه ويعلم هل هناك إله أم لا، لأنه يعتبر نفسه هو الإله والملك الذي خضعت له كل البشرية في ذلك الوقت بعد الانتصارات التي حققها في الحروب للسيطرة على الأرض حيث ملكها بعد ذلك.

عن علي رضي الله عنه في معنى الآية: "وهو أنها نزلت في نمروذ حين قال: لأصعدن السماء، واتخذ النسور وجوعها ثم اتخذ تابوتا، ونصب خشبات في أطرافها، وجعل على رءوسها اللحم، ثم ربط قوائم النسور على الخشبات وخلاها، فاستعلت النسور، وقد جلس نمروذ في التابوت مع حاجبه، وقيل: مع غلام له، وللتابوت بابان: باب من أعلى، وباب من أسفل، وقال: فلما صعدت النسور في السماء، ومضى على ذلك يوم، قال لغلامه: افتح الباب السفلى، فإذا الأرض كاللجة، فقال: افتح الباب الأعلى فإذا السماء كما هي، ثم مر يوم آخر فقال: افتح الباب الأسفل ففتح فإذا الأرض كالدخان، فقال: افتح الباب الأعلى ففتح فإذا السماء كما هي، فأمر غلامه حتى يصوب رءوس النسور والخشبات، فجاء التابوت إلى جانب الأرض وله هدة عظيمة، فخافت الجبال أنه جاء من السماء أمر، وكادت تزول عن أماكنها، فهذا معنى قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [ابراهيم:46]"[2] .

(1) السهسواني، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ج452/1).

(2) السمعاني، تفسير القرآن (ج124/3).

فهكذا صعد في الفضاء عدة أيام، ليصل إلى السماء، ويرى رب الكون ولكن الله ﷻ منعه من ذلك، ودب في قلبه ونفسه الرعب، ونزل مسرعاً إلى الأرض دون أن ينال مبتغاه، وعاد خائبا خائفاً يترقب زوال ملكه.

وفي رواية أخرى قال علي ﷺ: كان ملك فره[1] أخذ فروخ النسور، فعلفها اللحم حتى شبَّت واستعلجت واستغلظت. فقعد هو وصاحبه في التابوت وربطوا التابوت بأرجل النسور، وعلقوا اللحم فوق التابوت، فكانت كلما نظرت إلى اللحم صعدت وصعدت، فقال لصاحبه: ما ترى؟ قال: أرى الجبال ثل الدخان، قالا ما ترى؟ قال: ما أرى شيئا، قال: ويحك صوّب صوّب، قال: فذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [ابراهيم:46].[2]

(1) الفره: البطر الأشر. المتمادي في غيه

(2) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج39/17).

المطلب الثاني

حوار النمرود مع سيدنا إبراهيم عليه السلام

مواقف من حياة ابراهيم عليه السلام:

عندما كبر إبراهيم عليه السلام داخل السرب، فطلب من أمه أن تخرجه من السرب، وكان ذلك ليلاً فأخذ يتفكر في ملكوت السماوات والأرض ويتفكر في النجوم والكواكب وكان يتأملها حتى هداه الله عز وجل إلى الرشد ومعرفته بالفطرة السليمة التي فطر الناس عليها. فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر! فأخرجته عشاء فنظر، وتفكر في خلق السماوات والأرض، وقال: "إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي، ما لي إله غيره ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته، وعرف ربه، وبرئ من دين قومه، إلا أنه لم يبادئهم بذلك [1].

بعد ذلك صار إبراهيم عليه السلام يحارب الأصنام ويدعو والده للإيمان وعبادة الله عز وجل ولكنه لم يستجيب له وطرده وقال له لأرجمنك واهجرني مليا قال تعالى: **﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾** [مريم:41-47]. فإبراهيم عليه السلام لم ييأس من رحمة الله عز وجل في دعوة أبيه للإسلام ولكنه لم يستجب له وخسر الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :**(يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني، فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك؟ فينظر، فإذا هو بذيخ[2] متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)** [3].

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج481/11). بتصرف.

(2) بِذِيخٍ : ذكر الضبع الكثير الشعر.

(3) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/قول الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا، ص454: رقم الحديث 3350].

وانتقل إبراهيم عليه السلام لمحاربة الأصنام التي تعبد من دون الله ﷻ، ويدعو إلى طاعة الله وعبادته بدلا من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر؛ ولكن القوم لم يستجيبوا وبقوا على غيهم وضلالهم وفي إحدى الأيام وكان يوم عيد خرجت القرية كلها للاحتفال بالعيد، فاغتنم الفرصة وقام بتكسير الأصنام جميعاً باستثناء كبيرهم لعلهم يعقلون عندما يروا هذا الأمر الذي حدث لأصنامهم بعد أن دمرها لهم.

قال ﷻ: **﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨﴾** [الأنبياء:57-58]. وعندما عادوا وجدوا ما حدث لأصنامهم فتذكروا تهديد إبراهيم عليه السلام لهم ولأصنامهم، **﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١﴾** [الأنبياء:59-61]. فأحضروا إبراهيم عليه السلام للمساءلة عمن فعل هذا بأصنامهم، **﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢﴾** [الأنبياء:62] فرد عليهم عليه السلام ردا مفحماً: **﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾** [الأنبياء:63]. فعرفوا أنهم في ضلال وصاروا يحاسبون أنفسهم على عبادتهم للأصنام ولكن الكبر والعند منعهم من التراجع لطاعة الله قال ﷻ: **﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥﴾** [الأنبياء:64-65].

وقد خسروا الحوار معه وبعد ذلك انتقموا منه بالقذف في النار التي سلمه الله ﷻ منها ورد كيدهم في نحرهم ونجا عليه السلام منهم برحمة الله ﷻ.

قال ابن كثير رحمه الله كلام نفيساً في ذلك قال: "فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا، وأرادوا أن يَغلبوا فَغُلبوا قال ﷻ: **﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾** [الأنبياء:70]. وفي الآية الأخرى: الأسفلين ففازوا بالخسارة والسفال هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فإن نارهم لا تكون عليهم برداً ولا سلاماً، ولا يلقون فيها تحيةً ولا سلاماً، بل هي كما قال ﷻ: **﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾** [الفرقان:66]" [1].

مناظرته للملك:

قال ﷻ: **﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾** [البقرة:258].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج339/1).

فقد كانت مناظرة إبراهيم عليه السلام مع من أراد أن ينازع الله العظيم الجليل في العظمة ورداء الكبرياء فادعى الربوبية، وهوَ أحدُ العبيد الضعفاء. يذكر الله عز وجل مناظرة خليله إبراهيم مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي ادعى لنفسه الربوبية، فأبطل ابراهيم عليه السلام عليه دليله، وبين كثرة جهله، وقلة عقله. ولما دعاه إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع، فحاجّ إبراهيم عليه السلام في ذلك وادعى لنفسه الربوبية. وقد بدأت المناظرة عندما ذهب إبراهيم عليه السلام للملك ليأخذ منه طعاماً، وكان الملك لم يلتقِ ابراهيم عليه السلام من قبل وقد ذهب إليه بعد نجاته من النار التي أرادوا إحراقه بها.

قد ذكر السدي[1]: "أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم وبين النمرود يوم خرج من النار، ولم يكن اجتمع به يومئذ، فكانت بينهما هذه المناظرة"[2].

"ووجد الناس يأخذون الطعام ويسألهم الملك من ربكم؟ فيجيبونه أنه هو الملك والرب المعبود، وعندما أراد إبراهيم عليه السلام أن يأخذ الطعام، سأله الملك من ربك قال: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود: أنا أحيي وأميت، أنا آخذ أربعة نفر، فأدخلهم بيتاً، فلا يطعموا ولا يسقوا، حتى إذا هلكوا من الجوع، أطعمت اثنين وسقيتهما، فعاشا، وتركت الاثنين، فماتا فعرف إبراهيم أن له قدرة وتسليطا في ملكه على أن يفعل ذلك. قال له إبراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [البقرة: 258]. وقال: إن هذا إنسان مجنون، فأخرجوه ألا ترون أنه مجنون، اجترأ على آلهتكم فكسرها، وأن النار لم تأكله وخشي أن يفتضح في قومه"[3].

وفي رواية أخرى فقال له إبراهيم:" كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي، فأقتل أحدهما فأكون قد أمته، وأعفو عن الآخر فأتركه وأكون قد أحييته! فقال له إبراهيم عند ذلك: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾، أعرف أنه

---

(1) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي إسمه إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي ، أبو محمد القرشي الكوفي الأعور مولى زينب بنت قيس بن مخرمة و قيل مولى بني هاشم كنيته أبو محمد وقيل:السدي القرشي الكوفي الأعور يعتبر إسماعيل بن عبد الرحمن السدي من الطبقة الرابعة من طبقات رواة الحديث النبوي التي تضم طبقة تلي الوسطى التابعين ورتبته عند أهل الحديث وعلماء الجرح والتعديل وفي كتب علم التراجم يعتبر صدوق يهم و رمي بالتشيع، وعند الإمام شمس الدين الذهبي حسن الحديث ، قال أبو حاتم : لا يحتج به وتوفي في عام 127 هـــ . سير اعلام النبلاء: (ج264/5).

(2) ابن كثير، قصص الأنبياء (ج189/1)؛ ابن كثير، البداية والنهاية (ج344/1).

(3) الثعلبي، الكشف والبيان (ج239/2)؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (ج498/2).

كما تقول! فبهت عند ذلك نمروذ، ولم يرجع إليه شيئاً، وعرف أنه لا يطيق ذلك. يقول تعالى ذكره: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، يعني وقعت عليه الحجة يعني نمروذ"[1].

يقول الامام السعدي [2]: "فخص من أنواع التصرّف الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة"[3].

رغم أن الكلام لم يقنع سيدنا إبراهيم عليه السلام في قصة الإحياء والإماتة؛ لأن إبراهيم عليه السلام لم يقصد هذه الطريقة، ولأن كثير ممن يسمعون الحوار لا يفقهون معنى السؤال والإجابة من قبل النمرود، وفطن إبراهيم لذكاء النمرود، فأراد أن يوجه له الضربة القاضية في الحوار والنقاش ويقطع عليه التحايل في الإجابة لسؤال آخر فكان السؤال الجامع المانع. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾.

ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم، ذكر إبراهيم دليلاً آخر بين به وجود الصانع وبطلان ما ادّعاه النمرود وانقطاعه جهرة: قَال ابراهيم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾.

"أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها. وهو الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت من أنك الذي تحي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب فإنّ الذي يحي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم، أنك لا تقدر على شيء من هذا بل أنت أعجز وأقل من أن تخلق بعوضة أو تنتصر منها. فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه، وأبطل ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل به بل انقطع وسكت. ولهذا قال: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة:258]"[4] .

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (347/5).

(2) هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السعدي من آل سعدي (بكسر السين) من تميم ويعرف اختصاراً ابن سعدي (1956-1889) ولد في بلدة عنيزة في القصيم يوم 12 محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية، وتوفيت أمه وله من العمر أربع سنوات وتوفي والده وهو في السابعة، فتربى يتيماً ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في التعلم، وهو مصنف تيسير الكريم الرحمن. روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد: (ج228/2).

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج111/1).

(4) ابن كثير، البداية والنهاية (ج344/1).

"والإحياء والإماتة هما الظاهرتان المكرورتان في كل لحظة، المعروضتان لحس الإنسان وعقله. وهما –في الوقت نفسه –السر الذي يحير، والذي يلجئ الإدراك البشري إلجاء إلى مصدر آخر غير بشري. وإلى أمر آخر غير أمر المخاليق. ولا بد من الالتجاء إلى الألوهية القادرة على الإنشاء والإفناء لحل هذا اللغز الذي يعجز عنه كل الأحياء. إننا لا نعرف شيئا عن حقيقة الحياة وحقيقة الموت حتى اللحظة الحاضرة. ولكننا ندرك مظاهرهما في الأحياء والأموات. ونحن ملزمون أن نَكِل مصدر الحياة والموت إلى قوة ليست من جنس القوى التي نعرفها على الإطلاق قوة الله" [1].

وعندما ذكر الشمس علم إبراهيم عليه السلام أن الكواكب والنجوم تسير في حركة منتظمة بقدرة الله عز وجل ولا أحد يستطيع أن يغير أو يبدل فيها، مهما كانت قوته وعظمته وإمكانياته لأنها مسخرة بيد الواحد القهار مالك الملك، ومهما تعالت قوة النمرود لن يستطيع تغيير معالم الكون لأنه من صنع الله الذي أحسن كل شيء صنعا، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وبعد المناظرة وفشل النمرود في تحدي إبراهيم عليه السلام، وعلم أنه لا يستطيع إيذاؤه خصوصاً بعد نجاته من الحرق في النار، فأخذ يحرض قومه على إبراهيم عليه السلام، ويقول لهم أنه يسفه آلهتكم التي تعبدونها.

وقد تم خروج إبراهيم عليه السلام من عند النمرود بعد أن منعه الطعام كباقي الناس الذين وفدوا لأخذ الطعام بعد الحوار الذي دار بينهما وانتصاره عليه السلام على النمرود الذي وقف مذهولاً ولا يستطيع أن يعمل شيء بعد السؤال المفحم من سيدنا ابراهيم عليه السلام.

وقد روى عبد الرزاق عن معمر، عن زيد بن أسلم، "أن النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يفدون إليه للميرة، فوفد إبراهيم في جملة من وفد للميرة ولم يكن اجتمع به إلا يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة. ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطي الناس، بل خرج وليس معه شئ من الطعام. فلما قرب من أهله عمد إلى كشيب من التراب، فملأ منه عدليه وقال: أشغل أهلي إذا قدمت عليهم. فلما قدم وضع رحاله وجاء فاتكأ فنام، فقامت امرأته سارة إلى العدلين فوجدتهما ملآنين طعاماً طيباً، فعملت منه طعاماً.
فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي أصلحوه، فقال: أنى لكم هذا؟ قالت: من الذي جئت به، فعرف أنه رزق رزقهموه الله عزوجل" [2].

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج297/1).

(2) ابن كثير، قصص الأنبياء (ج190/1).

وقد خرج ﷺ من بابل إلى الشام إلى حران وليس معه إلا زوجته وابن أخيه لوط وكان في الطريق يدعو الناس إلى عبادة الله ﷻ ولا يكترث بقلة العدد وبعدها انتقل إلى مصر.

قال ﷻ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ٢٦﴾ [العنكبوت:26].

قال ابن كثير: لما هجر قومه في الله، وهاجر من بين أظهرهم، وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها، ولم يكن له من الولد أحد، بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، قال ﷻ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ٧٢﴾ [الأنبياء:72]، فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله وعقبه خلعة من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقرباءه، وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق إليه، والأرض التي قصدها الهجرة أرض الشام، وهي التي قال ﷻ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ٧١﴾ [الأنبياء:71][1] .

(1) ابن كثير، البداية والنهاية (ج345/1).

المطلب الثالث

نهاية النمرود المهينة لإستعلائه واستكباره وفساده

بعد محاورة ابراهيم عليه السلام وانتصار ابراهيم عليه السلام خاف أن يؤمن قومه فقام بالتحريض على إبراهيم عليه السلام وجعله يترك بابل، ويبحث عن مكان يدعو الله ﷻ فيه، فتوجه للشام الأرض التي اختارها الله ﷻ له وبارك فيها، أرسل الله ﷻ ملكاً يدعو النمرود للإيمان بالله ﷻ ويترك عبادة الأصنام، ولكنه لم يستجب وأرسل له ملكاً ثانياً وثالثاً ليقيم عليه الحجة ولكن لم يستجب لذل الأمر تعنتاً وكبرياءً وغروراً لأنه ملك الأرض جميعاً وهناك من يتبعه.

قال زيد بن أسلم[1]: "بعث الله إلى نمرود ملكاً أن آمن بي وأتركك على ملكك.

قال: فهل رب غيري؟ فأتاه الثانية فقال له ذلك فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة، فقال له ذلك فأبى عليه، فقال له الملك: اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام، فجمع جموعه، فأمر الله الملك ففتح عليه باباً من البعوض، وطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها، فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق إلا العظام والجبار كما هو لم يصبه من ذلك شيء، فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق، وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه فعذبه الله أربعمائة عام كما ملكه وأماته الله. وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء، قال ﷻ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل:26]" [2].

فالنمرود حكم مدة أربعمائة سنة بالظلم والجبروت وقهر الناس، وجعلهم عباداً له مع عبادة الأصنام، وكانوا لا يستطيعوا حربه ولا مقاومته، وعندما أرسل الله ﷻ سيدنا إبراهيم عليه السلام ليدعوه إلى عبادة الله الواحد القهار، أنكر وجود إله غيره والسبب! أنه لم يدعه أحد قبل ذلك إلى عبادة الله ﷻ وكذلك وحروبه الكبيرة التي خاضها والتي بسببها ملك الدنيا وكما قيل أنه أول من ملك الدنيا، فكل هذا أدى إلى ازدياد جبروته وطغيانه وكان يقول لقومه هل علمتم لكم إله غيري فكان الانكار.

---

(1) زيد بن أسلم هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب، من أئمة العلم والحديث، كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الإسلام محمد بن عبد الله يدرس فيها الناس الفقة والحديث، روى الحديث عن عبدالله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وعطاء بن يسار، وتلقى على يديه مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة. ظهر لزيد بن أسلم في مسند الإمام أحمد بن حنبل أكثر من مئتي حديث، توفي سنة 136هـ. تهذيب التهذيب: (ج3/395).

(2) الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (ج1/282)؛ الطبري تاريخ الملوك والرسل (ج1/288).

وعندما حاوره إبراهيم ﷺ ليدعوه إلى عبادة الله، الذي خلقه وسواه وعدله وأعطاه المال والجاه والسلطان أنكر وجود الله ﷻ، وعمل تابوت ليصعد به إلى السماء، ليرى رب إبراهيم ﷺ، وقيل أنه بنى برجاً ليصعد إليه ليرى الله ﷻ، فأتاه الله ﷻ من حيث لا يحتسب، وأعاد مكره عليه، قال ﷻ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ٢٦﴾ [النحل:26].

ولكن الله ﷻ برحمته يريد أن يقيم الحجة على الناس قبل عذابهم، ويعطيهم الفرصة، فأرسل له ملكاً ثلاث مرات يدعوه أن يدخل في دين الله ﷻ، ويقر بعبوديته لله ﷻ، مقابل أن يبقى حاكماً وملكاً للدنيا، ولكنه رفض وتحدى ﷻ، وكانت نهايته هو وجموعه بجند ضعيف من جنود الله ﷻ، أكل لحومهم وقضى عليهم، وكانت نهاية النمرود المتجبر أن أمر الله حشرة صغيرة تدخل في أنفه فعذبه الله ﷻ بها أربعمائة سنة، مثل مدة حكمه السابقة يُضرب بالنعال على رأسه حتى أخذه الله ﷻ ذليلاً مهاناً بعد أن كان عزيزا مكرما في قومه.

وهكذا انتهى النمرود الجبار بنهاية مهينة ذليلة، لأنه إبتعد عن طاعة وعبادة الله ﷻ، لأن من يتقي الله يجعل له من أمره يسراً، ومن يعص الله ﷻ سيكون له المهانة في الدنيا والعقاب في الآخرة، أي يخسر الدنيا والآخرة، فإن الطاعة وعبادة الله ﷻ تحفظ الإنسان من السوء والمهانة، ويكون عزيزاً كريماً بين أهله وقومه، ومن كفر وأشرك بالله ﷻ فليس له جزاء إلا المهانة في الدنيا، والعقاب والجزاء في الآخرة.

إن طاعة الله ﷻ تحفظ للإنسان ملكه وسلطانه ولا تسلبه منه، إن كان يستعملهما في طاعة الله وفي الحق والدعوة إلى الله ﷻ والله ينصره ويؤيد ويعينه في هذا الأمر، قال ﷻ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧﴾ [محمد:7]. ولكن من ابتعد وعصى، وجعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، ولا يفكر إلا بها ونسي الدار الآخرة والحساب والعقاب والجزاء، وتعالى واستكبر على الله ﷻ، فسيخسر الدنيا والآخرة وتكون نهايته ذليلة مهينة.

المبحث الثالث

علو قارون وإفساده

المطلب الأول

غنى قارون وانكاره فضل الله عليه

قال ﷻ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ٨١ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص:67-83].

تتحدث الآيات عن قارون ذلك الرجل الذي كان من قوم موسى ؛، وهو من بني إسرائيل، ويقال أنه كان ابن عمه وكان من العابدين الذين يحفظون التوراة، ولكنه كان مقرب من فرعون وهامان وكان يناصرهما لينال منهم الثناء والهدايا والنعم وقبل ظهور موسى ؛ أمره فرعون على بني إسرائيل وبعد ظهور موسى وأخيه هارون عليهما السلام نافق ونكر جاههما ودعوتهما لله رب العالمين.

"إنَّ قارُونَ المتجبر المتكبر الذي قد ظهر على الله وعلى رسوله مفتخرا بماله وجاهه كانَ أولاً مِنْ قَوْمِ مُوسى ومن جملة من آمن له وصدقه قيل هو ابن عمته وقيل ابن خالته وكان أميراً بين بنى إسرائيل قد أمره عليهم فرعون وبعد ما قد ظهر موسى وهارون آمن له وحفظ التوراة وأحسن حفظه بحيث يقرأه عن ظهر القلب ثم لما استولى موسى وأخوه على مملكة العمالقة وانقرض الفراعنة رأساً؟.حسد لهما قارون وأنكر جاههما اتكاء بما عنده من

الدفائن والكنوز فقال يوماً لموسى لك الرسالة والنبوة ولأخيك الحبورة وأنا في غير شيء إلى متى أصبر فَبَغى عَلَيْهِمْ وقصد مغالبتهم"[1].

قال المراغي[2] **في تفسيره:** "كان يسمى المنوّر لحسن صورته، وكان أحفظ بنى إسرائيل للتوراة، وأقرأهم لها، لكنه نافق كما نافق السامري وقال: إذا كانت النبوة لموسى، والمذبح والقربان لهارون، فما لى إذا؟" [3].

وكان سبب غناء قارون أنه طلب من موسى عليه السلام، أن يرزقه مالاً كثيراً، فدعا موسى عليه السلام ربه أن يرزق قارون مالاً كثيراً فأعطاه علماً كيف سيصنع الذهب من النحاس حيث أنه كان يقوم بعمليات كيميائية يقوم من خلالها بتحويل النحاس إلى ذهب ويطرحه للبيع بأسعار عالية جمع من وراءها أموال طائلة.

وقال بعض المفسرين أن قارون جمع ثروته من أعمال غير مشروعة مستغلاً قربه وعلاقته بالحاكم فرعون ووزيره هامان الأمر الذي ساعده على نماء ثروته [4].

وقارون قد تحصل على كثير من التسهيلات والتصريحات التى كانت سبباً فى حجم هذه الثروات الطائلة، وكان قارون يفعل ذلك كله مستغلاً أيضاً علمه الكيميائى فى نماء الثروة بالإضافة لعلاقاته المذكورة وأعماله غير المشروعة من استغلال الفقراء واستعبادهم في العمل معه واستيلائه على بعض الأراضي والمساكن عنوة وينسب فضل الثراء لنفسه ويقول عن ثروته وعن المال: **﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾** [القصص:78]. فنسب المال والثروة لنفسه ولعلمه الذي آتاه الله وتنكر لما أعطاه الله ﷻ من علم ومال وثروة عظيمة ومنصب وجاه جعل له مكانة كبيرة عند فرعون وعند الناس أيضاً ساعدته في أن يكون ثالث الثلاثة مع فرعون وهامان الذين حكموا بني إسرائيل واستعبدوهم واستبدوا عليهم.

---

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية (ج91/2).

(2) محمد مصطفى المراغي (ولد 1298 هـ 1881م - ت1364هـ/1945) هو من أبناء (المراغة) بمحافظة سوهاج. وقد كان أصغر من حصل على العالمية، التي حصل عليها عام 1904 علي يد أستاذه (الإمام محمد عبده)، الذي رشحه في السنة ذاتها للعمل في السودان وهناك توثقت علاقته بحاكم السودان الإنجليزي دون أن يؤثر هذا على مهابة واستقلالية مهنة الشيخ، فقد عرف عن الشيخ المراغي الميل للاعتدال والنفور من العنف، والاستقلال في اتخاذ القرار، وفي السودان تولي المراغي منصب قاضي القضاة في السودان كان ذلك عام 1908 وكان عمره آنذاك 28 عاماً. الأعلام للزركلي: (ج1/ 258).

(3) المراغي، تفسير المراغي (ج93/20).

(4) أنظر: الإستانبولي، روح البيان (ج694/6)؛ انظر: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (ج482/4).

قال قتادة ومقاتل والكلبي: "كان قارون أقرأ بني إسرائيل للتوراة فقال: إنما أوتيته لفضل علمي واستحقاقي لذلك".[1]

وكان هذا في نسب فضل الثروة لنفسه وعدم إرجاع الفضل لله ﷻ، مغتراً بنفسه وقراءته للتوراة وعلمه به.

"قال سعيد بن المسيب والضحاك: كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكيمياء من السماء فعلم قارون ثلث العلم ويوشع ثلثه وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهباً"[2].

وكانت ثروة قارون قد لا توازيها ثروة على مدى التاريخ في حجمها من ذهب ومجوهرات وقصور وأموال وأراضي وعبيد يعملون عنده، قال ﷻ: **﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾** [القصص:76]. حيث أن مفاتيح الخزائن لا يحملها إلا عصبة من الرجال الأقوياء.

"وقد قيل أن حملة مفاتيح خزائنه حوالي أربعون رجلاً لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ بحيث يثقل حملها على الجماعة الأقوياء" [3].

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه المفاتيح كانت مصنوعة من الجلود وكانت تحمل على ستين بغلاً ويصعب على مجموعة من الرجال الأشداء حملها، ولم تكن ثروة قارون ما في خزائنه من أموال فحسب بل كان لديه أيضاً عدد كثير من الخيل والمركبات والحرس، وكانت مركباته مطعمه بالفضة والذهب وكانت سروج خيله مصنوعة من الجلد المزين بالذهب الخالص وكان قصره عظيماً يشبه قصر فرعون أعمدته من الرخام المحلي بالذهب والفضة وأرضيته من الرخام ونوافذه من خشب الصندل المعطر [4].

---

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (ج25/25).

(2) الرازي، مفاتيح الغيب (ج25/25).

(3) الأبياري، الموسوعة القرآنية (ج491/10).

(4) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج617/19)؛ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج220/6)؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ج298/4).

المطلب الثاني

علو واستكبار قارون

قال ﷻ: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القصص:67-79].

تبين لنا الآيات علو واستكبار قارون، حيث أنه كان من بني اسرائيل ويعيش معهم وبينهم وكان أميراً عليهم، ولكن بعد أن رزقه الله المال والثروة والكنوز المدفونة تعالى على قومه، واستكبر عليهم، وسخر منهم العبيد لخدمته والعمل له مقابل مبالغ زهيدة من المال، وكان يلبس أعظم وأجمل الثياب، حتى أنه أطال ثوبه شبراً عن لباس سيدنا موسى تكبراً وخيلاء، وأنه أفضل من موسى عليه السلام جمالاً وبهجة وزينة، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الله ﷻ لا ينظر للمختالين والمتكبرين، فعن ابن عمر، رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: **(لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء)**(1).

قال صاحب الظلال: "قد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس؛ وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض؛ ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها؛ فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى" (2).

ولكن قارون فعل غير ذلك حيث أنه عندما رزقه الله ﷻ المال والكنوز والسلطان، وفتح الله ﷻ عليه أبواب النعيم، وسبل الرزق، وطرق الكسب، فعظمت أمواله، وكثرت

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، اللباس/ قوله تعالى" قل من حرم زينة الله التي أخر لعباده، ص816: رقم الحديث 5783]؛ [مسلم: صحيح مسلم، اللباس والزينة/ تحريم جر الثوب خيلاء، ص1002: رقم الحديث 2085].

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2711/5).

كنوزه، وفاضت خزائنه، وأوتي بسطة في الرزق، ورخاء في العيش، وكثرة في المال؛ فعاش في ترف وبذخ، وكبرٍ وبطرٍ، وفخر وخيلاء. طغى وتجبّر، فسق وتمرّد، تطاول وتمادى، زاد نهمه، وكثر خدمه، وعظم حشمه، حتى ظن أن لن يقدر عليه أحد، عميت بصيرته، وعظم زهوه، وزاد غروره، واغتر به كثير من الناس، ورنت إليه بعض الأبصار، وتمنت مكانه كثير من الناس الذين رأوه في بهرجته وزينته. وقد نصحه موسى عليه السلام ولكنه لم يتعظ ولم يسمع أخذه الغرور والكبرياء، فطلب موسى من بعض قومه أن ينصحوه ويرشدوه إلى طريق الصواب والصلاح، **قال** ﷻ:**﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ٧٦﴾** [القصص:76].

قال الإمام الغزالي(1): " الفرح بالدنيا سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة وهذا هو موت القلب. فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته"(2).

قال صاحب البحر المديد:"إذ قال له قومه لا تفرح لا تبطر بكثرة المال فرح إعجاب لأنه يقود إلى الطغيان. أو: لا تفرح بالدنيا إذ لا يفرح بها إلا من لا عقل له، إن الله لا يحب

---

(1) أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، (450 هـ - 505 هـ / 1058م - 1111م). كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفيَّ الطريقةِ، شافعيَّ الفقهِ إذ لم يكن للشافعية في آخر عصره مثلَه. وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام، وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري، (وكانوا الباقلاني والجويني والغزّالي). لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجّة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة. كان له أثرٌ كبيرٌ وبصمةٌ واضحةٌ في عدّة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، وترك عدداً من الكتب في تلك المجالات. سير أعلام النبلاء: (ج322/19).

(2) الغزالي، إحياء علوم الدين (ج68/3).

الفرحين: البطرين المفتخرين بالمال، أو: الفرحين بزخارف الدنيا، من حيث حصول حظوظهم وشهواتهم فيها. قال البيضاوي: الفرح بالدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضا بها، والذهول عن ذهابها، فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارق لا محالة، يوجب التوخي" [1].

وتستمر التوجيهات والنصائح من قومه في أن ينتفع فيما آتاه الله في الحياة الدنيا من مال وغنى للدار الآخرة ينفق على المحتاجين والفقراء ولايبخل من مال الله ﷻ الذي رقه وأعطاه الله إياه، ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ ولا ينس نصيبه في الدنيا من التنعم بملذاتها ونعيمها فيما لا يغضب الله ﷻ من طعام وشراب ومأكل وملبس، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ كما أمروه بالاحسان ونشر الخير وإعطاء المحتاجين لأنه كان قبل مثلهم فلا ينسى ماضيه الذي كان يعيشه من الفقر قبل أن أغناه الله: ﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ .

فالله ﷻ لا يحب الفساد ولا المفسدين وكن يا قارون مصلحا من أهل الخير والصلاح ولا تكن من أهل الضلال والفساد، فكما أن الله ﷻ لا يحب الفرحين في الدنيا على حساب الآخرة، فهو أيضاً لا يحب المفسدين والظالمين وسيكون لهم عقابا عظيما من الله ﷻ: ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القصص:77]

ولكنه لم يستجيب لهذه النصائح من قومه، وخرج على قومه في زينته العظيمة التي يتفاخر ويتباهى بها في أجمل الثياب وأحسن الخيول وكثرة الخدم والحراس قال ﷻ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ ﴾

قال صاحب الكشاف: "وقيل: خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب، ومعه أربعة آلاف على زيه؛ وقيل: عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية، بيض عليهن الحلي والديباج؛ وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رئي فيه المعصفر"[2].

وبعد رؤية هذا المنظر المهيب موكب قارون الذي أذهل الناس في ذلك الوقت من عظمته وكثرة ما فيه من أموال وذهب وجواري وخدم، دخلت الدنيا في قلوب بعض المؤمنين الذين تمنوا أن يكون لهم مثلما كان لقارون. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القصص:79] ولكن كان هذا غبطة من المسلمين وكأنهم يريدون هذا المال لزينة الدنيا والاغتنام به للآخرة، من عمل خير وتصدق ومساعدة الناس.

---

(1) ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (ج275/4).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج432/3).

"كان المتمنون قوماً مسلمين وإنما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر. وعن قتادة: تمنوه ليتقربوا به إلى الله وينفقوه في سبل الخير؛ وقيل: كانوا قوما كفاراً. الغابط: هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه؛ والحاسد: هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ومن الحسد قوله **﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾** [النساء:32]. [1]، وقيل لرسول الله ﷺ: هل يضر الغبط؟ فقال: **(لا إلا كما يضر العضاه الخبط)** [2]،[3] .

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج432/3).

(2) العضاه: كل شجر يعظم وله شوك. وفيه الخبط: ضرب الشجرة بالعصا ليسقط ورقها.

(3) عبيد، تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري (ج385/1). رجاله ثقات من رجال البخاري.

المطلب الثالث

فساد قارون ونهايته

أولا: البغي على قومه:

كان قارون من بني إسرائل، ومن قوم موسى عليه السلام، وكان يعيش معهم وبينهم، وكان أميراً عليهم من قبل فرعون، ولكن عندما رزقه الله المال والجاه والسلطان تكبر وتعالى عليهم، وسخر منهم العبيد والجواري لخدمته، وكان يستغلهم أسوأ استغلال في العمل معه مقابل مبالغ زهيدة من المال وكان يظلمهم بذلك. قال تعالى: **﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ﴾**، فبغى عليهم وأخذ أراضيهم واستغل قدراتهم وكان بغيه بكل ما تحمله الكلمة من معاني.

ثانيا: إنكار فضل الله عز وجل عليه وعدم دفع الزكاة:

عندما زاد المال عليه وأمره قومه بالاحسان، والانفاق في سبيل الله عز وجل لم يجبهم، وقد جاءه موسى عليه السلام يطلب منه الزكاة التي فرضها الله عز وجل عليه فرفض وذكروه بنعم الله عز وجل عليه فكان جوابه **﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾** أي أنه حصل على هذا المال بعلمه وحنكته وتجارته وعمله ولم يكن لأحد فضل عليه، وقد طلب منه موسى عليه السلام على كل ألف دينار دينار، ولكل ألف درهم درهم، فاستكثر الأمر قارون وجمع الناس وحرضهم على موسى عليه السلام، وقال لهم إن موسى عليه السلام يريد أن يأخذ أموالكم.

"ثم ما لبث قارون أن جمع بني إسرائيل وقال: إن موسى أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم!! فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت. ففكر.. ثم نظر.. ثم قدر.. فقتل كيف قدر!!"(1) .

وأراد الكيد لموسى عليه السلام ولكن الله عز وجل نجاه منهم ومن كيد قارون وأهلك قارون ومن معه وخسف بهم الأرض. **﴿ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾** [القصص:78].

ثالثا: التكبر على قومه:

"يجيء بعد ذلك مشهد من مشاهد القصة، وهو المشهد الذي يخرج فيه قارون على قومه في زينته، وكأنه بذلك يكيد للذين نصحوه ويستخف بمشاعرهم، ويبالغ في إيلامهم، فيخرج في منتهى الزينة، وغاية الكبر، ونهاية الغرور، فتطير لذلك قلوب فريق من القوم،

---

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج433/3).

وتتهاوى أنفسهم لمثل ما أوتي قارون، ويرون أنه صاحب حظ عظيم، وخير عميم، وذلك لأنهم أصحاب نظرية مادية، وأفكار دنيوية" [1] .

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص:79]. وهنا يتدخل أهل العلم والحكمة مرة أخرى، ويقدمون النصيحة، ويجتهدون في الموعظة، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ۝٨٠﴾ [القصص:80].

فذكّروهم بالرجاء فيما عند الله، والاعتزاز بثوابه، والفرح بعبادته، فيجب أن يكونوا أعلى نفساً، وأكبر قلباً، ولا يلقاها إلا الصابرون على معايير الناس ومقاييسهم، الصابرون على فتنة الحياة وإغرائها، الصابرون على الفقر ومعاناته، الصابرون على شظف العيش ومقاساته، الصابرون على الحرمان من كثير من متع الدنيا، لأنهم علموا أن الآخرة هي أعظم وهي دار القرار والفوز بإذن الله ﷻ.

رابعاً: الكيد والافتراء على موسى ؑ:

بعد أن طلب منه موسى ؑ دفع الزكاة وحرض الناس عليه وقال جاء ؑ ليأخذ أموالكم فماذا أنتم فاعلون إن موسى ؑ أرادكم على كل شيء وهو يريد أن يأخذ أموالكم!! فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت ففكر ثم نظر ثم قدر فقتل كيف قدر!![2].

فعن ابن عباس:" قال له موسى ؑ: إن الله أمرني أن آخذ الزكاة فأبى فقال: إن موسى ؑ يريد أن يأكل أموالكم، جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فتحملوه أن تعطوه قالوا: لا نحتمل فما ترى فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي من بغايا بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسها، فأرسلوا إليها فقالوا لها: نعطيك حكمك على أن تشهدي على موسى ؑ أنه فجر بك.

قالت: نعم.

فجاء قارون إلى موسى ؑ قال: اجمع بني إسرائيل فأخبرهم بما أمرك ربك قال: نعم: فجمعهم فقالوا له: بم أمرك ربك قال: أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تصلوا الرحم وكذا وكذا وقد أمرني في الزاني إذا زنى وقد أحصن أن يرجم.

قالوا: وإن كنت أنت قال: نعم.

قالوا: فإنك قد زنيت قال: أنا؟!

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2709/5).

(2) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج433/3).

فأرسلوا إلى المرأة فجاءت فقالوا: ما تشهدين على موسى فقال لها موسى ﷺ: أنشدك بالله إلا ما صدقت قالت: أما إذ نشدتني بالله فإنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي وأنا أشهد أنك بريء وأنك رسول الله فخر موسى ﷺ ساجداً يبكي فأوحى الله إليه: ما يبكيك قد سلطناك على الأرض فمرها فتطيعك رفع رأسه فقال: خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى فقال: خذيهم إلى أعناقهم فجعلوا يقولون: يا موسى، يا موسى فقال: خذيهم فغيبتهم فأوحى الله يا موسى: سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم". [1]

هذا هو العقاب، مشهد الخاتمة المشينة، والمصرع الوخيم، والانتقام العظيم قال ﷻ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ٨١﴾ [القصص:81]. هكذا كانت النهاية بعد أن عظمت الفتنة، واشتدت المحنة. هذه نتيجة الكبر والبطر والغرور والخيلاء، والجحود والإصرار، والتألي على عباد الله ﷻ، ابتلعته الأرض، وساخت فيها أمواله وقصوره.

يقول ﷺ: (**بينا رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما، أمر الله فأخذته، فإنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة**)[2] .

وبعد هذه النهاية الخاسرة، أصبح الذين تمنوا مكان قارون يحمدون الله ﷻ أن منَّ عليهم ونجاهم من الخسف، قال ﷻ: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٨٢﴾ [القصص:82].

ثم تختم القصة بهذا المقطع الجميل الذي يؤكد أن الفوز والفلاح هو في الدار الآخرة وأن الله ﷻ يجعل جناتها ونعيمها، وأنسها وسرورها وأنهارها وحورها، لأهل الإيمان والتواضع والتقوى والإحسان، والبعد عن الفساد، قال ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص:83].

وهكذا تنتهي قصة هذا الجبار المتفرعن، الذي تطاول على الله ﷻ وعلى عباده، وكفر بعد إيمانه، ليكون عبرة لمن خلفه من المتكبرين والطغاة الظالمين الذين لا يخشون في الله ﷻ لومة لائم.

---

(1) السيوطي، الدر المنثور (ج437/6).

(2) [أحمد، مسند الامام أحمد، مسند أبو سعيد الخدري، ج452/17: رقم الحديث 11355].اسناده صحيح، صححه شعيب الأرناؤوط.

بعض الدروس المستفادة من القصة:

1. أن نسب الإنسان وحسبه لا يغني عنه من الله شيئاً.
2. أن الرزق هو من عند الله ﷻ تعالى فهو مقدر الأقدار، ومقسم الأرزاق.
3. عدم الفرح بالدنيا، فرح زهو وكبر وغرور، فإن هذه هي المهلكة الكبرى، والداهية العظمى، فالكبر والغرور عاقبتها وخيمة.
4. مقياس السعادة والسرور في الدنيا هو بطاعة الله ﷻ والإحسان إلى عباده، وليست السعادة ولا الريادة بكثرة الغنى.
5. أن الإسلام يدعو إلى إعمار الأرض والسير في مناكبها، والأخذ بنصيب من الدنيا، ولكن يجعل ذلك كله طريقاً إلى الدار الآخرة، ويحسن الإنسان كما أحسن الله ﷻ إليه.
6. أن الفساد وأهله ممقوتون بعيدون من محبة الله ﷻ. فويل لمن سخّروا أموالهم لإفساد عباد الله ﷻ، أين يذهب أصحاب الأموال الطائلة من ربهم ﷻ، وقد سخروا أموالهم في إفساد الناس، ونشر الفاحشة، والدعوة إلى الرذيلة؟!
7. يجب على أهل العلم والخير أن يقوموا بمسؤولية الدعوة وواجب النصيحة.
8. أن الصبر سبب للخير والفلاح، والتوفيق والنجاح في الدنيا والآخرة.
9. أن العاقبة للمتقين، والفوز للصالحين، والآخرة للمؤمنين المجتهدين المتواضعين [1].

---

(1) أنظر: الزهراني، المنبر. (خطبة جمعة)

المبحث الرابع

علو فرعون وإفساد

المطلب الأول

علو فرعون على قومه واستبداده على قومه

إن العلو المذموم والتكبر صفتان تأخذان بصاحبهما إلى النار، إن لم يتب إلى الله ﷻ ، وتجعل الانسان يشعر بأنه أفضل وأعظم من غيره، إن هذه الصفات السيئة قد تتمادى بصاحبها حتى تحملَه على ردِّ الحق ومقاومته، وعدم الإذعان له، والاستكبارِ عن آيات الله ﷻ، والاستطالة على عباد الله ﷻ في أموالهم أو أنفسهم أو أعراضهم، وكل أولئك مما استلزم معالجةً دقيقة محكمة تولاها الذكر الحكيم، حيث بين سبحانه في معرض الذم لهم والتنفير من سلوك سبيلهم الذي كانوا يتصرفون في ومنهم فرعون ذلك الطاغية الذي استعبد بني إسرائيل وجعلهم عبيدا، عندما يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، وهي جملةً من صنائع بعض من علا في الأرض بغير الحق في معرض الذم لهم والتنفير من سلوك سبيلهم، مع بيان سوء مآلهم وقبح عاقبتهم، فقال سبحانه في شأن فرعونَ موضحاً أن علوَّه في الأرض كان السببَ فيما لقيه أهلُها من ذلٍّ وصغار وعذاب وبلاء، قال ﷻ: **﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾** [القصص:4][1].

"إن فرعون علا، واستكبر وتجبر وتعظم، في الأرض، أرض مصر، وجعل أهلها شيعاً، فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير، يستضعف طائفة منهم، أراد الطائفة بني إسرائيل، ثم فسر الاستضعاف فقال: يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم. سمى هذا استضعافاً لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، إنه كان من المفسدين" [2].

وقد رأى فرعون رؤيا تتجه إليه من بيت المقدس تؤدي إلى هلاك ملكه فجمع السحرة والكهنة ليفتوه بما رأى في حلمه من أمر أفزعه فقالوا إنه سيولد من بني إسرائيل طفل سيكون له شان عظيم.

ومن تجبره وظلمه وكفره: عن ابن عباس، رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما أسري به مرت رائحة طيبة، فقال: **يا جبريل ما هذه الرائحة؟**، فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة

---

(1) خياط، العلو في الأرض (خطبة جمعة).

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج521/3).

فرعون وأولادها، كانت تمشطها، فوقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله فقالت ابنته: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، فقالت أخبر بذلك أبي؟ فقالت: نعم، فأخبرته، فدعا بها، فقال: من ربك؟، هل لك رب غيري؟ قالت: ربي وربك الذي في السماء، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم دعا بها وبولدها فألقاهم فيها[1]،[2].

قال السدي: رأى فرعون في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه، فقالوا: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس رجل يكون على وجهه ذهاب مملكتك، وكان بنو إسرائيل لا يولد لهم غلام إلا ذبحه، ولا يولد لهم جارية إلا تركت؛ وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة، فجعل بنو إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلهم غلمانهم.[3]

ونجد فرعون ذلك الطاغية الذي استعبد الناس، وأرهبهم وعذبهم، نسي أنه كان يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:38]، وقال لقومه أيضاً: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [النازعات:4] فجعله الخوف من القادم لا يدري ما يفعل، لأنه يعلم في قرارة نفسه أن هناك إله أعظم منه، هو خالق كل شيء وعالم بكل شيء وقادر على كل شيء، ولكنه كان يجحد ذلك وسيطر على قلبه العلو والكبرياء والغرور وطمست بصيرته هو ومن أيده من الظالمين والساحرين. قال ﷻ : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [النمل:14]. علموا أن الدعوة من عند الله ﷻ يقينا ولكنهم جحدوها جحود العالم وجحود التكبير والعلو.

قال الضحاك بن قيس[4]، يقول: "اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة، فإن يونس كان عبداً صالحاً ذاكراً لله، فلما وقع في بطن الحوت قال الله ﷻ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الصافات:143-144] "، وإن فرعون كان

---

(1) [احمد: مسندالإمام أحمد، مسند عبد الله بن عباس، ج30/5: رقم الحديث 2820]. حسنه الأرناؤوط.

(2) الدارمي، الرد على الجهمية (ج51/1).

(3) القرطبي، الهداية إلى بلوغ النهاية (ج5483/8).

(4) الضحاك بن قيس الفهري القرشي، صحابي من صغار الصحابة وله أحاديث. كان جواداً، شهد فتح دمشق وسكنها ووليها بعد ما كان ولي الكوفة من قِـبَل معاوية بن أبي سفيان. دعا لخلافة عبد الله بن الزبير بعد وفاة يزيد بن معاوية فقُتل سنة 64 للهجرة في حرب خاضها ضد مروان بن الحكم بمرج راهط. سير أعلام النبلاء: (ج241/3).

عبداً طاغياً ناسياً لذكر الله فلما أدركه الغرق ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾ [يونس:90] [1].

وبعد تفسير الحلم له بخروج طفل من بني إسرائيل، أمر بقتل كل طفل ذكر يولد من بني إسرائيل وتترك الجواري، وجعل الذين يعملون خارج البلد يعملون داخلها لمتابعتهم، وجعل بدلهم الأقباط، وذلك حتى يسيطر على الجميع تحت أمره، ولكن قدرة الله ﷻ سارية فولد موسى عليه السلام وأمر الله ﷻ أمه أن ترضعه وتلقيه في اليم ليأخذ اليم إلى قصر فرعون، وليتربى في بيت الطاغية الذي يريد قتله بحفظ الله ورعايته قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾ [القصص:7].

ففرعون عندما طغى وتجبر أنساه الشيطان ذكر الله ﷻ وظل لاهياً في الدنيا متجبراً متكبراً على قومه، حتى أرسل الله ﷻ له موسى وهارون عليهما السلام لدعوته إلى طاعة الله ﷻ وعبادته وأن يترك بني أسرائيل ولا يعذبهم. قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ [طه:43-48].

نلاحظ هنا أسلوب الأمر في الدعوة لله ﷻ:

1. أن الداعية هو من يذهب للمدعو ليدعوه لله تعالى، مهما كان المدعو ضعيفا أو عظيماً. قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾
2. القول اللين والاسلوب المحبب والطريقة التي لا تنفر المدعو من الداعي ويسمع لمن يدعوه حتى النهاية. قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾
3. الدعوة بالموعظة الحسنة والمجادلة بالطريقة المثلى. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:125].

---

(1) [ابن ابي شيبة، مصنف بن أبي شيبة، ج137/7: رقم الحديث 34794].

4. ألا يكون فظاً غليظاً في الدعوة إلى الله ﷻ والتعامل مع الناس ويكون لين الجانب طيب اللسان، واسع ومنشرح الصدر، حليم صبور، قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران:129].

ولكن فرعون تعالى وتكبر عند ذهاب موسى وهارون عليهما السلام لدعوته، وقال من ربكما يا موسى؟! فكان هنا أسلوب التعجب الانكار عن وجود الله ﷻ، وأنه لا يوجد إله غيره يعبد في الدنيا أو على الأرض، وكان يعتقد هذا بسبب جبروته وطغيانه، وذلك لأنه لم يجد من صده ويمنعه من الكفر والعصيان والجبروت، ودعوته للحق، وذلك خوفاً من سطوته وجبروته، وأنه لا يوجد من يدعوه لله ﷻ، فتمادى في طغيانه واستكبر، ولكن عندما جاءه موسى عليه السلام، يدعوه إلى هذا الأمر، لم يعجبه وتنكر له، وحارب موسى عليه السلام حتى أراد قتله ومن معه من الموحدين ولكنه الله حفظهم ونجاهم.

المطلب الثاني

دلالات العلو في حوار فرعون مع موسى

حوار[1] موسى عليه السلام وفرعون تكرر كثيراً في كتاب الله عز وجل بعدة صيغ ومن زوايا مختلفة، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون هي الأكثر تكراراً في القرآن وهي قصة أحداث مثيرة جداً وطالت هذه القصة وطالت أحداثها؛ موسى عليه السلام هو كليم الله عز وجل وله منزلة عظيمة عند الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب:69]، كان صاحب وجاهة.

قال ابن عباس: "كان حظياً عند الله لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه"[2].

وقال الحسن: "كان مستجاب الدعوة" [3].

وهو كليم الله عز وجل أيضاً؛ لذلك تكررت هذه القصة في القرآن وهي أنموذج لمسائل كثيرة وقضايا وتأصيلات عقلية وعقدية وتربوية وإيمانية ودعوية يستفاد منها، والفوائد في قصة موسى وفرعون فوائد كبيرة جداً وكثيرة ولذلك تجد القرآن يكرر هذه القصة.

موسى عليه السلام كان في لسانه لثغة، ولذلك عندما طلب الله عز وجل منه أن يذهب لفرعون قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾ [طه:24-36]. شعر موسى عليه السلام بالنقص عنده من اللثغة في كلامه فطلب من ربه أن يجعل هارون وزيراً ومعيناً ومتحدثاً ومسانداً له في حواره مع فرعون حتى تصل رسالة الدعوة كاملة وحتى لا يستهزئ به فرعون ومن معه، وفرعون لم يفته أن يعيب موسى عليه السلام عندما تحدث معه، ويقلل من شأنه، ويريد أن يستنقص موسى عليه السلام بأمر خارج عن إرادته، كيف يدّعي النبوة ثم هو يكون صاحب عيب خلقي في لسانه وقال الله تعالى عن فرعون: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢﴾ [الزخرف:51-52].

---

(1) الحوار: من المُحاورة؛ وهي المُراجعة في الكلام بين شخصين أو أكثر ويطغاه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.

(2) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج378/6).

(3) المصدر السابق (ج378/6).

قال ابن الجوزي: "﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أشار إلى عُقدة لسانه التي كانت به ثم أذهبها الله عنه"[1].

حوار موسى عليه السلام مع فرعون في سورة الشعراء:

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٧ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾ [الشعراء:10-22].

بدايةً موسى عليه السلام كان يشعر بثقل المهمة، في بداية الحوار بين الله ﷻ وموسى عليه السلام، وأشعر الله ﷻ موسى عليه السلام بثقل المهمة وموسى عليه السلام كان يشعر أنه سيكون بينه وبين فرعون حوار يحتاج إلى حجة وإلى فصاحة وإلى بيان وبلاغة وكل هذا له أثر في إيصال الرسالة إلى الناس وإيصال الحوار لهم وأن الحجة لا بد أن تصل للناس بشكل صحيح حتى تقنع هؤلاء القوم بأمر عظيم ادعاه فرعون وحشد له كل ما يريد لأجل إثبات ربوبيته وألوهيته من دون الله ﷻ فأمر إثبات فرعون لألوهيته وحشد جنوده، وقتل أبناء بني إسرائيل واستحيا نساءهم إلى آخر ما فعل فرعون كل ذلك لأجل إثبات ربوبيته من دون الله ﷻ، ولذلك كان موسى عليه السلام يشعر أن الأمر ليس بهيّن لذلك قال الله في آية أخرى ﷻ على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾ [القصص:34]. كان موسى عليه السلام يريد رجلا أزيراً له، وعوناً له أمام هذا الطاغية، لأن موسى في السابق هرب من فرعون وبطشه بعد استغاثة شخص من شيعته وقتله للقبطي دون قصد فكان رد الله ﷻ عاجلاً لموسى قال ﷻ: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ٣٥﴾ [القصص:35]. وكان موسى خائف من تكذيب فرعون وملأه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢﴾ [العنكبوت:12].

(1) الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج80/4).

بداية الحوار:

قد كان شيء من الخوف والرهبة في نفس موسى ﵇، فإن اللسان يتلعثم وربما لا يستطيع أن يصف أفكاره وصفاً صحيحاً، بل وقد تذهب الأفكار من ذهنه، لذلك موسى ﵇ نبّه إلى ذلك، لأن الحوار سيكون مع طاغية متجبر، مدّعي للألوهية والربوبية، يحشد الأجناد والسحرة، ويستخدم الأدوات التي بين يديه لمحاولة استصغار الآخرين، وهي مهمة ثقيلة على النفس.

قال ﷻ: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٧﴾ [الشعراء:16-17].

وصل موسى ﵇ مع أخيه هارون ﵇ إلى فرعون ليدعواه إلى عبادة الله ﷻ وحده، لا شريك له وأنهما رسولا من من رب العباد، أرسلهما لدعوته لطريق الحق، وأخذ بني إسرائيل معهم ولحمايتهم منه ومن بطشه.

ويقال في القصة: "إن موسى وهارون كانا يترددان على باب فرعون سنة كاملة ولم يجدا طريقاً إليه: ثم بعد سنة عرضا الرسالة عليه، فقابلهما بالتكذيب" [(1)].

وبعد بدء الحوار أعلن موسى ﵇ أنه وهارون رسولا رب العالمين من غير تردد ولا وجل ولا خوف لأن الله معهما وحافظهما، هنا بدأ الهجوم المضاد من فرعون ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨﴾ [الشعراء:18]. كان فرعون يمن على موسى ﵇ في إيوائه وتربيته وفضله عليه، قمة الاحتقار والازدراء لموسى ﵇، ألم تكن صغيراً فينا؟ ألم تكن وليداً فينا؟ نحن الذي ربيناك وأنعمنا عليك، قد كنت في كنفنا وترعرعت على أيدينا فكيف الآن تأتي وتريد أن تنزع منا الملك والربوبية؟ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾ [الشعراء:19-22] ويتابع فرعون هجومه على موسى ﵇، الذي يدافع عن نفسه أنه لم يقصد القتل وفر خوفاً من بطشهم وجبروتهم إلى مدين، ووهبه الله حكمة وعلماً.

"ففررت منكم لمَّا خفتكم وبعد ما فررت منكم لأجلها قد وصلت الى خدمة مرشد رشيد ومرب منبه نبيه يرشدني ويربيني بأنواع الفضائل والكرامات فوهب لِي رَبِّي من شرف صحبته وحسن تربيته حُكْماً اى حكمة متقنة كاملة بالغة وَجَعَلَنِي حسب فضله وطوله مِنَ الْمُرْسَلِينَ فأرسلني إليكم لأدعوكم الى توحيد رب العالمين ثم شرع موسى ﵇ في جواب ما

---

(1) القشيري، لطائف الإشارات، تفسير القشيري (ج8/3).

قد من عليه فرعون من حقوق النعمة والتربية فقالوا تِلْكَ النعمة التي قد عددت أنت أيها الطاغي الباغي نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ ليست تبرعاً منك إليّ حتى أكون ممنوناً بها منك بل ما هي الا أَنْ عَبَّدْتَ أنت زماناً طويلاً قومي بَنِي إِسْرائِيلَ بك لها صاغرين مهانين مظلومين بأنواع الظلم والهوان"[1].

موسى عليه السلام يقول إن كنت قتلت أنا قتلت رجلاً واحداً، فأنت يا فرعون قد قتلت أمة فأيها أعظم شناعة؟! والسبب في لجوئي إليك وهروبي وفراري إلى القصر ما كنت أنت تفعله من تقتيل بني إسرائيل، لما خافت أمه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧﴾ [القصص:7] فذهاب موسى إلى قصر فرعون إنما هو خوف من فرعون فأمّنه الله عز وجلّ. لما شعر فرعون أن الأمر قد كان واضحاً في حجة موسى عليه السلام واضحة وفرعون عنده قضية الفرار من الحجج.

وهنا ينتقل الحوار من طرف فرعون سؤال كبر وغرور واستهزاء لا سؤال استفهام ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٣﴾ [الشعراء:23]. فيجيبه موسى عليه السلام إجابة الواثق بنفسه وبحماية ربه جل جلاله له صاحب رسالة الحق والدعوة الصادقة والقلب الواعي المتيقن بخالقه ورازقه ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾ [الشعراء:24]، وذكر موسى عليه السلام السماوات والأرض لعلمه بعجز فرعون عن التحدث عنهما، أو نسبتهما إليه لعظمتهما، وأيضا تحدث عما بينهما من كواكب واجرام وبحار وأنهار فعجز فرعون عن الإجابة، وهرب بسؤال ملأه فقال لهم ألا تسمعون؟! ألا ترون ما يقول في ازدراء وكبرياء وغرور، وتعنت للحق لما جاءه، أهناك إله غيري يعبد ويطاع، ألكم إله غيري تعبدونه من قبلي، "ويقول له موسى عليه السلام هل خلقت أباك يا فرعون؟ أين كنت يا فرعون عندما كان أبوك موجوداً؟ كنت من عدم، والرب لا يكون منعدما ولا يكون من فناء، وبعد عجزه في الحوار إتهم موسى عليه السلام بالجنون، ولا يدري ويعي ما يقول ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٧﴾ [الشعراء:25-27]" [2].

قال أبو زهرة: "أول رمية رمى فرعرن بها موسى هي الجنون، وذكره بوصف الرسالة تهكما وإمعاناً في الإنكار والتنفير، وأنه مع جنونه المدعى أرسل إليكم، وفى ذلك تحريض على استنكار رسالته كأنه يقول: اختير لكم رسول مجنون. ولكن موسى كليم اللَّه لم

---

(1) النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية (ج40/2).

(2) المطيري، حوار موسى مع فرعون في سورة الشعراء (مقال).

يرعه ذلك الكلام الباطل، ولم يهتز له، بل استمر فى بيان بطلان ألوهية فرعون، فقال أن ربه رب الكون: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨﴾ [الشعراء:28].(1) "أي ليس ملكه كملكك، لأنك تملك بلدا واحدا، والذي أرسلنى يملك المشرق والمغرب وما بينهما" (2).

وبعدها بدأ أسلوب التهديد والوعيد لموسى عليه السلام بالسجن والعذاب والترهيب الشديد إن موسى عبد إله غير فرعون؛ لأن فرعون شعر بأثر نتيجة كلام موسى وهارون على بني إسرائيل، وبعض من يوجد عنده بعد إتهامه بالجنون التي هي ديدن كل الطغاة في اتهام الأنبياء والمرسلين بهذه الصفة لعجزهم عن الحوار معهم وعدم الاستجابة لهم، والانتصار عليهم ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ٢٩﴾ [الشعراء:29]. ولكن بعد هذا الحوار قال فرعون لهامان، ابني لي صرحا أي برجاً عالياً بعد أن قال للملأ أنه لا يوجد إله غيره: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٣٨﴾ [القصص:38]. ولكن هنا في قرارة نفسه يعلم أن هناك إله أعلى منه وأفضل منه؛ لأنه قال ابني صرحا للأعلى ولم يبحث عن إله موسى عليه السلام على الأرض ففطرته دلته على أن الله في السماوات العلى وهو فوق الجميع، كذلك فعلها النمرود من قبل.

"أما من ناحية العقل فإن العلو صفة كمال وعكسه صفة النقص، والعقل يقضي بأن الله موصوف بصفات الكمال والجلال على وفق ما جاء في الكتاب والسنة، فإنه تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11]. ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣﴾ [الإخلاص:3]. وقد عرف ذلك بعقله وفطرته فرعون، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ﴾ [غافر:36-37]. وكشف الله سبحانه وتعالى سريرة فرعون لموسى وبين أن ذلك إنما كان من باب القول وأنه مصدق في قرارة نفسه. فقال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ ﴾ [النمل:14]" (3).

وبعد التهديد قال له موسى سآتيك بشيء يدل على نبوتي، وأني مرسل من عند الله عز وجل، وأدلة دامغة وأشياء لا تستطيع فعلها وهي برهان ودليل ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ٣٠ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير(ج5348/10).
(2) الأبياري، الموسوعة القرآنية (ج430/10).
(3) آل الشيخ، فتاوى ورسائل آل الشيخ (ج136/16).

بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥﴾ [الشعراء:30-35]، وبعد هذه البراهين القاطعة إتهم موسى عليه السلام بالسحر والكهانة وحدد معه يوم الزينة ليأتي بأدلته وفرعون يأتي بسحرته.

دلالات الحوار:

- أن موسى عليه السلام كان في البداية لا يمتلك أدوات الدعوة الكاملة حتى ثبته الله عز وجل بسبب لثغته وحادثة القتل وجبروت فرعون والخوف.
- بعد تمكين الله عز وجل لقلبه وسنده بهارون عليه السلام ونصرة الله ورعايته وحمايته له ملك أسباب القوة والتمكين.
- صاحب الحق منتصر لا محالة مهما طال ظلم الباطل.
- موسى عليه السلام كانت حججه قوية ومقنعة مما أضعف فرعون وجعله في حيرة.
- فرعون لم يكن لديه أسباب قوة سوى البطش والجبروت.
- لم يجد ما يجيب به موسى عليه السلام في إجاباته التي كانت تنم على التهديد والازدراء والتمرد.
- الباطل إن لم يستطيع أن ينتصر على الحق فيهرب إلى الظلم والافتراء.
- استصغار الناس من قبل فرعون كان يعتبره قوة ومنعة له.

وهذا الحوار امتداد للصراع بين الحق والباطل والخير والشر؛ الحق الذي يمثله موسى عليه السلام، بما يحمله من هداية وبيان ودعوة إلى الخير والشر الذي يمثله فرعون بتمرده وعتوه وطغيانه، وتجنيده نفسه وحاشيته لخدمة إبليس وطاعته بالصد عن سبيل الله عز وجل، وإيذاء عباد الله عز وجل، وتكذيب رسله، وبلوغ الغاية في العتو والتكبر بادعاء الألوهية. وهذا الصراع بين الحق والباطل لا يزال مستمراً.

وبرغم هذه الشدة من فرعون إلا أن موسى عليه السلام كان يتحدث معه برفق ولين حتى يرقق قلبه ويحبب إليه الإيمان. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل:125].

"إن أول قدوم موسى وهارون على فرعون فقد لا يحتمل مفاجأتهما بذلك واكتفى بأمرهما بالقول اللين وهما يعلمان القول اللين، ألا ترى إبراهيم – عليه السلام – كيف قال

لأبيه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ ﴾ [مريم: 47] لحق الأبوة، وكان لفرعون حق التربية فلا يستبعد من موسى – عليه السلام – أن يلاطفه".[1] حتى يدخل الرحمة والحنان لقلبه والاستجابة لدعوته.

يقول ابن القيم: ذكر الله عز وجلّ في هذه الآية مراتب الدعوة إلى الله عز وجلّ:

الأول: "أن يكون طالبا للحق راغبا فيه محبا له مؤثرا له على غيره إذا عرفه فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.

الثاني: وإما أن يكون معرضا مشتغلا بضد الحق ولكن لو عرفه عرفه وآثره واتبعه فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

والثالثة: وإما أن يكون معاندا معارضا فهذا يجادل بالتي هي أحسن فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد إن أمكن فلمناظرة المبطل فائدتان:

أحدهما: أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق:

الثانية: أن يكف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن ومناظرته للطوائف فإنه كفيل بذلك على أتم الوجوه لمن تأمله وتدبره ورزق فهما فيه وحججه مع أنها في أعلى مراتب الحجج وهي طريقة أخرى غير طريقة المتكلمين وأرباب الجدل والمعقولات فهي أقرب شيء تناولا وأوضح دلالة وأقوى برهانا وأبعد من كل شبهة وتشكيك". [2]

والمرتبة الثالثة هي التي حصلت من بين المراتب الثلاثة السابقة بين موسى وفرعون من خلال المعاندة والمكابرة والعلو والاستكبار وكان نتيجتها الهلاك والموت لفرعون.

---

(1) السبكي، فتاوى السبكي (ج69/1).

(2) ابن القيم، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (ج1276/4).

المطلب الثالث

السحرة وإفساد عقول الناس

السحر يزيف الأمور ويقلب الحقائق ولكنه لا يغيرها، هو أعجز من أن يغير حقائق الأشياء، إنما يخيل للناس أنها تغيرت، يخيل إليهم الشيء الذي لا حقيقة له ويخيل إليهم تغيير حقيقة الشيء وهو لم يتغير، فسحرة فرعون حبالهم وعصيهم لم تتقلب إلى أفاعي وثعابين تسعى لم تتغير حقائقها بقيت حبالاً وعصياً ولكن خيل للناس الحاضرين يومئذ ومنهم موسى عليه السلام أنها كذلك، أثر السحرة في أعينهم وفي مخيلاتهم. قال ﷻ: **﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾** [طه:66]. يخيل إلى موسى عليه السلام فكيف بغيره، يخيل إليه أنها تسعى وليس كذلك هذا هو معنى قول "يخيل إليه" أي أن حقائق تلك الأشياء لم تتغير بفعل سحر السحرة فإن الساحر لا يفلح حيث أتى.

وقد ذم النبي ﷺ السحر ومن يُلونون في الكلام، ويتفننون به ليغيروا حقائقه ومعالمه وقد يحولون الصدق كذباً والكذب صدقاً فقال ﷺ: **(إن من البيان لسحراً، أو: إن بعض البيان لسحر)**[1].

ونجد هنا فرعون عندما عجز عن مجاراة ومجابهة موسى عليه السلام في حواره معه وهو الإله الأعظم حسب إدعائه، نزل يستغيث بعبيده ويا لها من مهزلة! وهو احتياج المعبود للمخلوق، ولكن يريد الله ﷻ أن يخزيه ويبين للعالم أنه مجرد مخلوق لا يساوي في عداد الله ﷻ شيء فالإله الحق لا يحتاج، وأراد أن يتحدى موسى عليه السلام بسحرته الذين يخدعون الناس ويفسدون عقولهم ويرهبونهم بسحرهم، وذلك بعد أن أظهر موسى عليه السلام معجزاته التي أيده الله ﷻ بها ليضعف قوة فرعون وتكون آية له ليحاجج فرعون وزبانيته بهذه الآيات **﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۝ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝﴾** [الأعراف:109-112].

"وروى أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم: ما صنعتم؟ قالوا قد علمنا سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض، إلا أن يكون أمراً من السماء فإنه لا طاقة لنا به؛ وروى أنهم كانوا ثمانين ألفاً. وقيل: سبعين ألفاً وقيل: بضعة وثلاثين ألفاً. واختلفت الروايات فمن مقل

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الطب/ إن من البيان لسحرا، ص814: رقم الحديث 5767].

ومن مكثر. وقيل: كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى؛ وقيل: قال فرعون: لا نغالب موسى إلا بما هو منه، يعنى السحر". (1)

ونجد أن السحرة كانوا يفسدون الناس بسحرهم وتضليلهم، حتى يكون الناس ألعوبة وأضحوكة في أيديهم يتصرفون بهم كيف يشاءون في الباطل والضلال، وحتى لا يخرجون عن المخطط المرسوم لهم في حياتهم، ولا يسمحوا لهم ولو بمجرد التفكير في عبادة الله ﷻ أو التفكر في ملكوت الله ﷻ.

وقد اختلف في عدد السحرة وتراوح العدد من خمسة عشر ألفاً حتى سبعون ألفاً كانوا في الصباح سحرة وفي أخر اليوم شهداء، وكان جلهم ممن يعلمون ويعملون بسحر الحياة وهي المعجزة التي جاء بها موسى عليه السلام.

عن ابن عباس قال:" ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾ [الأعراف:111]، فحشر له كل ساحر متعالم، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات. قالوا: والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصي أعلم منا، فما أجرنا إن غلبنا؟ فقال لهم: أنتم قرابتي وحامتي، وأنا صانع إليكم كل شيء أحببتم" (2).

وتم إختيار يوم الزينة، موعد لهم وهو يوم عيدهم، وأن يجمع كل الناس في هذا اليوم من الصباح الباكر ليناصروا فرعون وسحرته على موسى وهارون عليهما السلام، قال ﷻ على لسان فرعون: **﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ٥٨ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾** [طه:57-60].

قال البيضاوي: "قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم، أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول، أو وعدكم وعد يوم الزينة، وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء، أو يوم النيروز، أو يوم عيد كان لهم في كل عام، وإنما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار. وأن يحشر الناس" (3).

وأراد أن يحشرهم ضحى أي في وضح النهار حتى لا يكون هناك لبس أو غموض في الحوار والمناظرة بين موسى عليه السلام لأنه لو كان في الليل لكان هناك لبس وغموض في

(1) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج139/2).

(2) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج27/13).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج31/4).

الأمر، ولا يعرف من هو الذي على صواب، ولربما كان النهار يساعد السحرة لأنهم يحتاجون أشعة وحرارة الشمس في استعمال سحرهم الذي يقومون به أمام الناظرين باستخدام الزئبق الذي يتحرك ويتبخر مع الحرارة ويخدع الناس في أن العصى تتحرك وتتحول لثعابين وحيات.

يوم الزينة كان اليوم المشهود، حيث اجتمع كل الناس ليشهدوا هذه المناظرة وهذا التحدي بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون، أهل الحق مثله بموسى وهارون عليهما السلام وأهل الباطل بسحرة فرعون ومن معهم والكل يرتقب المشهد النهائي، ولمن الخاتمة، ومن المنتصر في هذا اليوم العظيم.

عند المواجهة بدأ السؤال من السحرة لموسى عليه السلام من سيلقي أولاً أنت أم نحن، وهذا فيه أدب من الطرفين، حيث يحترم كل واحد منهم الآخر في عمل وذلك بسبب تشابه العمل والفكرة، ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ١١٥﴾ [الأعراف:115].

"قالُ السحرة يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ يعني عصاك وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ يعني عصيّنا وحبالنا في هذه الآية دقيقة لطيفة وهي أن السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب حيث قدموه على أنفسهم في الإلقاء لا جرم أن الله عز وجل عوضهم حيث تأدبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن منّ عليهم بالإيمان والهداية ولما راعوا الأدب أولا وأظهروا ما يدل على رغبتهم في ذلك قالَ يعني قال لهم موسى أَلْقُوا يعني أنتم فقدمهم على نفسه في الإلقاء"[1].

ونجد هنا أدب موسى عليه السلام في التنازل عن البدء في الالقاء، مع أنه هو صاحب الحق وهم أصحاب الضلال، فهو يرسم أخلاقه الفاضلة حتى في أسوأ الظروف، وقد يكون موسى عليه السلام يريد أن يجعلهم يبدؤون حتى تطمئن نفسه ويشاهد ما يحدث من طرفهم بداية وبعد ذلك يعلم كيف سيتصرف في السحرة.

وعندما ألقوا عصيهم وحبالهم تخيلها موسى عليه السلام أنها تسعى، ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾ [طه:66].

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: "يقيمون النواميس بأنواع من الحيل والسحر والطلسمات كما وضعوه في كتب ذلك ويقولون في بعض الطيالسم هذا يصلح لوضع

---

(1) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج235/2).

النواميس كما تواصت القرامطة[1] والباطنية[2]وكما كان يفعله سحرة فرعون وغيرهم وآثارهم موجودة بذلك إلى اليوم وكما يفعله المشركون من الترك والهند في بلادهم" [3].

فخاف من ذلك لشدتها وكثرتها ومن الوهلة الأولى التي شاهدها، ولأنها كثيرة ومخيفة ولم يمر عليه مثل هذا الموقف من قبل من أعمال السحر، وهو في فترة اختبار بين الحق والباطل، ولكنه تمالك نفسه، واشتدت قوته بتوفيق الله ﷻ له، ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ٦٨﴾ [طه:67-68]، ولكن الله ﷻ حافظه مسدد خطاه طمأنه وأنه سيكون هو الأعلى بأمره ﷻ، وهو المنتصر وسيدحر كيدهم الزائل الذي يخدعون به الناس قال ﷻ:﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ٨٢﴾ [يونس:81-82]، كان هذا الأنس من ربه ﷻ، جعله يطمئن أنه المنتصر بإذن الله ﷻ، وأنه هو صاحب الحق، وصاحب الرسالة الصحيحة، والدعوة إلى الله ﷻ، واشتد الأمر معه طمأنينة عندما قال له ربه ﷻ: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [طه:69].

يقول السعدي: "﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه:69]. أي: عصاك ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [طه:69] أي: كيدهم ومكرهم، ليس بمثمر لهم ولا ناجح، فإنه من كيد السحرة، الذين يموهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق، فألقى موسى عصاه، فتلقفت ما صنعوا كله وأكلته، والناس ينظرون لذلك الصنيع، فعلم السحرة علما يقينا أن هذا ليس بسحر، وأنه من الله، فبادروا للإيمان" [4].

---

(1) القرامطة: حركة باطنية هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية. موقع ويكيبيديا.

(2) الباطنية: هي الفرق التي تنتسب إلى التشيع، وحب آل البيت، وتتخذ من ذلك ستارا وغطاء لخداع المسلمين مع إبطانهم للكفر المحض والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف والفرق المتعددة المتشعبة، وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن، وتأويل نصوص الشريعة تأويلا باطنا يتوافق مع معتقدات زعموا أنهم اختصوا بها وبمعرفتها دون سواهم وبهذا يعلم أن الباطنية ليست فرقة واحدة، وإنما فرق متعددة. موقع ويكيبيديا.

(3) ابن تيمية، جامع الرسائل (ج233/2).

(4) تفسير السعدي: (ج1/ص508).

وكان هنا الأمر من الله ﷻ لموسى عليه السلام أن يلقي عصاه بعد أن ألقى السحرة عصيهم وحبالهم فإذا هي تلقف ما كادوا وما صنعوا من سحر وخداع للناس بظاهر الأمر وأنهم يستطيعون خلق الحيات وتحريكها فبهت الناس من المنظر وعدد الحيات وتوقعوا نصر السحرة على موسى عليه السلام ولكن الله ﷻ ناصر جنده فعصا موسى عليه السلام ابتلعت كل ماصنعوا ثم عادت ليد موسى عليه السلام كما هي ولم تتغير.

قال ابن عباس: "كان طول العصا عشرة أذرع على طول موسى، وكانت من آس الجنة يضرب بها الأرض فتخرج النبات"(1).

وبعد هذا الأمر علم السحرة أن موسى عليه السلام ليس بساحر؛ إنما هو نبي من عند الله ﷻ، فلم يتمالك السحرة أنفسهم وخروا ساجدين لله ﷻ مؤمنين به كافرين بفرعون ومن معه، مصدقين بأن موسى وهارون عليهما السلام أنبياء من عند الله ﷻ قال تعالى: **﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾** [الأعراف:120-122].

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: " يفعل في المنفصل ما يفعله القادر في المتصل فهذا من أفعال العباد المعروفة المقدروة وأما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه كمصير الخشب حيواناً حساساً متحركاً بالإرادة يبلغ عصياً وحبالاً ولا يتغير فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتاداً ولا نادراً ولا يحصل بقوى نفس أصلاً ولهذا لما رأى سحرة فرعون ذلك علموا أنه خارج عن طريقة السحر **﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾** [طه:90] وهذه الحادثة الخارقة للعادة فيها إثبات الصانع وإثبات نبوة أنبيائه فإن حدوث هذا الحادث على هذا الوجه في مثل ذلك المقام يوجب علماً ضرورياً أنه من القادر المختار لتصديق موسى ونصره على السحرة" (2).

كان تصديق وإيمان السحرة صفعة لفرعون وملأه، حيث كان سجودهم لعنة على فرعون وتحدياً له وانكاراً لربوبيته ونصرة لموسى ولأنهم علموا أن الذي قام به موسى عليه السلام ليس بسحر إنما هو معجزة من عند الله ﷻ قال تعالى: **﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ٧١ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ**

(1) السمرقندي، بحر العلوم (ج1/ص537).

(2) ابن تيمية، الصفدية (ج138/1).

ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ٧٣﴾ [طه:70-73].

بدأ تهديد ووعيد فرعون للسحرة بالتصليب والقتل وتقطيع الأيدي والأرجل، ولكن من ذاق حلاوة الإيمان لا يضره بعد ذلك شيء من القتل والتعذيب والصلب.

عن ابن عباس قال: "كانت السحرة سبعين رجلاً أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء، وفي لفظ: كانوا سحرة في أول النهار وشهداء آخر النهار حين قتلوا"[1].

قال سعيد بن جبير: "لما سجد السحرة رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهيأ لهم وتزخرف لقدومهم" [2].

كانت نهاية السحرة الشهادة في سبيل الله ﷻ، بعد أن قتلهم فرعون وصلبهم في جذوع النخيل في أكثر الروايات بسبب عدم رجوعهم عن إسلامهم.

(1) السيوطي، الدر المنثور (ج513/3).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج75/2)؛ ابن كثير، قصص الأنبياء (ج47/2).

المطلب الرابع

نهاية فرعون بغرقه والعبرة من موته

فرعون هو واحد من أشهر الطغاة وهو متلازم مع نبي الله موسى عليه السلام والذي يعتبر واحداً من أعظم رسل الله عز وجل، فقد أصبح فرعون وموسى من المتلازمات، فموسى عليه السلام مثل منهج الحق والخير والعدل وفرعون مثل منهج الشر والطغيان، فقد كانا من ألدّ الأعداء وقصتهما أصبحت معروفة لكثير من الناس وقد ذكرت في القرآن كثيرا لأهميتها ولعظم أحداثها، وما كانت فيها من نتائج وانتصار للحق على الباطل.

فبعد إيمان السحرة وقتلهم أراد فرعون أن يقضي على موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين من بني اسرائيل، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠﴾ [هود:40]، فلما شعر موسى عليه السلام بذلك هرب هو ومن معه من المؤمنين تجاه البحر **الأحمر** قال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ [الشعراء:52-56]، أمر الله موسى عليه السلام وقومه أن يذهب بإتجاه البحر حتى يفروا من فرعون وزبانيته ويحفظ موسى عليه السلام ومن معه من الموحدين الذين أمنوا وفروا بدينهم بسبب طغيان فرعون وتمسكه بكفره وطاغوته.

يقول الطبري في معنى الاية: "وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا، أن أسر بعبادي: يقول: أن سر ببني إسرائيل ليلاً من أرض مصر. (إنكم متبعون) إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر"[1].

ففر موسى عليه السلام ومن معه من فرعون هاربين من مصر إلى البحر للفرار والنجاة من جبروت الطاغية، ولكن الطاغية المجرم لا يريد أن يتركهم، ولا يبقي لهم باقية، ولأنهم مفسدون في الأرض من وجهة نظره، لأنهم لا يؤمنون به، وسيفتنون بعض من يتبع فرعون وطاعته وعبادته، وبدأ بجمع الحشود والجيوش لحرب موسى عليه السلام ومن معه والقضاء عليهم ﴿فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾. أي جمع جموعاً كثيرة لمحاربتهم والقضاء عليهم.

---

(1) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (ج350/19).

قال أبو زهرة[1]: "الشرذمة الجماعة المنقطعة التي لَا ناصر لها، وقد وصفهم بالقلة، فقال قليلون، وبذلك ذكر فيهم وصفين لاستضعافهم:

أولهما –أنهم منقطعون عن قومهم، ونصرائهم.

الثاني –قليلون، وذلك ليشجع قومه على اتباعهم وإهلاكهم، ويبين خوفه منهم، وأن حالهم مع انقطاعهم، وإنهم قليلون، وذكر غيظه منهم" [2].

قال ﷻ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢﴾ [يونس90-92].

رد الله ﷻ بني إسرائيل بعد ما أغرق فرعون وقومه إلى مصر فَأَتْبَعُوهُمْ يقول فاتبعهم فرعون وقومه مُشْرِقِينَ يعني ضحى فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ يعني جمع موسى عليه السلام وجمع فرعون فعاين بعضهم بعضا ﴿قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:61] من فرعون وجمعه، قالَ موسى عليه السلام: كَلَّا (لا يدركوننا) ﴿إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:62] الطريق وذلك أن جبريل عليه السلام حين أتاه فأمره بالمسير نحو البحر فلما صار موسى عليه السلام إلى البحر أوحى الله ﷻ إليه ﴿فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى﴾ أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فجاءه جبريل عليه السلام فقال اضرب بعصاك البحر فضربه بعصاه في أربع ساعات من النهار فَانْفَلَقَ البحر فانشق الماء اثني عشر طريقاً يابساً، كل طريق طوله فرسخان وعرضه فرسخان، وقام الماء عن يمين الماء وعن يساره كالجبل العظيم، قال ﷻ: ﴿فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:62] يعني كالجبلين المقابلين وكانوا اثني عشر سبطاً فساروا في اثني عشر طريقاً فقطعوا البحر وهو نهر النيل بين أيلة ومصر نصف النهار فى ساعتين فتلك ست ساعات من النهار يوم الاثنين وهو يوم العاشر من المحرم، فصام موسى عليه السلام يوم العاشر شكر الله ﷻ حين أنجاه الله ﷻ وأغرق عدوه فرعون فمن ثم تصومه اليهود [3].

---

(1) محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبى زهرة، (ولد 1315هـ/ 1394 هـ- 1898 / 1974م) عالم ومفكر وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرينكان إحدى منارات العلم في مصر، تمتلئ ساحاته بحلقات العلم التي يتصدّرها فحول العلماء، وكان يُطلق عليه الأزهر الثاني؛ لمكانته الرفيعة. وقد سيطرت عليه روح احترام الحرية والتفكير، وكره السيطرة والاستبداد. التعريف من تفسير زهرة التفاسير.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج5359/10).

(3) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (ج266/3). بتصرف.

وهنا كانت عظمة الله ﷻ في نصرة عبده ومن معه من المسلمين؛ الذين فروا بدينهم وكانوا ثابتين على الحق بأن سهل لهم الصعب، بشق البحر وجعل لهم اثني عشر طريقا في البحر، حتى إذا أدرك فرعون ومن معه سبطا نجا الباقون بإذن الله ﷻ حتى إذا أدركهم فرعون دخلوا البحر فأغرق الله ﷻ فرعون ومن معه ونجا موسى عليه السلام ومن معه.

والله ﷻ نوع في أخذ الطغاة: نوع في أخذهم ذلك: فأغرق فرعون وقوم نوح، وأخذ ثمود بالصيحة، وعادا بريح، وقوم لوط بقلب قراهم، كما أخذ جيش أبرهة بطير أبابيل(1).

فالأخذ من الله للطاغية ﷻ حسب جبروته وتحديه قال ﷻ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١﴾ [الزخرف:51].

ففرعون كان يفتخر بأنه يملك الأنهار والبحار فأغرقه الله ﷻ بها، وكان موسى عليه السلام يدعو ربه بأن يهلك فرعون ومن معه لظلمهم، وهناك رواية أنه ظل يدعو عليه أربعين سنة، وقال أهل العلم أن فرعون كان باراً بأمه ولذلك أخر الله ﷻ دعوة موسى عليه السلام عليه حتى ماتت أمه ثم أهلكه، وكان لموسى ما تمنى من هلاك المجرمين والظالمين، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٨٨﴾ [يونس:88].

إن في إنجاء الله ﷻ لأوليائه فلم يغرق منهم أحد، وإغراقه لأعدائه فلم يخلص منهم أحد، آيةً عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة، وصدق رسوله فيما جاء به عن ربه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة.

ولما رأى فرعون الحقيقة وأدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٩٠﴾ [يونس:90]، هيهات لك أن تؤمن الآن وقد انتهى أجلك، وعرفت مصيرك! ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٩١﴾ [يونس:91]، اليوم ننجيك ببدنك، وتخرج روحك للحساب والجزاء على ما قدمت لنفسك من ظلم وفسادوتكبر، ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس: 92]. وقد أمر الله البحر أن يقذف جسده خارج البحر، وقد قام بنو إسرائيل بالتنكيل بجثته انتقاما لأنفسهم مما لاقوه من هذ الظالم المفسد المتكبر المتجبر.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: لما أغرق الله ﷻ فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر

---

(1) المنياوي، الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان (ج447/2).

فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة [1] . حيث أن جبريل عليه السلام لا يريده أن يدخل الجنة بسبب أفعاله.

وانتهت أحداث ذلك اليوم العظيم، كما سماه رسولنا؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله: "ما هذا اليوم الذي تصومونه؟" فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً؛ فنحن نصومه. فقال رسول الله: "فنحن أحق وأولى بموسى منكم"، فصامه رسول الله وأمر بصيامه [2].

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي (ص698: رقم الحديث 3107]. قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الألباني: صحيح لغيره.

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الصيام/ صيام يوم عاشوراء، ص265: رقم الحديث 2004]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الصيام/ صوم يوم عاشوراء، ص501: رقم الحديث 1130].

المبحث الخامس

علو بني إسرائيل وفسادهم

المطلب الأول

علو بني إسرائيل

العلو على الناس، والفساد في الأرض، هو حصيلة قناعات عقلية، واعتقادات باطنية بالتميز والتفوق، تقود إلى الكبر، ثم إلى العلو والفساد؛ ولذا جاء الإسلام بحسم هذه المادة الفاسدة، واستأصلها من نفوس البشر، وذلك ببيان أن أصل البشر وجنسهم واحد، وأن التفاضل بينهم بالإيمان والعمل الصالح قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ [الحجرات:13].

"وما كان هذا النداء العظيم، وهذا البيان الكبير الذي جاء في الكتاب العزيز إلا حماية للبشر من الكبر والعلو أن يسري إلى قلوبهم، ويفتك بأخلاقهم، فينتج عنه الفساد والدمار، واستسهال قتل الناس، واسترخاص الدماء، وتسويغ كل أشكال الحروب والدمار، كما وقع كثيراً – ولا يزال يقع – بأيدي الصهاينة الإنجيليين، والصهاينة التوراتيين، فقتل واحداً من أفرادهم أو أسره يقيم الدنيا ولا يقعدها، وقتل مئات من غيرهم، وأسر آلاف من رجال ونساء، وملء السجون بهم، وتدمير بلدان، وتشريد أمم، وتيتيم أطفال، وترميل نساء، لا يحرك ساكناً، بل هو أمر مشروع، ودفاع عن النفس، ما دام هذا الدمار على غير جنسهم وعرقه"(1).

وأخبرنا ربنا ﷻ عن علو بني إسرائيل قال ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ٧﴾ [الإسراء:4-7].

"كما أقسم سبحانه وهو أنهم " يفسدون في الأرض مرتين " وذكر سبحانه أن فسادهم تكون عاقبته أنه يعم الأرض، أي أرض بيت المقدس، أو يسري في الأرض التي تقاربه، أما ما حول بيت المقدس فهو مبارك ببركة اللَّه تعالى، كما قال في أول السورة: ﴿الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، والفساد بأن لهم، ممن على شاكلتهم في الأرض، وقال سبحانه وتعالى مقسما:

(1) الحقيل، صور من العلو الصهيوني (خطبة جمعة).

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ فقرن علوهم بفسادهم، وذلك لما استمكن في قلوبهم من الحسد والحقد، وإن اقتران علوهم بالفساد يفيد أمرين:

الأمر الأول: أن علوهم يعقبه طغيان، والطغيان يعقبه الفساد.

الأمر الثاني: أن علوهم فيه اعتداء فاجر فاعتداؤهم بقتل الأنبياء وأكلهم الربا والسحت وأن يقتل بعضهم بعضاً، ويلاحظ أنه ذكر الفساد مرتين، ولم يذكر عدد العلو لأنه لَا عدد له إن وجدت أسبابه [1].

فنجد هنا أن علو بني إسرائيل ونجاتهم من فرعون جعلهم يعتقدون أنهم أفضل البشر وسادتهم مما جعلهم يتعاظمون ويتكبرون على البشرية، وهم نسوا أو تناسوا أن الله ﷻ ينصر عباده الصالحين على عدوهم إن أخلصوا وصدقوا النية مع الله ﷻ ولا يفضل جماعة من الموحدين على جماعة إلا بتفاوت العمل والإخلاص به لله ﷻ، والله ﷻ قضى عليهم لعلمه المسبق لما سيؤولهم إليه من علو زطغيان وفساد.

يقول سيد قطب رحمه الله: "هذا القضاء إخبار من الله تعالى لهم بما سيكون منهم، حسب ما وقع في علمه الإلهي من مآلهم لا أنه قضاء قهري عليهم، تنشأ عنه أفعالهم. فالله سبحانه لا يقضي بالإفساد على أحد «**قُلْ: إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ**» إنما يعلم الله ما سيكون علمه بما هو كائن. فما سيكون– بالقياس إلى علم الله– كائن، وإن كان بالقياس إلى علم البشر لم يكن بعد، ولم يكشف عنه الستار ولقد قضى الله لبني إسرائيل في الكتاب الذي آتاه لموسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين، وأنهم سيعلون في الأرض المقدسة ويسيطرون. وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإفساد سلط عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء:5]" [2].

وقد اختلف المفسرون والعلماء في إفسادهم فمنهم من قال أن الإفسادتين حصلتا في السابق بقتل سيدنا زكريا وحبس إرمياء وقد أرسل الله ﷻ إليهم من يسومهم سوء العذاب مثل بختنصر وجالوت وغيرهم. وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أوحينا إليهم، بمعنى أعلمناهم وأخبرناهم في التوراة بما سيقع منهم من الفساد مرتين في أرض الشام. قيل: الأولى تغيير التوراة وعدم العمل بها، وحبس إرمياء وجرحه، إذ بشرهم بمحمد ﷺ والأخرى قتل زكريا ويحيى ــ عليهما السلام ــ وقال الجبائي: إنه ــ تعالى ــ لم يبين ذلك، فلا يقطع فيه بخبر. وقوله

(1) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج4333/8).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2213/4).

تعالى: " لَتُفْسِدُنّ " جواب قسم محذوف. ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ أي لتتكبرن عن طاعة الله، أو لتغلبن الناس بالظلم والعدوان، وتفرطن في ذلك إفراطاً مجاوزاً للحد؛ والافسادتين: أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل أشعياء وقيل أرمياء. وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام. ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس[1].

يقول سيد قطب في هذا الموضوع: "فهذه هي الأولى: يعلون في الأرض المقدسة، ويصبح لهم فيها قوة وسلطان، فيفسدون فيها. فيبعث الله عليهم عبادا من عباده أولي بأس شديد، وأولي بطش وقوة، يستبيحون الديار، ويروحون فيها ويغدون باستهتار، ويطأون ما فيها ومن فيها بلا تهيب ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ لا يخلف ولا يكذب. لقد عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها. ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عبادا آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم (هتلر) ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة (إسرائيل) التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات. وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف وإن غداً لناظره قريب" [2].

ولكن يمكن القول والذي أرجحه أن يكون العلو الأول في زمن النبي ﷺ وما قبله بقليل حيث علا بنو إسرائيل وملكوا المال والجاه السلطان في جزيرة العرب، حتى جاءهم النبي ﷺ وقاتلهم وطردهم من جزيرة العرب لأنهم حاولوا قتل النبي ثلاث مرات الأولى عندما كان صغيراً في بني ساعدة والثانية عندما تآمر بنو النضير على قتله بحجة سماع حجج النبي ﷺ في دعوة اليهود للاسلام ولكن الله نجاه منهم والثالثة عندما وضعت امرأة يهودية السم للنبي ﷺ في ضلع الشاة وقد توفي ﷺ متأثرا بهذا السم.

والعلو الثاني هو الذي يعيشه بنو إسرائيل والصهاينة على مستوى العالم عامة، وعلى مستوى الأرض الفلسطينية، وبيت المقدس خاصة؛ حيث أنهم في ذروة علوهم كما يقولون، وهم يملكون العالم ويتحكمون في مصير كثير من الدول الكبرى والصغرى، من خلال امتلاكهم لقرارات في معظم دول العالم، لأنهم أصحاب المال والسلطان ويتحكمون في المال والذهب والبترول؛ فهذا الأمر جعلهم يكونون في علو على العالم، ويتحكمون به لأنه من يملك المال يملك القرار والسلطان والجاه، ويعتبرون دولتهم القائمة على أرض فلسطين هي أساسهم

(1) انظر: الصابوني، صفوة التفاسير (ج141/2)؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج47/5)؛ (البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج248/3).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2214/4).

وممتلكهم الأكبر الذين يحافظون عليه بكل ما أوتوا من قوة، لأنهم يعلمون أنهم إذا طردوا من الأرض المباركة سيصيبهم الخزي والذل والهوان.

المطلب الثاني

فساد بني إسرائيل

قال ﷻ:﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤﴾ [الاسراء:4]، أعلم الله ﷻ بني إسرائيل في التوراة على لسان موسى عليه السلام، وقضى عليهم في أم الكتاب أنهم سيفسدون في الأرض التي يحلّون فيها مرتين، هذه الآية وغيرها من الآيات تبين أن اليهود سيوقظون الأحقاد ويثيرون الفتن، ويوقدون نيران الحروب، ويسعون في الأرض فساداً، كما قال ﷻ:﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ [المائدة:64]. والله من ورائهم محيط، وإنما يطفئ ما يوقدون، ويحبط ما يدبرون، حيث يسعون في الأرض فساداً من خلال إثارتهم للفتن، وإشعالهم للحروب، فكلما مكن لهم في الأرض أفسدوا ولم يصلحوا، وإذا علا أفسدوا ولم يصلحوا وجزاء الأمم في ميزان العدل الإلهي يكون بحسب الطاعة أو المعصية، ولا يكون عقاب من الله ﷻ لأحد إلا بسبب جرمه وجحوده، أو تحديه وعناده، وهكذا كان الحال مع بني إسرائيل في التاريخ، فعندما أفسدوا في الأرض، شُردوا فيها مرتين بسبب فسادهم، ويتكرر العقاب أو الثواب عادةً بتكرر سببه[1].

فالله ﷻ بيّن في هذه الآيات أنه تعهد لبني إسرائيل بقيام دولتين لهم في هذه الأرض، وبيّن أنهم سيفسدون في تلك الدولتين إفساداً عظيماً، فالدولة الأولى هي التي أقامها داود وسليمان عليهما السلام، وقد تداولَ الحكم فيها ملوك بني إسرائيل من ذرية سليمان عليه السلام، فأفسدوا في الأرض وأكثروا فيها الفساد وانحرفوا عن منهج الأنبياء، وقد بيّن الله ﷻ أن أولاهما أي أولى الدولتين عندما تُظهر الفساد في الأرض سيسلط الله ﷻ عليهم عباداً لله ﷻ، فيسومونهم سوء العذاب، والعباد هنا قد لا يكونوا مؤمنين بالله ﷻ، لأن كل إنسان خلقه الله ﷻ فهو عبد له سواء آمن به أم لم يؤمن فصفة العبودية تطلق على الجميع، وقد يكون هؤلاء العباد أدوات يقضون أمرا لله ﷻ كان مفعولا بعلمه وقدرته.

فلذلك قال ﷻ: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾أي في التوراة أو في الكتب المنزلة، ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤﴾، وهذا العلو موافق للإفساد فهو سببه، وإن تأخر عنه بالعطف لأن التنبيه على الأمر الأعظم، وهو الإفساد فنبهوا على خطر ذلك وضرره، ﴿لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ وَلَتَعۡلُنَّ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ٤ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ أي أولى المرتين: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ﴾، وهؤلاء العباد قيل: هم بختنصر، وقيل: البيزنطيون

(1) عبيد، فساد اليهود وأثره في تتبيرهم (ص95).

هرقل وأتباعه، وقيل غير ذلك، وعموماً قد سلّط على بني إسرائيل أولئك الملوك جميعاً فآذوهم وأفسدوا دولتهم وسلوا أكتافهم وأكثروا فيهم القتل الذريع، فكان ذلك سبب سقوط دولة بني إسرائيل في الشام ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ أي هؤلاء العباد الذين هم أولو بأس شديد جاسوا خلال الديار أي الديار المقدسة وهي بلاد الشام، ومعنى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ أي توغلوا خلالها بجيوشهم وغزوهم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ أي كان ذلك وعداً لا بد أن يتحقق وقد تحقق بالفعل [1].

"وقد اختلف المؤلفون والباحثون المعاصرون في وقت وقوع الإفسادين، وتحقق الوعدين، ولكن معظمهم على أن الإفساد الأول كان في المدينة، وما حولها على عهد رسول الله ﷺ، وأننا الآن نعيش الإفساد الثاني، وهذا ما نرجِّحه، ونقدم خلاصة معنى الآيات التي قدمت الوعدين على هذا الأساس. فإفسادهم الأول في المدينة أتى اليهود إلى يثرب هاربين من الإضطهاد الروماني واليوناني الذي صُب عليهم في بلاد الشام، وأُعجب العرب بما عند اليهود من مال وعلم وثقافة، وتفنن اليهود في التحكم بالعرب والإفساد بينهم وامتصاص خيراتهم وإخضاعهم، وكانوا يبشرونهم بقرب ظهور نبي، ويهددونهم بأنهم سيتبعونه ويقتلون العرب معه، ولكنهم لما بُعث محمد ﷺ كانوا أكثر الناس عداوة له، وتآمروا على قتله وحاربوه مع القبائل العربية الجاهلية" [2].

ونجد أن آيات فساد بني إسرائيل نزلت بصيغة المضارع والحاضر، ولم تكن في صيغة الماضي، وهذا يدلل على أن الإفسادة الأولى قد حدثت في بداية عهد النبي ﷺ، حين ذهبوا لقتله وهو طفل حيث أنه لم يخرج من بينهم، وحاولوا قتله بعدما أصبح نبياً ويدعو على الخير وقد كان لهم قوة وعزة ومنعة في ذلك الوقت، وقد خانوا وحاربوا النبي ﷺ وأصحابه، وعاثوا في الأرض فسادا.

"فإذا جاء وعد أولاهما..... (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، أي أن المجيء يأتي بعد نزول آيات الإسراء المكية، وبالتالي فإن عباد الله الربانيين سيكونون أيضاً بعدها. " بعثنا عليكم ...." إن التعبير بالبعث مقصود ومراد، فالله بعث الصحابة بعثاً من العدم فلم يكن للعرب في الجاهلية أية منزلة. كما أن كلمة " بعثنا توحي أن مجيء هؤلاء الربانيين لم يكن متوقعاً فقد بعث الله الصحابة بعثاً فأزالوا إفساد اليهود وورثوا قوة اليهود، الصغيرة في المدينة، وقوة فارس والروم الكبيرة في العالم. " عباداً لنا....." هذه الجملة لا تنطبق إلا على

(1) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج4335/8)؛ الشوكاني، فتح القدير (ج249/3).

(2) الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (ص163).

الصحابة لأن الله سماهم " عباداً " وأضافهم إليه " لنا " إن كلمة " عباد " لا تنطبق على الكافرين السابقين الذين نسب لهم المؤرخون إزالة الإفسادين مثل بختنصر وغيره. هناك فرق بين كلمتي عباد وعبيد لأنه لا ترادف في كلمات القرآن، فكلمة " عبيد " ذُكرت في القرآن الكريم خمس مرات في الكلام عن الكفار ومعظمها بصيغة: " وما ربك بظلام للعبيد " أي أن الله يحاسب الكفار بعدله. أما كلمة " عباد " فهي مذكورة خمساً وتسعين مرة منها أكثر من تسعين مرة عن المؤمنين. إن الألف في هذه الكلمة توحي بالعزة والكرامة وهي صفات المسلم. " أولي بأس شديد..." كانت قوة الصحابة وبأسهم في مواجهة اليهود في جانبين: الجانب المادي الذي تمثل في شدة قتالهم لليهود ويشهد عليه حصارهم لبني قينقاع وبني النضير وقتل بني قريظة ومحاربتهم في خيبر وإخراجهم منها. والجانب المعنوي الذي تمثل في تحديهم لليهود وإذلالهم لهم، ويشهد عليه مواقف أبي بكر وعمر وعلي وعبادة بن الصامت وعبدالله بن رواحة وغيرهم. لقد حكم " سعد بن معاذ " على بني قريظة حكماً ربانياً بقتل رجالهم وسبي نسائهم وأطفالهم ومصادرة أموالهم واستملاك بيوتهم وأراضيهم وأثنى رسول الله ﷺ عليه. " فجاسوا خلال الديار..." الجوس هو تخلل الشيء والتغلغل فيه، وقد دخل الصحابة ديار اليهود، واحتلوها وجاسوا خلالها في ديار بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وفي خيبر وفي وادي القرى وفدك وتيماء. لقد أزالوا كيانهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أجلى الفاروق بقاياهم عن جزيرة العرب. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الجوس بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧﴾ [الأحزاب:26-27][1].

نحن نعيش الإفساد الثاني لليهود إذا علمنا أن إفساد اليهود الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكَرّة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان:" ثم رددنا لكم الكرة عليهم". ولم تكن لليهود كرة على الأقوام السابقين الذين حاربوهم. " وأمددناكم بأموال وبنين..." أي أن قوة اليهود ليست ذاتية بل خارجية، أمدهم الله بها ليقضي عليهم، ويتم بوسيلتين هما الأموال والبنين، وهذا ما نراه واضحاً في أيامنا هذه، فالغرب يمدهم بالمال ويسهل هجرة اليهود إلى فلسطين. " جئنا بكم لفيفاً..." لقد مضى على اليهود أكثر من قرن

---

(1) انظر: الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (ص165-175)؛ انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج13/ص8352-6565).

وهم يأتون ملتفين في هجرات متتابعة إلى فلسطين، ولن يتوقف ذلك حتى يتم تجميع كل اليهود في هذه المنطقة تمهيداً للقضاء عليهم. " وجعلناكم أكثر نفيراً..." أي أن الله عز وجل سيجعل اليهود الأكثر أعواناً ومؤيدين، وهذا يبدو واضحاً من مواقف العالم معهم. " إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم..." هذا رد على زعم تفرد اليهود على البشرية، وتفضيلهم على باقي الناس، فهي أوهام اخترعوها ولا أساس لها. هذا هو الإفساد الأخير لليهود[1].

تحدث القرآن عن الإفساد الثاني لليهود بقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ٧﴾ [الاسراء:7] وبقوله ﷻ:﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ١٠٤﴾ [الاسراء:104]، فكلمة " الآخرة " لا يراد بها يوم القيامة، فليست هي المقابلة للدنيا، وإنما الآخرة هنا هي المقابلة للأولى، الأولى في قوله "﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا﴾ " أي المرة الأولى، والآخرة " ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي المرة الثانية في الإفساد، وتدل على أنه سيكون الإفساد الأخير. لماذا قال: ﴿لِيَسُـٔۥُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾ إن المعركة بين المسلمين واليهود لا ينتج عنها إبادة اليهود وإفناؤهم والقضاء عليهم، وإنما ينتج عنها إزالة فسادهم وتدمير كيانهم، وتحويلهم إلى مجموعات يهودية ذليلة مهزومة مسحوقة، فإساءة وجوه اليهود لا تعني إفناؤهم [2].

خلاصة القول: أن المفسرون والعلماء اختلفوا في الإفسادتين لبني إسرائيل، فمنهم من قال أن الإفسادتين قد حصلتا قبل الإسلام، ومنهم من قال أن الأولى حصلت في زمن سيدنا سليمان وبقتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام، وقتلهم وتشريدهم على يد بختنصر، والثانية لم تحصل بعد ولم يحددها، ومنهم من قال أنها فساد اليهود الآن، ومن المفسرين والعلماء المعاصرين، كالشيخ الشعراوي والدكتور صلاح الخالدي والدكتور محمد الحسن الددو الشقنطيطي وغيرهم يقولون أن الإفسادة الأولى في عهد النبي ﷺ والصحابة الكرام حتى فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب ﷺ والإفسادة الثانية هي إفساد بني إسرائيل حاليا وهي دولة اليهود في فلسطين، وانتشارهم في العالم ومساندة العالم لهم بالمال والسلاح والأشخاص.

والذي يميل إليه الباحث ويؤيده هو الرأي الأخير للعلماء الأجلاء، لما فيه من دلائل سابقة على فساد اليهود في زمن النبي ﷺ وما قبله وحجم فسادهم اليوم وحكمهم لمعظم بقاع الأرض بالمال والسلاح وشراء الذمم لمساندتها مقابل المال وغيره من المقدرات.

---

(1) انظر: الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (ص165-175). انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي (ج13/ص8352-6565).

(2) الددو الشقنطيطي: تفسير {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن...} (فتوى).

مع أن هذ الرأي لا يقلل من أهمية وقول العلماء الكرماء الأوائل والمتأخرين، أصحاب القول الأول والثاني من أنهم يصيبون في بعض أقوالهم والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث

نهاية بني إسرائيل

إن نهاية اليهود أو بني إسرائيل هي نهاية حتمية على أيدي عباد الله المؤمنين الخالصين الذين يجاهدون في الله ﷻ حق الجهاد رافعين راية الحق والنصر المبين، فقد وعد القرآن وعداً قاطعاً بإزالة الإفساد اليهودي الثاني، وذكر كيفية تلك الإزالة، وجاء ذلك في قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـٔۥُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء:7].

معنى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾: إذا حان وقت المرة الثانية، وهي المرة الآخرة والأخيرة. والخطاب في قوله: (وُجُوهَكُمْ) لليهود المتكبرين، المفسدين إفسادهم الثاني. والإخبار في قوله: (لِيَسُـٔۥُوا۟) عن المؤمنين المجاهدين، الذين هم أحفاد الصحابة المجاهدين، والذين سيبعثهم الله ﷻ، ليزيلوا إفساد اليهود الثاني. فهؤلاء العباد المجاهدون سيهزمون اليهود، ويذلونهم، ويسوّدون وجوههم، ويوقعون بهم الحسرة والهوان.

وأخبر الله ﷻ عن جهاد هؤلاء ودخولهم المسجد الأقصى بقوله: (وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ) والمراد بدخول المسجد أول مرة: دخول الصحابة الأقصى فاتحين، عندما فتحوا بلاد الشام في زمن سيدنا عمر رضي الله عنه، وهذا يدل على أن المعركة ضد اليهود عند إفسادهم الثاني هي معركة المسجد الأقصى، وسيدخله المجاهدون فاتحين، وسيحررون الأرض المقدسة، ويُدمرون الكيان اليهودي عليها: (وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا).

نحن نعيش الإفساد الثاني لليهود إذا علمنا أن إفساد اليهود الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكَرّة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان:" ثم رددنا لكم الكرة عليهم". ولم تكن لليهود كرة على الأقوام السابقين الذين حاربوهم. " وأمددناكم بأموال وبنين....." أي أن قوة اليهود ليست ذاتية بل خارجية، أمدهم الله بها ليقضي عليهم، ويتم بوسيلتين هما الأموال والبنين، وهذا ما نراه واضحاً في أيامنا هذه، فالغرب يمدهم بالمال ويسهل هجرة اليهود إلى فلسطين(1).

وبقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الاسراء:104]، هو جلب وإحضار يهود العالم إلى فلسطين، ولقد مضى على اليهود أكثر من قرن وهم يأتون ملتفين في

---

(1) الخالدي، حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية (ص172).

هجرات متتابعة إلى فلسطين، ولن يتوقف ذلك حتى يتم تجميع كل اليهود في هذه المنطقة تمهيداً للقضاء عليهم. ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾، أي أن الله ﷻ سيجعل اليهود الأكثر أعواناً ومؤيدين، وهذا يبدو واضحاً من مواقف العالم معهم. ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، هذا رد على زعم تفرد اليهود على البشرية، وتفضيلهم على باقي الناس، فهي أوهام اخترعوها ولا أساس لها، هذا هو الإفساد الأخير لليهود.

إن الآيات في سورة الإسراء توجه إلى كيان اليهود في أرض فلسطين لتدميره، وإلى إفسادهم الثاني لإزالته، والتي تنتهي بانتصار المجاهدين المسلمين على اليهود، ويتحقق فيها تحقيق كيانهما، وإزالة إفسادهم، واسترداد فلسطين كلها منهم، وتحويل اليهود بعدها أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتتة في معظم البقاع، قال ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـࣱٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [الإسراء:7].

إن إساءة الوجوه لليهود تعني هزيمتهم في المعركة، وإزالة فسادهم، والقضاء على عدوهم وغطرستهم، إن سوء وجوههم يبدو في مرارتهم في الهزيمة، التي ينتج عنها زلهم وهوانهم وضعفهم(1).

ولا يعني القضاء على الإفسادة الثانية هوالقضاء على اليهود نهائيا؛ إنما هو القضاء على إفسادتهم الثانية، والتي تحدث الآن على أرض فلسطين وغيرها من البلاد بتسلطهم على أهل فلسطين وغيرهم من بلدان العالم، واستيلائهم على مقدرات وأموال بعض دول العالم ونشر الفساد والضلال والإنحراف الديني والأخلاقي؛ من قتل وتشريد وإفساد ودمار للبيوت، وقتل للأشخاص، والاعتداء على الحقوق العامة للبلاد والعباد، ومع ذلك تجد أكثر دول العالم يقف معها ويساندها في غيها وإفسادها للبشرية على مدى سنوات دون رادع من أحد، بل نجد أن معظم العالم يقف معها أنها الدولة الصغيرة الضعيفة التي تتعرض للمقاومة والحروب ويجب عليها أن تدافع عن نفسها بكل ما أوتيت من قوة ونجد من يمدها بالمال والرجال لحرب المسلمين في بقاع العالم. قال ﷻ:﴿وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦﴾ [الإسراء:6].

فالإمداد يكون من الخارج، وليس من الداخل؛ حيث تأتي الأموال والعتاد والسلاح وحتى العدد (الأشخاص) من خارج أرض فلسطين، ليزداد عددهم وعدتهم ليحاربوا المسلمين،

(1) العفاني، تذكر النفس بحديث القدس، واقدساه (ج3/ 385)؛ انظر الشعراوي تفسير الشعراوي: (ج8787/14).

ويزدادوا فسادا وإفسادا في الأرض، لأنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وكل الناس عبيد لهم، وخدم لهم وهم الأسياد للعالم كله.

وقد قال ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود)** [1].

فقتال اليهود يكون قبل قيام الساعة، ولم يتم تحديده، حيث أنه سيكون إنهاء لفساد وإفساد اليهود (الإفسادة الثانية) الموجودة الآن حسب كلام كثير من العلماء المعاصرين، ويتم تفرق اليهود في الأرض، متفرقين لا جماعات، ثم تقوم الخلافة الراشدة على منهاج النبوة إلى ما شاء الله ﷻ.

وفي آخر الزمان بعد ظهور الدجال من أصفهان، يخرج لقتال المسلمين ومعه سبعون الفاً من يهود أصفهان، ويتجمع معهم يهود العالم فيقاتلهم المهدي والمسيح عليهما السلام في بيت المقدس وأكنافه ويقضون عليهم نهائيا.

ويمكن القول أن نهاية دولة اليهود وإساءة وجوههم باتت قريبة حسب كلام بعض العلماء المعاصرين، د. أحمد نوفل وأ. بسام جرار والشيخ. أحمد ياسين، وهي تتراوح بين عامي [2023–2027] وذلك ببعض حسابات في القرآن واستشهاد بما جاء في التوراة والانجيل من معركة هرمجدون ومعركة وعد الآخرة في القرآن الكريم لانهاء إفسادهم على الأرض.

وقد تحدثت في عام1997 عندما عملت داخل الأرض المحتلة مع أحد المتدينين اليهود عن نهايتهم، وبعد حوار واستشهدت له بآيات من القرآن، أقر بأن نهايتهم هي في الفترة السابقة التي تحدث عنها علماؤنا ومشايخنا.

ونحن نوقن أن الوعد القرآني الوارد في هذه الآيات، والجازم بإزالة الإفساد اليهودي الثاني آت لا محالة، ونعتقد أنه لا بد أن يتحقق بإذن الله ﷻ. فعمر اليهود على الأرض المقدسة قصير، وستعود فلسطين أرضاً إسلامية بإذن الله ﷻ.

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري: الجهاد والسير/ قتال اليهود، ص395: رقم الحديث 2926]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الفتن وأشراط الساعة/ لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الرجل من البلاء، ص1330: رقم الحديث 2922].

الفصل الثالث

اقتران العلو بالفساد

المبحث الأول

الفساد في الدين

المطلب الأول

فساد الاعتقاد في الإلهيات

العقيدة هي أهم أساسيات الدين، حيث أنها تختص بالله ﷻ وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته؛ كما أنها تختص بالغيبيات من الموت، والبعث، والحشر، والصراط، والحساب، والجنة والنار، وتتحدث عن الأنبياء في دعوتهم الخالصة لله ﷻ، وكان معظم قولهم يا قوم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:59]. دعوة خالصة نقية؛ فلذلك من صلحت عقيدته فقد صلح دينه وفاز في الدنيا والآخرة، ومن فسدت عقيدته خسر الدنيا والآخرة.

ويكون الفساد في العقيدة على عدة صور:

أولا: فساد الاعتقاد في الربوبية:

يقصد بتوحيد الربوبية إفراد الله ﷻ بأفعاله، وبعبارة أخرى أن يعتقد المسلم تفرد الله عز وجل بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والملك، والتدبير، وسائر ما يختص به من أفعال، وقد كان هذا النوع من التوحيد واضحاً بيِّنا حتى لدى المشركين والكفار، لوضوح دلائله، وجلاء آياته.

الرَّبُّ يُطْلَق في اللغة على المالكِ والسَّيِّدِ والمُدبِّر والمُرَبِّي والقَيِّمِ والمنعم، ورَبُّ كلِّ شيءٍ مالكُه، وكُلُّ مَنْ مَلَك شيئاً فهو رَبُّه، ولا يُطلَق دون إُضافةٍ إلاّ على اللّه ﷻ، وهو رب الأرباب وإذا أُطْلِق على غيره أُضيفَ، والرُّبوبيَّة ما نسب إلى الرَّبِّ(1).

وأهل الجاهلية من العرب قبل بعثة النبي ﷺ كانوا يقرون الربوبية لله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف:87]، ولكن يجعلون مع الله ﷻ ندا يعبدونه معه تقرباً إلى الله ﷻ، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:3]، ولكن العند والكبر والجهل هو الذي جعلهم يجعلون لله أندادا ويشركون به معه غيره.

وهناك من ادعى الربوبية وجعل نفسه ملكاً ورباً يعبد من دون الله ﷻ في الأرض، واستخف قومه فأطاعوه؛ كفرعون الذي قال لقومه ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الزخرف:51]، وجعل نفسه متصرفاً

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج399/1).

في أمور الناس من الرزق والخير وجعل نفسه أعلى من الجميع فقال لقومه ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات:24]، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:38]. وبنسبته الربوبية لنفسه استضعف قومه ليطيعوه وليعبدوه لأنه كما قال لهم أنه ما علم من إله غيره في الأرض قال ﷻ:﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤﴾ [القصص:4]، فظن بعمله هذا أنه سيكون رباً يعبد ولكن الله ﷻ أرسل موسى عليه السلام ليتبر ما علا تتبيرا وكانت نهايته الموت غرقا وبقاء جثته لتكون عبرة لمن يعتبر.

والنمرود بن كنعان ادعى لنفسه الربوبية عندما حاوره ابراهيم عليه السلام فقال له النمرود من ربك فقال النمرود أنا احي وأميت، قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾ [البقرة:258].

"حينما كسر إبراهيم عليه السلام الأصنام التي تعبد من دون الله، وسفه عقول عابديها، سأله نمروذ عن ربه الذي يدعو إلى عبادته، فأجابه: ربي الذي يحيي ويميت فهو مصدر الحياة وسبب الممات، أي ينشئ الحياة والموت، فأنكر الملك الطاغية الذي كان أول من تجبر وقال: أنا أحيي بعض البشر بالعفو عمن حكم عليه بالإعدام، وأميت البعض الآخر بالقتل وتنفيذ الحكم المقرر عليه، وأحضر رجلين عفا عن أحدهما، وقتل الآخر، وأخذ أربعة نفر فأدخلهم بيتا وتركهم بدون طعام وشراب، ثم أطعم اثنين فحييا، وترك اثنين فماتا"[1].

ولكن إبراهيم عليه السلام قصم ظهره عندما قال له: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلم يستطيع ان يقول شيء وبهت من هذا السؤال، وكانت نهايته أن أماته ببعوضة دخلت في راسه فظل يضرب بالنعال حتى مات من شدة الضرب.

ثانيا: فساد الاعتقاد في الألوهية:

توحيد الألوهية هو من أركان التوحيد، وهو أهم ركن لأن توحيد الألوهية هو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو المعبود الحق ولا معبود سواه. وهو تفرّد الله ﷻ في استحقاق العبادة، بحيث تُصرف له دون ما سواه. وأن يشهد العبد أن الله هو المستحق للعبادة.

---

(1) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ج28/3).

قال الدكتور الصلابي:[1] "هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادات وإخلاصها له وحده. فالألوهية والعبودية بمعنى واحد، إذاً معنى الإله: المعبود، وهذا التوحيد أعظم أنواع التوحيد وأهمها، والمتضمن لها جميعاً، ولا يصير العبد مؤمناً إلا بتحقيقه وهو الذي لأجله خلق الله عباده وأنزل كتبه، وبعث أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام"[2].

والإله هو المعبود بحق أو بغير حق، حيث أن هناك من إتخذ الهة تعبد من دون الله ولينصروهم قال ﷻ: **﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ٨١﴾** [مريم:81]. "أولئك الكافرون اتخذوا غير الله آلهة مختلفة عبدوها، لتكون لهم شفعاء فى الآخرة" [3].

فكل معبود هو إله يعبد، كان بشراً أو حجراً أو شجراً أوكوكباً...إلخ، قال ﷻ: **﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ٣﴾** [الفرقان:3]. فهذه الآلهة لا تضر ولا تنفع ولا تسمن ولا تغني من جوع، وهذا شرك بالله ﷻ وقد حذ منه فقال ﷻ: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨﴾** [النساء:48].

والإله الحق المعبود، الذي تفرد بالعبادة وهو المستحق لها هو الله ﷻ، قال ﷻ: **﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾** [النساء:171]، وقال ﷻ: **﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾** [الإخلاص:1-4].

ويمكن القول أن الفساد هو القناعة والاعتقاد بمن يستحق أن يعبد مع الله ﷻ ويجعل له نداً أوشريكاً أو ابناً.

---

(1) الدكتور على محمد محمد الصلابي، (مواليد 1963، بنغازي بليبيا)، فقيه، وكاتب، ومؤرخ، ومحلل سياسي ليبي .له العديد من المؤلفات من علماء الأمة الذين يعيشون همومها، وقضاياها، ويشخص أدواءها، يأخذ من ماضيها نفحات موثقة ليقدمها إلى المحدثين، الذين لم يجربوا فك غموض علوم الأوائل، لزم الجانب التأصيلي لعصور الفتح وشخوصه، وقرب لنا دررا نراها بعيدة المطلب ليستفيد منها مريدو الثقافة الإسلامية الرصينة. موقع الدكتور علي الصلابي.

(2) الصلابي، الإيمان بالله (ص97).

(3) علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم (ج452/1).

ومن دلائل الفساد في الألوهية:

أولا: جعل لله ﷻ ندا فقال ﷻ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت:9]، وقد نهى الله ﷻ عن اتخاذ الند لأن الله ﷻ هو الخالق وهو على كل شيء قدير.

ثانيا: جعل لله ﷻ شريك: قال ﷻ: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:72] قال ﷻ: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:54]. وهناك آيات كثيرة تنهي عن الشرك واتخاذ الشركاء مع الله ﷻ وقد أبلغ الله ﷻ عباده أنه من يشرك به فستكون عاقبته النار وبئس المصير.

ثالثا: جعل لله ابنا: قال ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:30]، وقد نهى الله ﷻ عن اتخاذ ابناً له، لأنه واحد أحد، فرد صمد، وقد حذر أهل الكتاب من هذا الأمر، قال ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:171]، وقد كفَّر الله ﷻ من جعل له ابناً أو شبهه بأحد من خلقه وجعله إلهاً، فقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:17]، وقد أفرد نفسه بالوحدانية فقال ﷻ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163]، سبحانه وتعالى عما يصفون.

ثالثا: فساد الاعتقاد في الأسماء والصفات:

الايمان بالأسماء والصفات: "الإيمان بما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ في سنته من الأسماء الحسنى والصفات العلى، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله ﷻ، ولا تكييفها بتحديد كُنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين. إن توحيد الله ﷻ في أسمائه وصفاته يتطلب التقيد في ذلك بكتاب ربنا وبسنة رسولنا ﷺ فلا نصنع له اسماً أو صفة ليست واردة في المنهلين ولا نشبهه بأحد من خلقه فهو سبحانه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:11]"[1] .

(1)الصلابي، الايمان بالله (63).

فالله ﷻ له أسماء وصفات أبلغنا بها وأمرنا أن ندعوه بها ونتعبد بها من غير تبديل ولا تغيير قال ﷻ:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف:180]. والإلحاد هنا الميل عن جادة الصواب. يقصد به الميل عما يجب اعتقاده في أسماء الله ﷻ وصفاته، ويكون في الأسماء بتسمية الله ﷻ بما لم يسم به نفسه.

"وحقيقة الإلحاد فيها العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها، هذا حقيقة الإلحاد، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله، ففسر ابن عباس الإلحاد بالكذب، أو هو غاية الملحد في أسمائه تعالى، فإنه إذا أدخل في معانيها ما ليس منها، وخرج بها عن حقائقها، أو بعضها، فقد عدل بها عن الصواب والحق، وهو حقيقة الإلحاد. فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة"(1).

أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

1. أن ينكر شيئاً مما دلت عليه من الصفات كفعل المعطلة.
2. أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه، كفعل أهل التمثيل.
3. أن يُسمي الله بما لم يُسمِّ به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية، كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة إياه علة فاعلة.
4. أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق اللات من الإله والعُزَّى من العزيز.
5. وصفه تعالى بما لا يليق به، وبما ينزه عنه، كقول اليهود: بأن الله تَعِبَ من خلق السماوات والأرض، واستراح يوم السبت، أو قولهم: إن الله فقير.

وقد سمى الله ﷻ نفسه بأسماء فقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾ [البقرة:255]. وقال ﷻ:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٤﴾ [الحشر:22-24]، ووصف نفسه بصفات فقال ﷻ:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى:11].

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج54/1).

من أدلة الفساد في الأسماء والصفات.

1- **التحريف لغة:** التغير والتبديل. والتحريف في باب الأسماء والصفات هو: تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها. ومثال ذلك تحريف إعراب قوله ﷻ:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:164] من الرفع إلى النصب، وقال: **وَكَلَّمَ ٱللَّهَ** أي موسى كلم الله، ولم يكلمه الله، ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف.

2- **التعطيل لغة:** مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك، والتعطيل في باب الأسماء والصفات هو: نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها. كنفي صفة السمع والكلام عن الله ﷻ، ومن يفعل ذلك الفرق الضالة من الأشعرية والمعتزلة والقراطمة وغيرهم. سلب الصِّفات ونفيها عَنِ الله تعالىٰ، وهو مأخوذ مِنْ قولهم: جِيدٌ مُعَطَّلٌ، أيْ: خال مِنَ الحليّ، فالجهميَّة وأشباههم قد عطَّلوا الله عَنْ صفاته فلذٰلك سمُّوا بالمعطِّلة، وقولهم هٰذا مِنْ أبطل الباطل؛ إذْ لا يعقل وجود ذات بدون صفات.

3- **التكييف لغة:** جعل الشيء على هيئة معينة معلومة، والتكييف في صفات الله هو: الخوض في كنه وهيئة الصفات التي أثبتها الله لنفسه.

بيان الهيئة الَّتي تكون عليها الصِّفات فلا يُقال: كيف اِسْتوى؟ كيف يده؟ كيف وجهُه؟ ونحو ذٰلك، إذ القولُ في الصِّفات كالقول في الذَّات يحتذى حذوه ويُقاس عليه، فكما أنَّ له ذاتًا ولا نعلم كيفيَّتها، فكذٰلك له صفات ولا نعلم كيفيَّتها، إذ لا يعلم ذٰلك إلَّا هو مع إيماننا بحقيقة معناها

4- **التمثيل لغة:** من المثيل وهو الند والنظير، والتمثيل في باب الأسماء والصفات هو: الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوق.

التَّشبيه، فلا يُقال: ذات الله مثل ذواتنا، أو شبه ذواتنا، وهكذا، فلا يُقال في صفاته: إنَّها مثل صفاتنا أو شبه صفاتنا، بل على المؤمن أنْ يلتزم قوله ﷻ: **﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾** [الشورى:11]. وقال ﷻ: **﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾** [مريم:65] والمعنى لا أحد يساميه، أيْ: يشابه.[1] .

قال ابن تيمية رحمه الله: "إذا قالَ لك نُؤوِّل معنى الغضب إرادة الاِنتقام، والرَّحمة إرادة الإنعام فقل: وهل هٰذه الإرادة تشبه إرادة المخلوق، أم أنَّها إرادة تليق بجلاله وعظمته؟ فإنْ قالَ الأوَّل فقد شبَّه، وإنْ قالَ الثَّاني فقل: ولم لا تقل رحمة وغضب يليقان بجلاله وعظمته، وبذٰلك تحُجُّه وتَخْصِمُهُ" [2].

---

(1) السعدي، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة (ج20/1).

(2) ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية (ج41/1).

المطلب الثاني

فساد الاعتقاد في النبوات

الأنبياء هم رسل الله ﷻ إلى البشرية، وقد أرسلهم الله ﷻ لدعوة الناس إلى توحيده وعبادته، واتباع الصراط المستقيم، ليكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة، وحتى لا يكون للناس حجة على الله ﷻ بعدم الإيمان لأنه لا يوجد من يبلغهم رسالة الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء:165].

وكان دعاء كل نبي لقومه ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ [الأعراف:65]. وهم من بني البشر يعيشون كما يعيش الناس، يأكلون ويشربون وينامون ويتزوجون، أرسل الله ﷻ الرسل من أنفسهم لأنه يعرف طبيعة البشر وكيف يتعامل معهم ويكون حريصا عليهم وضرب الله ﷻ مثلا على سيدنا محمد ﷺ، حين خاطب المسلمين فقال ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة:128]، وهذا ينطبق على جميع الأنبياء عليهم السلام.

يقول السعدي: "يمتن على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو صلى الله عليه وسلم في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم. {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم. {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم" [1].

والأنبياء يوحى إليهم بالرسالة من ربهم عن طريق الوحي أو بالإيحاء، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ [الكهف:110]. وكان حال كل نبي يقول لقومه: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٩﴾ [الأحقاف:9].

فكل نبي مكلف بالدعوة لقومه والصبر عليهم، ودعوتهم للخير، وللإيمان بالله ﷻ، والنتائج على الله ﷻ، فلا يُسأل نبي عن الذين لم يسلموا، ما دام هو أدى الأمانة على حقها في تبليغ دعوة الله ﷻ، وبشر بالجنة، وأنذر من النار لعباد الله ﷻ.

---

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج356/1).

والإيمان بالأنبياء من أركان الايمان الستة، ومن أنكر هذا الركن فهو كافر حلال الدم ويخرج عن ملة الإسلام قال ﷻ:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة:285].

فساد الاعتقاد في النبوات:

أولا: تكذيب الأنبياء:

فتكذيب الأنبياء يكون من فساد الاعتقاد فيهم، حيث يجب على كل مسلم أن يصدق برسالة الأنبياء لأن كل الرسالات هي من عند الله ﷻ كما أن القرآن يعدُّ تكذيب رسول واحد من الرسل تكذيباً لجميع الأنبياء والمرسلين؛ لقوله ﷻ: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣﴾ [الشعراء:123]، وقوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشعراء:105]، ويقول سيد قطب في الظلال تعليقًا على هذه الآية: "وقوم نوح لم يُكَذّبوا إلاّ نوحاً، ولكن الله ﷻ يذكر أنهم كذّبوا المرسلين، فالرسالة في أصلها واحدة، وهي دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له، فمَنْ كَذّب بها فقد كَذّب بالمرسلين أجمعين، فهذه دعوتهم أجمعين. [1]

ثانيا: التفريق بين الأنبياء:

فبعض الناس يفرق بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيصدق رسالة نبي، ويكذب آخر، ويؤمن بنبي ويكذب آخر، فقد جعلهم الله ﷻ الناس من الكفار ولهم عذاب أليم، قال ﷻ :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [النساء:150-151]

قال محمد دروزة: [2] "ولم يرو المفسرون رواية خاصة في نزول الآيات وكل ما هناك أن الخازن قال «قيل إنها نزلت في اليهود لأنهم يؤمنون بموسى وأنبيائهم وكتبهم ولا يؤمنون بعيسى وإنجيله ومحمد وقرآنه وقيل إنها نزلت في النصارى الذين لا يؤمنون بمحمد

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج2607/5).

(2) محمد عزة بن عبد الهادي دروزة (1887 – 1984) مفكر وكاتب ومناضل قومي عربي ولد في نابلس وتوفي في دمشق. إضافة إلى نضاله السياسي، كان أديباً ومؤرخاً وصحفياً ومترجماً ومفسراً للقرآن. هو أحد مؤسسي الفكر القومي العربي إلى جانب ساطع الحصري وزكي الأرسوزي. اتخذ نضاله شكلاً وحدوياً تجاوز ظروف التجزئة والحدود المصطنعة. ويكيبيديا.

والقرآن» وإن الطبري وابن كثير قالا إنها في اليهود والنصارى معا لأن كلا منهم يؤمن ببعض الأنبياء والكتب ويكفر ببعض" (1).

فنجد أن اليهود والنصارى يتبعون من يكون قريباً منهم ومن نسلهم وينكرون على الآخرين النبوة، ويتهموهم بأنهم أصحاب منافع ومناصب.

ثالثا: إنكار النبوات:

فساد قوم نوح في النبوات، قال تعالى على لسانهم: قال ﷻ:﴿ **فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤**﴾ [المؤمنون:24]، فهم يصفون نوحاً عليه السلام بأنه طالب للزعامة والرفعة، ثم يتمادون في الأمر فيعلنون رفضهم لمبدأ النبوة بدعوى أنها ليست موروثاً من الآباء والأجداد(2).

وكما أنكر فرعون والنمرود وأقوام عاد وثمود وتبع وقريش وغيرهم من الأقوام السابقة فقد أنكروا بعض النبوات وأنكروا رسالة الأنبياء

رابعا: إيذاء الأنبياء وقتلهم:

فالأنبياء صلوات الله عليهم عانوا من إيذاء أعداء الله ﷻ، وقتل بعضهم على أيدي اليهود والظالمين حيث أن اليهود قتلوا عدد كبير من الأنبياء وآذوهم، منهم زكريا ويحيى غيرهم، قال ﷻ:﴿**أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ٨٧**﴾ [البقرة:87]، قال ﷻ:﴿ **وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾ [آل عمران:21]، وحتى أن الكفار والمشركين واليهود قد آذوا الأنبياء فحبيبنا محمد ﷺ، أوذي من الكفار فوضع على رأسه سلى الجزور، وأتهم بالجنون ﴿**مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢**﴾ [القلم:2] والشعر والكهانة، كما أن اليهود حاولوا قتله ثلاث مرات كان آخرها وضع السم في يد الشاه والتي توفي متأثرا بها.

---

(1) دروزة، التفسير الحديث (ج270/8).

(2) انظر: اللوح عبد السلام والسوسي ضيائي، أنواع الفساد وصوره–"دراسة قرآنية موضوعية" (ص18).

المطلب الثالث

فساد الاعتقاد في الغيبيات

"غيب: الغَيْبُ: الشَّكُّ، وَجَمْعُه غيابٌ وغُيُوبٌ؛ قَالَ:

أَنْتَ نَبيٌّ تَعْلَمُ الغيابا، ... لَا قَائلًا إفْكاً وَلَا مُرْتابا

والغَيْبُ: كلُّ مَا غَابَ عَنْكَ. أَبو إِسحاق فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يؤْمنُونَ بِالْغَيْبِ؛ أَي يؤْمنُونَ بِمَا غابَ عَنْهُمْ، مِمَّا أَخبرهم بِهِ النبيُّ ﷺ، مِنْ أَمرِ البَعْثِ والجنةِ وَالنَّارِ. وكلُّ مَا غابَ عَنْهُمْ مِمَّا أَنبأَهم بِهِ" [1].

الغيب هو كل ما يغيب عنك، ولا تراه عيناك، وهو درجات ومراتب.

والغيب: لله ﷻ ومنحه للنبى ﷺ فقال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [الجن:26-27]. ومن يكون أكثر ارتضاء منه. لذلك لم يخفى الغيب على الحبيب محمد ﷺ الذي يقول ربه ﷻ فى كتابه ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤﴾ [التكوير:24]. فقد أخبره به علام الغيوب فأورد لنا الأحاديث التى تنجى الأمة من الفتن والإختلاف والتناحر.

والغيب مطلق ونسبي، فالمطلق ما يعلمه الله ﷻ، وهو الغيب الذي استأثر الله ﷻ بعلمه فإن الغيب معناه ما كان غائباً؛ وهذا الغائب إما أن يكون غائباً عن الخلق كلهم في السماء والأرض، والنسبي مراتب فهناك غيب يعلمه الأنبياء، وغيب تعلمه الملائكة، وغيب يعلمه عامة الناس، فالذى يعرفه شخص يكون غيب على آخر وما يدور بخلد إنسان ما غيب على آخرين.

الغيب في الإصطلاح: هو العلم الذي لا يعلمه إلاّ الله ﷻ ولا طريق لتحصيله إلا بواسطته ﷻ فإن علمه أحد فلا يكون بذاته وإنما هو بإيحاء من الله ﷻ لمن يريد.

فإن علم الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، وقد فسر النبي ﷺ هذه المفاتيح بالأمور الخمسة التي وردت في سورة لقمان في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ٣٤﴾ [لقمان:34].

(1) ابن منظور، لسان العرب (ج654/1).

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **(من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت: وما تدري نفس ماذا تكسب غدا)** (1).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "المراد بالغيب: ما كان غائباً، والغيب أمر نسبي، لكن الغيب المطلق علمه خاص بالله" (2).

والغيب هو الذي نتحدث عنه غيب الدنيا والآخرة، وما سيكون مآل كل شخص في الدنيا والآخرة من عيش في الدنيا ومصير وقرار في الآخرة إما نعيم الجنة أو عذاب النار.

فساد الاعتقاد في الغيبيات

أولا: إنكار البعث:

فالكفار ينكرون البعث والحساب والجزاء والجنة والنار، **﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾** [الجاثية: 24]، أي ويقولون أنهم ينتهون في الحياة الدنيا ولا يكون لهم بعث وحياة آخرة.

"وقالوا ما هي ما الحياة أو الحال. إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها. نموت ونحيا أي نكون أمواتا نطفا وما قبلها ونحيا بعد ذلك، أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا، أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا، أو يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة ويحتمل أنهم أرادوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان. وما يهلكنا إلا الدهر إلا مرور الزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه. وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث إلى حركات الأفلاك وما يتعلق بها على الاستقلال، أو إنكار البعث أو كليهما". (3)

ثانيا: انكار الحساب:

هناك من الأقوام والناس من ينكرون العذاب ولا يخافون يوم الوعيد، فقوم لوط عليه السلام قال تعالى: **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ٣٠﴾** [العنكبوت:28-30]. فعندما حذرهم لوط عليه السلام من عذاب الله عز وجل وعدم إتيان الفاحشة التي حرمها الله عز وجل استهانوا واستهزؤوا بسيدنا لوط وأنكروا العذاب وقالوا له: **﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التفسير، ص689: رقم الحديث 4855].

(2) العثيمين، شرح العقيدة الواسطية: (ج194/1).

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج108/5).

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وبعد تحذيرهم ووعظهم مراراًوتكراراً لم يستجيبوا له فأزل الله ﷻ عليهم عقابه.

"واذكر -أيها الرسول- لوطًا حين قال لقومه: إنكم لتأتون الفعلة القبيحة، ما تَقَدَّمكم بفعلها أحد من العالمين، أإنكم لتأتون الرجال في أدبارهم، وتقطعون على المسافرين طرقهم بفعلكم الخبيث، وتأتون في مجالسكم الأعمال المنكرة كالسخرية من الناس، وحذف المارة، وإيذائهم بما لا يليق من الأقوال والأفعال؟ وفي هذا إعلام بأنه لا يجوز أن يجتمع الناس على المنكر مما نهى الله ورسوله عنه. فلم يكن جواب قوم لوط له إلا أن قالوا: جئنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين فيما تقول، والمنجزين لما تَعِد" [1].

ثالثا: إنكار عذاب القبر.

عذاب القبر ورد في القرآن والسنة، ومن المعلوم أن إنكار عذاب القبر إنكار لشيء معلوم بالأحاديث الكثيرة المتواترة عن رسول الله ﷺ، فالذي يكون عالماً به يخشى عليه أن يكون كافراً؛ لأن هذا مما تواترت به الأحاديث وجاءت وجاء به القرآن في قوله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر:46]. ، فعذاب القبر ثابت في هذه الآية الكريمة في حق آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ أي أن آل فرعون سيعذبون في القبر وهذا العذاب في الدنيا في القبر، والقبر أول منازل الآخرة قال ﷺ **(إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه)**[2]، وفي الآخرة عذاب النار الشديد، ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾، فالذي ينكر عذاب القبر فهو منكر لما جاء في القرآن، فتقام عليه الحجة ويبين له ما جاء في القرآن وما جاء في السنة، وإذا أصر على ذلك فالذي يظهر أنه يكون كافراً، لأنه مكذب بما جاء في القرآن، وبما جاء في السنن المتواترة.

عن زيد بن ثابت ؓ قال: **(بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك، فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي**

---

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر (ج399/1).

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ص1312: رقم الحديث 2867].

أسمع منه)[1]. فهذا دليل من كلام رسول الله ﷺ في إثبات عذاب القبر. وحديث آخر يقول ﷺ: **(لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر)** [2].

فهذه أدلة من القرآن والسنة النبوية على عذاب القبر الذي ينكره البعض ويقولون أن العذاب والحساب يكون في الآخرة هذا لم يؤمن بالاخرة وهناك من ينكر علم الغيب جملة وتفصيلا.

(1) [مسلم، صحيح مسلم، الجنة، وصفة نعيم أهله/ باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، واثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، ص1312: رقم الحديث 2867].

(2) [مسلم، صحيح مسلم، الجنة، وصفة نعيم أهله/ باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، واثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، ص1312: رقم الحديث 2868].

المبحث الثاني

الفساد الأخلاقي

المطلب الأول

الفساد في الحكم والسياسة

تعريف الفساد السياسي:

"يعرف الفساد السياسي بمعناه الأوسع بأنه إساءة استخدام السلطة العامة (الحكومية) **من قبل النخب الحاكمة** لأهداف غير مشروعة وعادة ما تكون سرية لتحقيق مكاسب شخصية".(1)

ويكون تبعيات الفساد السياسي، الفساد في الحكم، حيث أنهما مرتبطان مع بعضهما البعض، لأنه من تربع على عرش السياسة في أي بلد، يصبح هو الآمر والناهي، وهو المتنفذ في مقدرات الدولة أو البلد يفعل فيها ما يشاء يظلم ويستبد ويستعمل سياسة الحاكم الظالم المتجبر المستبد.

"كل أنواع الأنظمة السياسية معرضة للفساد السياسي التي تتنوع أشكاله إلا أن أكثرها شيوعاً هي المحسوبية والرشوة والابتزاز وممارسة النفوذ والاحتيال ومحاباة الأقارب. ورغم أن الفساد السياسي يسهل النشاطات الإجرامية من قبيل الاتجار بالمخدرات وغسيل الأموال والدعارة إلا أنه لا يقتصر على هذه النشاطات ولا يدعم أو يحمي بالضرورة الجرائم الأخرى. (2)

والفساد السياسي موجود منذ القدم، فكل بطانة لملك أو أمير كانت تعينه على الفساد، وقد واجه الأنبياء والمرسلين هذا النوع من الفساد عند دعوتهم للبشر وأبرزها تكذيب الملاء الرؤساء وهم الطبقة السياسية المتسلّطة، وقد ذكر القرآن نماذج من الفساد السياسي، قال ﷻ **:﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٦٦﴾** [الأعراف:66]، قال ﷻ: **﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾** [الأعراف:88]، قال ﷻ:**﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩﴾** [الأعراف:109]، والملأ هم أشراف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وسادتهم، وهم البارزون في المجتمع، وأصحاب النفوذ والسيادة، هم أشراف المجتمع وسادته، أو هكذا يعتبرهم العامة، وهم أهل الزعامة والقيادة والرئاسة وهم يسمع لهم ويؤخذ من كلامهم.

---

(1) ويكيبيديا، فساد سياسي (معلومات).

(2) المصدر السابق.

والملأ منهم من يعين على الخير، زمنهم من يعين على الشر، فهم بطانة الحاكم ومساعديه ومستشاريه وأصحاب المناصب العليا ففيهم الخير والشر وقد بين رسول الله ﷺ هذ الأمر فقال ﷺ: **(ما استخلف خليفة إلا له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله)** [1].

والقرآن الكريم وضح الفساد السياسي، وهي قصة موسى عليه السلام وفرعون، الذي كررها القرآن للعبرة والعظة، ففرعون صار رمزا للاستبداد والدكتاتورية والطغيان السياسي، فحالة فرعون تكاملَت فيها كل عناصر الفساد السياسي والاستبداد قد تحدثت سابقا عن فساده وعلوه.

والقصد من علوه وفساده أنّه استكبر وتجبَّر وتعظّم وبغى، والمراد به قوّة الملك والعلو في الأرض.

وسنستخلص أدوات الفساد من قصة موسى عليه السلام فرعون.

أدوات الفساد:

أولاً: السلطة: "تعد السلطة بيئة ملائمة لاحتضان الفساد، وحماية الفاسدين وهي الراعية لبؤرة الفساد فمنها يستشري وينطلق ويتوسع ويصبح للمفسدين تنظيم يحتوي على شبكات قوية وضاغطة تتمترس خلف لوائح وتشريعات قانونية قابلة للتأويل ليتوغل كبار الفاسدين في قلب النظام بل يصبحون قيمون على الدولة برمتها إلى درجة أنهم يستطيعون التحكم في التشريع والملاحقة والمساءلة وتحكمهم بالقوانين".[2] قال تعالى:**﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾** [غافر:29]، وهو احتكار الحق والصلاح والعمل بما يريده فرعون من كل أتباعه من فساد، وهي كلمة حق يراد بها الباطل ويريد الظلم والطغيان.

ثانياً: المال: تعد الصفقات العمومية موطناً خصباً بكل أوجه الفساد من محسوبية وواسطة ورشوة ويتعدى الأمر بأن تتكون منظومة فساد قوية عندما يحدث التحالف بين رجل الأعمال ورجال السياسة وبداعي المصلحة المشتركة يخدم كل منهما الآخر.

استغلال أرباب الأموال، ويمثلهم قارون: قال تعالى: **﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾** [القصص:76]، قارون كان من بني إسرائيل، ومن أقارب موسى عليه السلام، فتحالف مع فرعون، وملَّكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم، وتكبّر عليهم بكثرة ماله وولده.

---

(1) [البخاري، صحيح البخاري، القدر/المعصوم من عصمه الله عز وجل، ص913: رقم الحديث 6611].

(2) عيسى، أدوات الفساد السياسي (مقال).

ثالثاً: المنصب: عندما يصبح المنصب تشريفاً وليس تكليفاً وعندما يتعطش الشخص الراغب في الوصول بأي طريقة وبأي ثمن إلى مركزٍ عالٍ فإنه يسهل على الطبقة الحاكمة استعمال هذه الأصناف كدروع وخنادق تحتمي خلفها في تسيير أعمالهم ضمن أدوار محددة ومنسقة. قال ﷻ:﴿**قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣**﴾ [الأعراف:113]. فأراد السحرة منصبا وجاها، وأن يكونوا من المقربين من الظالم، منصباً تشريفياً، لا من أجل المسؤولية ولكن من أجل الجاه والسلطان والإعانة على الفساد والضلال.

رابعا: فساد المنظومة الديمقراطية: عندما تصبح الديمقراطية رهينة للمتنفذين ورجال المال والأموال تظهر معه ظاهرة المال السياسي الذي يعمل على شراء الذمم واستغلال الفقراء وضعاف النفوس من أجل الوصول. قال ﷻ: ﴿**وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤**﴾ [الأعراف:113-114]، وهنا استغلال أصحاب النفوذ من السحرة، ليغيروا الحقائق وينصروا الظالم والطاغية مقابل المكانة والمال.

خامساً: وسائل الإعلام: "عندما تصبح هذه الوسائل كالطبل والمزمار للزمر الفاسدة من الحكام وأصفيائهم يصبح إعلاماً منحطاً بكل المقاييس لأنها تصبح المسوق للأفكار والمشروعات الفاسدة وتضلل وتخدر العقول وتزيف الوعي وتروج لانتصارات وإنجازات وهمية وتدعو للالتفاف حول الفاسدين من أجل محاربة العدو (الوهمي) المتربص دائماً بوحدة البلد واستقلاله وبأنهم هم من يحافظ على البلد واستقلاله"[1]. قال ﷻ: ﴿**فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ٥٤**﴾ [العنكبوت:53-54]، وهذا استعمال للمأجورين وأصحاب المطامع والانتهازيين لضرب مصداقية المعارضين وأصحاب الحق واتهامهم بالفساد وأنه فئة قليلة تريد أن تفسد المجتمع.

سادساً: القوة العسكرية: واستخدام القوة العسكرية لحرب ومقاتلة أصحاب الحق هو آخر الطرق بعد مجابهتهم بكل الوسائل من حوار وادلة وغيرها، والحكم العسكري، ويمثّله هامان قائد جيش فرعون: قال ﷻ:﴿**وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ٣٩**﴾ [القصص:39]، وهكذا كل حكم دكتاتوري فاسد إلاّ وعاث فيه العسكر فساداً، واعتمد عليهم لإخضاع النّاس وإرهابهم وقتلوا وشردوا أصحاب الحق من الموحدين.

سابعاً: خنوع الشعب: وهو استسلام الشعب أو أغلبه لظلم الحاكم الذي يتحكم في مصيره وستخف بعقولهم يجعلهم أداة من أدوات الفساد بسكوتهم وعدم محاربتهم له، قال ﷻ :

(1) عيسى، أدوات الفساد السياسي (مقال).

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف:54] وهذا حال المستبد مع شعبه، يستفزّهم بالقول فيطيعوه، ويحرّكهم بالرّغبة فيخفوا إلى الإجابة، ويستجهلهم فيتبعوا جهله، ويدعوهم إلى باطله فلا يتأخّروا في نصرته.

الخلاصة:

لا تتمثل خطورة الفساد في ذاته، وإنما تكمن في حقيقة أن ممارساته ليست مجرد ممارسات فردية خاصة، وإنما تتحرك من خلال "أطر شبكية" ومجموعات منظمة هي أساس "المافيات"([1]) السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم. مما أكسب ممارسات الفساد نوعاً من المؤسسيّة، الأمر الذي يزيد من احتمالات التوتر وعدم الاستقرار السياسي، ويعرّض شرعية النظام السياسي للتآكل المستمر. ومما يزيد من هذه الخطورة هو قيام بيئات حاضنة للفساد تؤمّن له كل فرص الاستشراء، بل وقيام آليات تساعد على إعادة إنتاج وتطوير الفساد في مرافق الحياة العامة ومناحيها كافة.

ونجد هذا يحدث في دول العالم العربي والإسلامي الذين يريدون أن يتجهوا إلى الصواب والجادة ومنهم من يريد تحكيم شرع الله ﷻ والتخلص من حكم الطواغيت ووضع حاكم يخدم الشعب وأهله، ونجد تكالب العالم مع من يقود هذه البلد ومساعدتهم لمحاربة من يريد رفع راية الإسلام كما حدث ويحدث في فلسطين مصر وسوريا وتونس واليمن وليبيا، فهم لا يريدون أن تقوم للحق قائمة ويقتلون ويشردون الملايين من بلادهم

---

(1) المافيا هو مصطلح يستخدم لوصف نوع من «نقابة عصابات الجريمة المنظمة» التي تمارس الحماية بالابتزاز في المقام الأول – استخدام الترهيب العنيف للتلاعب بالنشاط الاقتصادي المحلي، وبخاصة الاتجار غير المشروع. ويمكن أن تمارس أنشطة ثانوية مثل الاتجار بالمخدرات والقروض بفوائد مرتفعة والتزوير. ترتبط عصابات بميثاق شرف، ولا سيما ميثاق الصمت. موقع ويكيبيديا.

المطلب الثاني

الفساد الإداري والمالي

الفساد الإداري:

"هو استغلال منصب ما، من أجل القيام بأعمال وخدمات لمجموعة من الأشخاص، بشرط الحصول على مقابل مادي لذلك، ويُعرف أيضاً، بأنه: الاستخدام السيّئ للوظيفة، وعدم تطبيقها بأسلوب مناسب" (1).

ولا يعتمد الفساد الإداري على وظيفة معيّنة، بل على طبيعة الشخص الذي يقبل الحافز نحو الفساد، ويرتبط عادةً بقبول الرشوة، وهي عبارةٌ عن مقابل يحصل عليه الشخص لإتمام عمل ما دون وجه حق، أي بالاحتيال على قوانين العمل من أجل تمرير شيء ما، يحقق مصلحة لفرد، أو مجموعة من الأفراد، على حساب أفراد.

الفساد المالي:

الفساد المالي ومظاهره هو الانحرافات المالية، ومخالفة الأحكام والقواعد المعتمدة في تنظيمات الدولة ومؤسساتها إدارياً، مع مخالفة ضوابط وتعليمات الرقابة المالية، يعد أكثر أنواع الفساد الإداري انتشاراً، إذ يحصل فيه الموظف على مبلغ مالي مقابل الخدمة التي قدّمها لشخص ما.

وهذا الفساد المالي والإداري خطير جداً حيث إنه يتحكم في مقدرات الدولة والمجتمع ويهدر المال العام في غير مكانه الصحيح، ويتم استغلال الأشخاص في جميع المستويات في التعامل بهذا الأمر من الفساد على المستوى الشخصي أو المستوى القيادي، ويكون ذلك عبر الرشاوي، أو الاختلاس، أو المحسوبية، أو البطالة المقنعة، أو استغلال المال العام لأمور خاصة تعود على شخص او مجموعة لهذا الأمر، والذي يسبب في نشر الفساد في المجتمع والدولة.

ومن أسباب الفساد الإداري والمالي:

1. **أسباب سياسية:** "ويقصد بالأسباب السياسية هي غياب الحريات والنظام الديمقراطي، ضمن مؤسسات المجتمع المدني، ضعف الأعلام والرقابة"(2). وقد سبق التحدث عن الفساد السياسي من سياسات وأسباب.

---

(1) معابرة، الفساد الإداري وعلاجه في الفقه الإسلامي (ص60).

(2) الهيتي، الفساد المالي والإداري وأسبابه، الحوار المتمدن (مقال).

2. **أسباب اجتماعية:** متمثلة بالحروب وأثارها ونتائجها في المجتمع والتدخلات الخارجية، الطائفية والعشائرية والمحسوبيات القلق الناجم من عدم الاستقرار من الأوضاع والتخوف من المجهول القادم وجمع المال بأي وسيلة لمواجهة هذا المستقبل والمجهول الغامض.
3. **أسباب اقتصادية:** الأوضاع الاقتصادية المتردية والمحفزة لسلوك الفساد وكذلك ارتفاع تكاليف المعيشة.
4. **أسباب إدارية وتنظيمية:** "وتتمثل في الإجراءات المعقدة (البيروقراطية) وغموض التشريعات وتعددها أو عدم العمل بها، وضمن المؤسسة لعدم اعتمادها على الكفاءات الجيدة في كافة الجوانب الإدارية"(1).
5. **أسباب شخصية:** وهي تتعلق بالشخص، من خلال سلوكه، وتصرفاته، وأخلاقه، وأمانته، وميوله واتجاهاته، ومستواه الثقافي والتعليمي، والتربية الي أنشأ عليها.

وقد تحدث القرآن عن هذه الأسباب والمحسوبيات والرشوة وسوء الإدارة والسرقات وحذر من يفعلها بنار جهنم والعياذ بالله.

أولا: الرشوة:

تعريف الرشوة لغة:

"مأخوذة من الرشاه وهو الحبل الذي يربط به الدلو لينزع الماء من البئر، والرشوة بكسر الراء وضمها والجمع (رشا) ومنها رشا الفرخ إذا مد عنقه إلى أمه لتؤكله، و(ارتشى) أخذ الرشوة، و(استرشى) في حكمه أي طلب الرشوة عليه، و(أرشاه) أعطاه الرشوة)"(2) .

تعريف الرشوة شرعاً:

هي ما يبذل للقاضي من مال أو غيره ليحكم بغير الحق أو ليمتنع عن الحق، وقيل هي إعطاء مال ونحوه إلى مسئول لقضاء مصلحة بعيدة المنال لمعطي المال، ونحوه سواء أكانت موصلة إلى حق أو إلى باطل. (3)

فالله ﷻ نهانا عن أكل المال بالباطل ورشوة الحكام وأصحاب القرار بالمال لإنهاء أي أمر متعثر أو تسهيله، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾ [البقرة:188]. "نهانا الله أن نأكل أموال بعضنا بالباطل وبدون وجه حق، ونهانا أن نلقى بالأموال إلى الحكام مستعينين في ذلك بالدفاع الباطل، والرشوة التي تعطى لبعض أصحاب النفوس القذرة الحقيرة من الحكام ليصل صاحبها

(1) الهيتي، الفساد المالي والإداري وأسبابه، الحوار المتمدن (مقال).

(2) الرازي، مختار الصحاح (ج123/1).

(3) الرملي، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (ج255/8).

إلى غرضه. ولا شك أن كثرة التقاضي بالباطل وشيوع الرشوة في الأمة مقبرة لها بل خطرها على الأمة أشد من اليهود" (1) .

وهذا حبيبنا ﷺ ينهى عن الرشوة، ويلعن من يفعلها، ومن يسير في تسهيلها، عن ثوبان ﷺ قال: **(لعن** رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش**)** يعني: الذي يمشي بينهما. (2)

ثانيا: تحريم هدايا العمال:

"فهدايا العمال فعل قديم حديث، حيث لا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات، قديمها وحديثها من مظهر من مظاهر الفساد الإداري، وعلى الرغم من أن مجتمع صدر الإسلام كان على درجة عالية من الطهر والعفاف والنقاء والعفة، إلا أنه لم يسلم من مظاهر الفساد الإداري"(3).

عن أبي حميد الساعدي ﷺ، قال: استعمل النبي ﷺ رجلا من الأزد، يقال له ابن الأتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، قال: **(فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منه شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»** ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة إبطيه: **«اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت ثلاثا)** (4). والشاة التيعر هي التي تصيح.

فينهى النبي ﷺ عن أخذ الهدية في العمل لله ﷻ، ولصالح الاسلام والمسلمين، حتى لا تكون هذه الهدية من باب الرشوة التي تجعل الإنسان يحيد عن طريق الصواب وفعل الحرام، ويصف حال كل من أخذ شيئا كيف يأتي يوم القيامة.

وقد نهى النبي ﷺ عن السرقة، أو أخذ أي شيء من الغنائم دون علم المسلمين، فهو خيانة وسرقة وغلول يدخل صاحبه النار، فعن عدي بن عميرة الكندي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً، فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة).** (5)

---

(1) الحجازي، التفسير الواضح (ج111/1).

(2) [أحمد: مسند الإمام أحمد، مسند أبو سعيد الخدري، ج85/37: رقم الحديث 22399].

(3) غصاب، منهج الشريعة الإسلامية في منهج الشريعة من الفساد المالي والإداري (ص42).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الهبة وفضلها والتحريض عليها/من لا يقبل الهدية، ص344: رقم الحديث 2597].

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الامارة/تحريم هدايا العمال، ص890: رقم الحديث 1833].

ثالثا: تحريم أكل مال الناس بالباطل:

المال شقيق الروح والإنسان قد يفقد حياته مقابل الدفاع عن ماله، وقد يفدي ماله بروحه لأنه عزيز وغالي على الانسان ومن يقتل في سبيله فهو شهيد فقد قال ﷺ: **(من قتل دون ماله فهو شهيد)** (1)

قال ﷻ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء:29].

يا أيها المؤمنون: لا تكونوا من ذوى الأطماع في حقوق الغير، الذين يأكلون أموال الناس بغير حق، فلا يأكل بعضكم مال أخيه الذي بينه وبينه ويتخاصم لأجله بالباطل، ولكن كلوه عن طريق التجارة ما دامت عن تراض منكم ليس فيها كذب ولا خداع ولا غش ولا تدليس.والتجارة مشروعة، ومتى كانت بالتراضي مع الذكاء وحسن العرض وجذب قلوب الناس بحسن الكلام والوسائل المغرية غالبا يأتى معها الربح الكثير، وإنما أضاف الأموال إلى الجميع (أموالكم) للإشارة إلى أن مال الفرد مال الأمة، والاعتداء على مال الفرد اعتداء على مال الأمة جمعاء، فنحن خلفاء الله في هذا المال. والمال للكل، فالفقير والمحتاج له منه نصيب فلا تمنعوه".(2)

منهج القرآن في القضاء على الفساد الإداري والمالي:

أولا: القدوة الحسنة: وهو أن يكون القائد والمدير حسن التصرف والمعاملة الحسنة واليد النظيفة والقرار الصائب وخير قدوة هو سيدنا محمد فقال ﷻ: **﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾** [الأحزاب:21].

ثانيا: صاحب الخبرة والأمانة والكفاءة: قال ﷻ على لسان سيدنا يوسف عليه السلام:**﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾** [يوسف:55]، وعلى لسان ابنة شعيب عليه السلام **﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾** [القصص:26]، فالخبرة والأمانة أساس الإصلاح والبعد عن الفساد.

ثالثا: المحاسبة والمراقبة: والمراقبة تكون ذاتية من داخل الشخص، ومن نفسه وخوفه من الله ﷻ وتهذيبه لنفسه، قال ﷻ:**﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ٣٨﴾** [المدثر:38]. وتكون خارجية

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المظالم والغضب/من قتل دون ماله فهو شهيد، ص329: رقم الحديث 2480].

(2) الحجازي، التفسير الواضح (ج365/1).

من الله ﷻ ومن القائد الأعلى ومن الناس قال ﷻ: **﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾** [التوبة:105].

رابعا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: قال ﷻ:**﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٤﴾** [آل عمران:104]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر مهم لتذكير القائد والمدير والمسؤول إن حاد عن الطريق الصواب في عمله وتذكيره بالأمانة والعهد الذي بينه وبين الله ﷻ في حفظ أمانته وصونها وعدم استغلالها لصالحه الخاص أو من يخصه من أقارب وأحباب وأصدقاء.

خامسا: التعزيز والمكافأة: وهو مكافأة الأمين وتعزيز الهمة والأمانة له على أمانته وحسن أدائه ومحاسبة المقصر وتوجيهه وحتى تكون المكافأة رفعاً للهمة وتسحين للأداء في أي أمر كان يخص الإسلام والمسلمين، فعن ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه)** (1).

قال ﷻ: **﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾** [الصافات:24]، فكل نفس ستسأل أمام الله ﷻ عما فعلت في الدنيا، عن الطاعة، والعبادة، والأمانة، والعمر، والعلم، والمال، ثم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون. "{مَّسْئُولُونَ} عن قول لا إله إلا الله، أو عما دَعَوا إليه من بدعة مأثور أو عن جلسائهم، أو عن ولاية علي، أو محاسبون، أو مسئولون بقوله **﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥﴾** [الصافات:25] توبيخاً وتقريعاً" (2).

سادسا: ترسيخ القيم الإسلامية: فالقيم الإسلامية الصحيحة شيء في حياة الإنسان، فهي ترسخ فيه مبدأ الفهم للطاعة والمعصية، والحلال والحرام، والصدق والأمانة، وتجعله يسير في خطى سليمة. قال ﷻ: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾** [الشمس:7-10].

فالقِيم الإسلامية هي من الله ﷻ وهي يسخرها للإنسان حتى يسير على الطريق الصواب، ويبتعد عن الخطأ، ويستغل هذه النفس في الطاعة والعبادة والابتعاد عن المعصية، والسلوك السيء. فالله ﷻ هو الذي خلق النفس البشرية وجبلها على الخير والشر، ويعرف ما فيها من سلوك خير أو شر، قال ﷻ: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٤﴾** [الملك:14

---

(1) [أحمد، مسند الامام أحمد، مسند أبو سعيد الخدري: ج9/ص266: رقم الحديث 5365]. اسناده صحيح على شرط الشيخين (الأرناؤوط).

(2) العز بن عبد السلام، تفسير القرآن (ج52/3).

المطلب الثالث

الفساد في المعاملات

خلق الله ﷻ الأرض وأنشأها على أحسن حال، إلى أن تدخّل فيها البشر، فغيّروا وبدّلوا وأفسدوا، فانطلقت حركة النبوّات فيها، ومضى رسل الله ﷻ في مهمّتهم الرسالية الكبرى لإصلاح الأرض بعد فسادها، فكانوا حرباً على الفساد بكلّ أنواعه وأشكاله، وعملوا على نشر الفضيلة وقيم الخير في مواجهة الفساد والطغيان، وقد حاربوا الفساد في المعاملات اللأخلاقية بجميع أطيافها وأنواعها وحافظوا على الأخلاق الحميدة في دعوتهم لله ﷻ.

والإنسان بفطرته يحب المعاملة الحسنة، والأخلاق الحميدة، والتعامل الجيد، وهو يأنس مع أخيه الإنسان في كل مجالات الحياة المترابطة والمتكاملة على أساس الإيمان والتقوى، وبعيدا عن المنغصات والشوائب السيئة. قال ﷻ:**﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾** (الأعراف:189)، فالسكينة والمعايشة للناس مع بعضهما البعض، يطفي على الحياة راحة وطمأنينة وحب وإخاء.

من أنواع الفساد في المعاملات:

أولا: قطع الأرحام: صلة الرحم تعني الإحسان إلى الأقربين وإيصال ما أمكن من الخير إليهم ودفع ما أمكن من الشر عنهم، وقطيعة الرحم تعني عدم الإحسان إلى الأقارب، وقيل بل هي الإساءة إليهم. لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية من كبائر الذنوب، وقد نقل الاتفاق على وجوب صلة الرحم وتحريم القطيعة القرطبي والقاضي عياض وغيرهما. [1] قال ﷻ:**﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾** (محمد:22)، وقال ﷻ: **﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥﴾** (الرعد:25)، و قال ﷻ: **﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾** (النحل:90)، فالآيات تحث على صلة الأرحام وأولي القربى ومن يقصر ويقطع فله عذاب من عند الله ﷻ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بصلة الأرحام فقال ﷺ: **(الرحم**

---

(1) العايد، صلة الرحم، موقع صيد الفوائد،20يونيو2016.

معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله،ومن قطعني قطعه الله) [1]. وقال ﷺ:**(من سرهُ أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثرة فليصل رحمه)** [2].

ثانيا: نقض العهد والمواثيق:

قال ﷻ:**﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾** [البقرة:27]، وقال ﷻ: **﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾** [الرعد:25]، فهذا تحذير من الله ﷻ لمن نقض الميثاق والعهد مع الناس بعد أن جعلوا الله ﷻ شهيدا.

"عليهم النقض إفساد ما أبرم من بناء أو حبل أو عهد...، والمعنى يتركون ويخالفون، وأصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال والعهد قيل هو الذي أخذه الله على بني آدم حين استخرجهم من ظهره وهو قوله ﷻ: **﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾** [الأعراف:172]. وقيل هو وصية الله إلى خلقه وأمره إياهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معصيته في كتبه على ألسن رسله، ونقضهم ذلك ترك العمل به" [3].

وحذر النبي ﷺ من ذلك ووصف من يفعله بأنه منافق، أو فيه خصلة من النفاق، فقال ﷺ: **(أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر** [4].

ثالثا: نقص المكيال والميزان:

قال ﷻ: **﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾** [الأعراف:85]، في هذه الآية الكريمة يحث شعيبٌ قومه على ترك جملة من السلوكيات والمعاملات الفاسدة التي أقام عليها القوم حتى أصبحت علماً عليهم، كنقص الميزان عند البيع واستيفائه عند الشراء، وبخس الناس ما يملكون بالتزهيد

---

(1) [مسلم، صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ص1190: رقم الحديث 2555].

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ إثم القاطع، ص837: رقم الحديث 5986]؛ [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ص1190: رقم الحديث 2557].

(3) القنوجي، فتحُ البيان في مقاصد القرآن (ج116/1).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ علامة المنافق، ص12: رقم الحديث 34].

فيها والمخادعة عند شرائها، وتخويف الناس بسلب أمتعتهم وأخذ المكس[1][2]، منهم على الطرقات عنوة، والصد عن سبيل الله ﷻ [3]".

رابعا: استعمال السحر والتفريق بين الناس:

قال ﷻ:﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة:102]. وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١﴾ [يونس:81]، فالسحر مفسدة وضلال وخداع، ويُستغل في الإساءة للناس، وتحويل الحق باطلا، والباطل حقا، ويضلون الناس عن الحق بغير هدى، ولذلك حرمه الله ﷻ وجعله من الكبائر والسبع الموبقات.

"فذهب جمهور العلماء إلى أن للسحر حقيقة، وأنه تقتدر به النفوس البشرية على التأثير في عالم العناصر، إما بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية، ويرون أنّ النفوس الساحرة **على ثلاث مراتب:**

"أولها: المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين.

وثانيتها: بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر، أو خواصّ الأعداد.

وثالثها: تأثير القوى المتخيلة، فيعمد صاحب هذه المرتبة إلى القوة المتخيلة، فيلقي فيها أنواعا من الخيالات والصور، فيؤثر بها على الراءين فتختلف الحقيقة لهم"[4].

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: (**اجتنبوا السبع الموبقات** قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: **الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**) [5].

---

(1) مال يقتطع من الباعة في الأسواق، وكان البعض يبالغ فيها ويوصلها إلى العشر، لذلك سميت بالمعشار. ابن منظور لسان العرب (ج220/6).

(2) اللوح عبدالسلام، السوسي ضيائي، أنواع الفساد وصوره، بحث"دراسة قرآنية مـوضوعية" (26).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج724/7).

(4) السايس، تفسير آيات الأحكام (ج23/1).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الحدود وما يحذر منها/ رمي المحصنات، ص944: رقم الحديث 6857].

فالنبي ﷺ يحذر من السحر، وجعله من الموبقات التي تهلك صاحبها، وتأخذه إلى نار جهنم، لخطورة هذا الفعل الشنيع والخطير، والذي يضر بأمور المسلمين وبالمسلمين أنفسهم.

المبحث الثالث

صور الفساد في الأرض

المطلب الأول

الشرك بالله ﷻ

تعريف الشرك لغة:

وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما. ويقال: شاركت فلانا في الشيء، إذا صرت شريكه. وأشركت فلاناً، إذا جعلته شريكا لك؛ قال الله جل ثناؤه في قصة موسى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى ٣٢﴾ [طه: 32] (1) .

تعريف الشرك اصطلاحا:

والشرك: "هو أن تجعل لله نداً أو شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته وهو المبطل للأعمال والمانع لقبولها قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ٨٨﴾ (الأنعام: 88). وهو أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله ﷻ فكل اعتقاد أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر؛ فحقيقة الشرك بالله، أن يعبد المخلوق كما يعبد الله أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية" (2).

والشرك هو أكبر جريمة يفعلها الإنسان في حياته لأنها تتعلق بذات الله ﷻ والبعد عن التوحيد، وجعل لله ﷻ نداً وشريكاً، لا يحق له أن يعبد من دون الله ﷻ، لأن المعبود الوحيد هو الله ﷻ، وقد حذر الله ﷻ الناس من الشرك بالله ﷻ وأن فاعله لا يغفر الله ذنبه وهو في النار خالد، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء:48]، وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء:116]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢﴾ [المائدة:72].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج265/3).

(2) الصلابي، الإيمان بالله (ص201).

عن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(يقول الله ﷻ لأهون أهل النار عذابا: لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتديا بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك – أحسبه قال: ولا أدخلك النار – فأبيت إلا الشرك)** (1).

فكل ذنب يفعله الإنسان، وكل معصية يرتكبها يغفرها الله ﷻ له، إن تاب وعاد صاحبها قبل الموت، وإن مات ولم يتب فقد أخبرنا الله ﷻ أن رحمته سبقت عذابه، وهو تبشير بمغفرة الذنوب التي لم يستحلها الإنسان، ولكن المشرك إن مات ولم يتب من شركه فسيخلد في النار ولن يدخل الجنة.

والشرك نوعان، شرك أكبر وشرك أصغر:

أولا: الشرك الأكبر:

وهو عِبادة غير الله، أو صَرْف أيِّ شيءٍ مِن العبادة لغير الله، قال ﷻ في الحديث القُدسي: عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه)** (2).

من أنواع الشرك الأكبر:

أولا: شرك عبَّاد الأوثان والأصنام والقبور: قال ﷻ:﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم:19-20]. "اللَّاتَ: اسم صنم كان لثقيف بالطائف، وقيل: كان لرجل يلت السويق للحاج على حجر فلما مات عبدوا ذلك الحجر إجلالا له وسموه بذلك. وَالْعُزَّى: كانت لغطفان وهي على المشهور شجرة ببطن نخلة، وهي تأنيث الأعز، وقيل: كانت ثلاث شجرات. ومَنَاةَ: صخرة كانت لهذيل وخزاعة، وقيل: كانت بالكعبة واستظهر بعضهم أن هذه الأصنام الثلاثة كانت بالكعبة"(3). وقال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:23]، وهؤلاء رجال صالحون ماتوا فعكف المشركون على قبورهم وصَيَّرُوها أوثانًا وعبدوها.

ثانيا: شرك عبادة القبور والأموات والغائبين: وأصل هذا الضرب من الشرك هو الغلو في الأنبياء والصالحين؛ فقال رسول الله ﷺ: **(اللهم لا تجعل قبري وثنا، لعن الله قوما اتخذوا**

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ص: رقم الحديث 3334].

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الزهد والرقائق/ من أشرك في عمله غير الله، ص1361: رقم الحديث 2985].

(3) الحجازي، التفسير الواضح (ج558/3).

قبور أنبيائهم مساجد) [1]. وقال رسول الله ﷺ: **(لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله)** [2].

والذهاب إلى القبور ودعاء الأموات حاجتهم، والتوسل بها والتقرب إليها كما يفعل الشيعة والصوفية وغيرهم من أصحاب الفرق الضالة، وبعض الضالين من أمة محمد ﷺ الذين جهلوا أحكام الدين واتبعوا شهواتهم الضالة.

ثالثا: شرك الاعتقادات: كاعتقاد أن هناك من يخلق أو يحي أو يميت أو يملك أو يتصرف في هذا الكون مع الله ﷻ، أو اعتقاد أن هناك من يطاع طاعة مطلقة مع الله ﷻ، فيطيعونه في تحليل ما شاء وتحريم ما شاء ولو كان ذلك مخالفاً لدين الله ﷻ الذي جاء به الرسل.

رابعا: شرك في المحبة والتعظيم، بأن يُحب مخلوقاً كما يحب الله ﷻ، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله ﷻ، وهو الشرك الذي قال الله ﷻ فيه: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾** [البقرة:165].

خامسا: شرك الدعاء: دعاء الغائبين ودعاء الأموات من الأنبياء والصالحين رهباً وررغباً ومحبة ورجاء، والله ﷻ يأمرنا أن ندعوه وحده لا شريك له بقوله ﷻ:**﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾** [الرعد:14]، وقال رسول الله ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)**[3] .

سادسا: شرك الطاعة: وهو طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم من البشر والعلماء والسلاطين والأمراء في تحريم ما أحل الله ﷻ أو إباحة ما حرم الله ﷻ، قال ﷻ:**﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾** [التوبة:31]، عندما جاء عدي بن حاتم الطائي بعد أن أخبرته أخته عن معاملة المسلمين؛ فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية **﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾** قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فأتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم، وقال بها ﷺ: **يا عدي ما تقول؟ أيضرك أن يقول الله أكبر، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يضرك أيضرك أن**

---

(1) [أحمد، مسند الإمام أحمد، مسند أبو هريرة ج314/12: رقم الحديث 7358]. إسناده قوي (الأرناؤوط).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء/ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا، ص471: رقم الحديث 3445].

(3) [الترمذي: سنن الترمذي، تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ/ ومن سورة البقرة، ص644: رقم الحديث 2969]. إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

يقال: لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق [(1)].

شركاً خفياً: كشرك المتوكلين على غير الله ﷻ من الآلهة المختلفة، أو كشرك وكفر المنافقين؛ فإنهم وإن كان شركهم أكبر يخرج من الملة ويخلد صاحبه في النار؛ إلا أنه شرك خفي، لأنهم يظهرون الإسلام ويخفون الكفر والشرك فهم مشركون في الباطن دون الظاهر.

أنواع الشرك الأصغر:

أولا: الحلف بغير الله: إن لم يقصد تعظيم المحلوف به، وإلا صار شركًا أكبر؛ عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَن حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك)** [(2)].

ثانيًا: الرياء: قال النبي ﷺ: **(إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** " قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ **قال:** " **الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة: إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)** [(3)].

والرياء يكون في الأفعال والأقوال وفي العبادات.

ثالثًا: قول: ما شاء الله وشئت: قال ﷺ لما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: **(أجعلتني لله ندًّا؟! قل: ما شاء الله وحده)** [(4)].

رابعًا: وقول: لولا الله وفلان، والصواب أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، ولولا الله ثم فلان؛ لأن (ثم) تفيد الترتيب مع التراخي، وتجعل مشيئةَ العبد تابعة لمشيئة الله؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير:29]، وأما الواو: فهي لمطلَق الجمع والاشتراك، لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً.

خامسا: لبس حَلْقة، أو تعليق خيط: لقصد رفع بلاء أو دفعه، وقال رسول الله ﷺ :**(من علق تميمة فقد أشرك)** [(5)]. وقال ﷺ: **(اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرُّقَى ما لم تكن شِرْكًا)**[(6)].

---

(1) الصلابي، الإيمان بالله (ص202).

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، النذور والأيمان عن رسول الله ﷺ/ ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ص363: رقم الحديث 1535]. حسنه الألباني.

(3) [أحمد: مسند الإمام أحمد، ج39/39: رقم الحديث 23630]. حسنه الأرناؤوط.

(4) [أحمد: مسند الإمام أحمد، ج339/3: رقم الحديث 1839]. صحيح لغيره.

(5) [أحمد: مسند الإمام أحمد، ج639/28: رقم الحديث 17425]. إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(6) [مسلم: صحيح مسلم، السلام/ الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، ص1057: رقم الحديث 2200].

الفرق بين الشرك الأكبر والشرق الأصغر.

الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام بخلاف الشرك الأصغر.

الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، أما الشرك الأصغر فإنه يحبط العمل الذي خالطه فقط.

الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر ليس كذلك.

الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، أما الشرك الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار وإن دخلها.

الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة فلا يجوز موالاته مهما كانت قرابته، أما الشرك الأصغر فلا يقطع الموالاة على الإطلاق، وإنما يوالي بقدر ما لديه من التوحيد ويعادي بحسب ما فيه من الشرك"[1].

---

(1) الصلابي، الإيمان بالله (210).

المطلب الثاني

عدم السمع والطاعة لولاة الأمر

السمع والطاعة ركن أساس في الإسلام فقد حث الإسلام على ذلك قال ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران:132]، وقال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٦﴾ [التغابن:16]، "ابذلوا ما استطعتم جهدكم ووسعكم، أى: ابذلوا فيها استطاعتكم واسمعوا ما توعظون به وأطيعوا فيما تأمرون به وتنهون عنه وأنفقوا في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها"(1). وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:59].

"طاعة الله وطاعة رسوله متلازمتان، فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، فإطاعة الرسول إطاعة لله، وإطاعة الله إطاعة للرسول أو تقتضيها، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر:7] وأولو الأمر هم الذين بيدهم الْحَلِّ والعَقْدِ وبيدهم مقاليد الأمة التي يقومون على رعاية مصالحها وشئونها وإرشادها وتوجيهها. وقد قال بعض الحكام إنهم الفقهاء والذين يستطيعون استنباط الأحكام، ولكن الأكثرين على أن ولاة الأمر هم الحكام وأهل الْحَلِّ والعَقْدِ" (2).

فطاعة ولي الأمر من طاعة الرسول ﷺ وطاعة الرسول من طاعة الله ﷻ ولا يجوز الخروج عليه بأي حال من الأحوال ما لم يرتد أو ينكر شيء معلوم من الدين بالضرورة.

الأمور الذي يجب على المسلم الالتزام بها تجاه ولاة الأمر:

أولا: طاعة ولي الأمر:

فطاعة أولي الأمر واجب شرعي على كل مؤمن ما لم يكن فيه معصية، وإن كان فيهم بعض الخلل أو عدم العدل، وإن ظهر منهم معصية، وإن حصل منهم تقصير، أو ظلم، ولا يجوز محاربتهم ولا قتالهم ما داموا على على الطاعة، ويقيمون الصلاة ويؤدون ما عليهم من واجبات، فالنبي ﷺ قال: **(خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قالوا:**

(1) انظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (ج550/4).

(2) انظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير (ج1727/4).

قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة)[1].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاة على الناس، من الأمراء، والحكام، والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس، أمر دينهم ودنياهم، إلا بطاعتهم والانقياد لهم؛ طاعة لله؛ ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"[2].

عن أبي هريرةَ ﷺ أنه قال: قال رسول ﷺ: **(عليْكم السمع عليك السمع والطاعة في عُسرِك ويُسرِك ومنْشَطِك ومكْرَهِك وأثرة عليك)**[3].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "لو أن ولاة الأمور سكنوا القصور الفخمة، ركبوا السيارات المريحة، ولبسوا أحسن الثياب، وتزوجوا وصار عندهم الإماء، وتنعموا في الدنيا أكبر تنعم، والناس سواهم في بؤس وشقاء وجوع، فعليهم السمع والطاعة؛ لأننا لنا شيء والولاة لهم شيء آخر، فنحن علينا السمع والطاعة، وعلى الولاة النصح لنا، وأن يسيروا بنا على هدي رسول الله ﷺ، لكن لا نقول إذا استأثروا علينا وكانت لهم القصور الفخمة، والسيارات المريحة، والثياب الجميلة، وما أشبه ذلك، لا نقول: والله لا يمكن أن نسمع وهم في قصورهم وسياراتهم ونحن في بؤس وحاجة، والواحد منا لا يجد السكن وما أشبه ذلك. هذا حرامٌ علينا، يجب أن نسمع ونطيع حتى في حال الأثرة."[4].

"وقال علي بن أبي طالب ﷺ: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة فإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا ويطيعوا، فعن أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجرا وإن قال بغيره فإن عليه منه)**"[5]،[6].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، كتاب الامارة/ باب خيار الأئمة وشرارهم، ص899: رقم الحديث 1855].

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج183/1).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الأمارة/ وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ص891: رقم الحديث 1836].

(4) العثيمين، شرح رياض الصالحين (ج657/3).

(5) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، ص: رقم الحديث 2957]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ص891: رقم الحديث 1835].

(6) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج240/2).

ثانيا: التحذير من خطر الخروج على الحاكم:

المسلم يجب عليه أن يعتقد أن له إماماً، وأن له أميراً يدِين الله له بالطاعة في غير معصية الله؛ فإنه من مات وليس له إمام، فإنه يموت ميتة جاهلية والعياذ بالله. وقال رسول الله ﷺ: **(من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)**[1] .

وكان السلف الصالح لا يخرجون على حكامهم، ولو كانوا على مذهب مخالف لسنة النبي ﷺ. ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظاً له وتخويفاً أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة فإنه يجب ويحرم بغير ذلك ذكره القاضي وغيره والمراد ولم يخف منه بالتخويف والتحذير وإلا سقط وكان حكم ذلك كغيره.

"قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك وقال عليكم بالإنكار بقلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر وقال ليس هذا صواب، هذا خلاف الآثار"[2].

وقال الطحاوي في عقيدته: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم؛ فإن طاعتهم من طاعة الله عز وجل، فريضة ما لم نؤمر بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة"[3].

ثالثا: أداء الواجبات والدعاء لهم بالصلاح:

أمر بأداء الواجبات نحوهم، وإن ظلموا، ومنعوا الناس حقوقهم، فليست طاعة الأمير مقصورة على العادل منهم فحسب، بل حتى ولو كان فيه شيء من الجور، والظلم وبخس شيء من الحقوق؛ فتجب طاعته في غير معصية الله ﷻ، ودلَّ الشرع على طاعة هذا الصنف من الأمراء؛ لما فيها من المصلحة للمسلمين، فجوره، وظلمه، وفسقه على نفسه سيحاسب

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الأمارة/ لزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ص896: رقم الحديث 1851].

(2) الصالحي، الآداب الشرعية والمنح المرعية (ج175/1).

(3) البراك، شرح العقيدة الطحاوية (ص268).

عليه، والأمة مسئولة عن واجبها نحوه، ومن ذلك الواجب الطاعة له، السمع والطاعة هي للأمير الفاجر؛ كما هي للأمير التقي.

وقال ﷺ: **(ستكون أثرة وأمور تنكرونها** قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: **تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم)**[1].

قال النووي: "وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً؛ فيُعطى حقه من الطاعة، ولا يخرج عليه، ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه، ودفع شره وإصلاحه" [2].

رابعا: النهي عن سب الحكام:

لا يجوز سب ولاة الأمر، وشتمهم، والتشهير بهم؛ فإن هذا خلاف النصوص، وما كان عليه السلف الصالح فَصحَّ عن أنس قال: «نهانا كبراؤنا مِن أصحاب محمد قالوا: قال رسول الله ﷺ: **(لا تَسبُّوا أُمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب)**[3].

خامسا: طاعتهم وإن اعتدوا على البدن والمال:

فطاعة الأمير هي واجبة على المسلمين، وإن اعتدى على البدن والمال وظلم وجار عليهم ما دام في الإسلام ولم يخرج منه؛ لأن هناك من بعض الحكام من لا يسير على هدي الحبيب محمد ﷺ ولا يتصف بأخلاقه ولا يراعي حقوق المسلمين، وقد أخبر ﷺ أنه يكون في آخر الزمان ولاة لا يهتدون بهديه، ولا يستْنّون بسنته، قال حذيفة بن اليمان ﷺ: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «**نعم**»، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «**نعم**»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «**نعم**»، قلت: كيف؟ قال: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ **قال**: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع)**[4] .

ونجد أن هناك عدد من المسلمين خرجوا على الولاة والحكام، بسبب هوى شخصي أو عدم وعي في فهم معايير الإسلام، وتكييف الأحكام الشرعية حسب أهوائهم الشخصية،

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الأمارة/ لزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ص894: رقم الحديث 1843].

(2) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (ج232/12).

(3) [الشيباني، السنة، ج488/2: رقم الحديث 1015]. إسناده جيد ورجاله ثقات.

(4) [مسلم: صحيح مسلم، الأمارة/ الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم، ص895: رقم الحديث 1845].

ونزواتهم المادية في الحياة الدنيا ولم ينظروا إلى عظم الجرم الذي يفعلونه في الخروج على الإمام خصوصا إن كان صالحاً؛ كما حدث في خروج بعض المسلمين على عثمان وعلي رضي الله عنهما، وما حدث بسبب هذا الخروج من فتنة أدت إلى اقتتال المؤمنين مع بعضهم البعض وزهق مئات الأرواح.

وكما يحدث اليوم مع بعض الفرق الضالة، والتي تعتبر نفسها على الحق وتقوم بتكفير المسلمين، وقتل كل من لا يتبع لهم، ويعترونه كافراً أو مرتداً حلال الدم لأنه عمل أعمالاً وتصرف تصرفات من وجهة نظرهم أنه حرام ولا يجوز فعلها من قبل المسلمين، كقضية الحكم وذلك أن الحكام لا يحكمون بما أنزل الله ﷻ، والتحدث عن الديمقراطية وغير ذلك من الأمور.

الخلاصة في التعامل مح الحاكم المسلم الذي يلي أمور المسلمين:

1. لا يجوز الخروج على الحاكم أو الوالي المسلم وإن كان ظالماً.
2. السمع والطاعة له ما لم يأمر بمعصية وإن كان عنده أثرة.
3. أداء الواجبات والحقوق له من غير تردد وفي طاعة الله ﷻ.
4. ارشاده للخير والصلاح إن ابتعد عنه وتوجيهه إلى الصواب بالنصح والإرشاد.
5. عدم محاربته والصبر على أذاه وعدم الدعاء عليه والدعاء له بالهداية.
6. عدم خلع خلافته ونقضها والاستمرار تحت إمرته.

ونقول أنّ من صبر على ظلم الولاة وتعدِّيهم؛ فإن جزاءه عند الله أن يسقيه من حوض نبيه ﷺ؛ وهذا الحوض يكون في يوم القيامة في مكان وزمان أحوج ما يكون الناس إليه؛ لأن الناس في ذلك اليوم يحصل لهم من الهم، والغم، والعرق، وشدة الحر ما يجعلهم في أشد الضرورة إليه؛ فالصبر على ظلم الولاة من أسباب الورود على الحوض والشرب منه. نسأل الله من فضله.

المطلب الثالث

ارتكاب المعاصي والآثام

المعاصي والآثام من الأمور التي نبذها الله ﷻ وحذر الاقتراب منها فهي مغضبة لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؛ ولأن المعاصي تشمأز منها النفس البشرية الصالحة، والتي تعف عنها، وأن تعملها لأن أفعالها مغضب لله ﷻ.

فالله ﷻ بشر من يعمل الصالحات بأن له الجنة والجزاء العظيم، وأن الطاعة والخير طريق للجنة ورؤية الله ﷻ، وأيضاً سعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق يقول الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس:26]،" للذين وحدوا الله وأطاعوه في الدنيا، لهم الجنة في الآخرة الحسنى: أي الجنة، وزيادة" (1)، أي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة لأنهم عملوا الحسنات فلذلك لا يصابون بالذلة يوم القيامة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون فإن هؤلاء هم السعداء.

أما الذين يعملون المعاصي فوجوههم مسودة في الدنيا من أثرها ويوم القيامة تكون خزي وعار لهم، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧﴾ [يونس:27]

من أكبر صفات أهل النار أنهم عياذًا بالله ﷻ يقترفون السيئات والمعاصي فتبدو وجوههم يوم القيامة قطعًا من الليل مظلماً من سوادها وظلمتها كأنها قطع من الليل مظلم يجعلها الله ﷻ كذلك آية ليعرف الفائز من الخاسر، ويكونوا يوم القيامة من التعساء.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادا في الوجه، وظلمة في القبر والقلب، ووهناً في البدن، ونقصا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق"(2). إن للحسنة ضياءاً في الوجه ونوراً في القلب يتنور القلب بالحسنة ويبدو ذلك في الوجه، فيتقوى القلب بالطاعة، وقوة في البدن وسعة في الرزق.

---

(1) الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (ج326/2).

(2) الحوالي، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (ج421/1).

وإن للمعاصي والذنوب أصولاً ذكرها الله ﷻ.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "إن أصول المعاصي كلها صغارها وكبارها ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية والقوة الشهوانية وهي الشرك والظلم والفواحش، ثم يفصل فيقول: فغاية التعلق بغير الله الشرك وأن يدعي مع الله إله آخر، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا، ولذلك جمع الله سبحانه وتعالى بين هذه الثلاثة فقال في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان:68] ، فذكر الله تعالى نتيجة التعلق بغير الله ألا وهو الشرك، وذكر الله نتيجة طاعة القوة الغضبية، ألا وهو القتل، وذكر الله عز وجل غاية طاعة القوة الشهوانية ألا وهو الزنا، وكثير من الناس قد يغفل عن أصول هذه المعاصي وأن لها فروعاً فما يعود يحس بهذه الذنوب بل كثير من الناس قد يغفل حتى عن أصول هذه المعاصي، عن تعلق القلب بغير الله عن القتل عن الزنا فيقع فيها فلا يشعر بشيء من ذلك البتة تلك القلوب التي غطاها الران فما باتت تحس بشيء ومات عندها الشعور فأصبحت لا تشعر بألم الذنب الذي هو والله أشد من ألم الجروح وذلك عند المؤمنين الطائعين"[1].

من أسباب ارتكاب المعاصي:

أولا: إتباع الهوى:

من أعظم ما يوقع العبد في المعاصي والآثام إتباع الهوى، وقد عرفه الراغب بقوله: هو ميل النفس إلى الشهوة [2].

وقد وردت آيات كثيرة في التحذير من إتباع الهوى منها: قوله ﷻ:﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:28]. وقوله ﷻ:﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان:43]. وقوله ﷻ:﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:50]، والآيات في هذا الباب كثيرة جداً فعلى المرء أن يقف عندها ويتدبرها حتى يعلم خطورة إتباع الهوى وما يؤدي إليه من الهلاك والزيغ والضلال، وابعاد الإنسان عن تقوى الله والانزلاق في مستنقع الضلالة والفساد.

---

(1) انظر: ابن القيم الفوائد (ص81).

(2) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن (ص548).

يقول ابن الجوزي رحمه الله: "اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبه، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كان سبباً للألم والأذى في العاجل ومنع لذاتٍ في الأجل. فأما العاقل فإنه ينهي نفسه عن لذة تعقب ألماً، وشهوة تورث ندماً، وكفى بهذا القدر مدحاً للعقل وذماً للهوى"[1].

ثانياً: الجهل:

وهو كما قال ابن منظور: نقض العلم، والجهل: ضد الخِبره، يقال: هو يجهل ذلك أي لا يعرفه[2].

فالجهل من الصفات الذميمة، ومن أعظم ما يوقع العبد في ارتكاب المعاصي هو الجهل بالله ﷻ وما يجب له من الطاعة، فالذي يعصي الله ﷻ فهو جاهل كما قال ﷻ: **﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ﴾**[النساء:17]. **أقوال بعض المفسرين في هذه الآية.**

قال الزجاج: "يعني قوله **(بجهالة) (اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية)**" [3].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "بجهالة: أي جهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه، لنظر الله ومراقبته، وجهل منه بما تئول إليه من نقص الإيمان أو إنعدامه" [4].

فالجهل يوقع صاحبه في كثير من المصائب الدينية والدنيوية، فهو قد لا يعرف الحلال من الحرام، والخطأ من الصواب، ولا يعلم كثيراً من أمور دينه ودنياه في الطريق الصحيح، والخطى السديدة والمنهج القويم، مما يجعله يذهب إلى الضلال وفعل المنكرات والآثام.

قال ابن القيم: (وقوع الذنب من العبد محفوف بجهلين: جهل بحقيقة الأسباب الصارفة عنه، وجهل بحقيقة المفسدة المرتبة عليه، وكل واحد من الجهلين تحته جهالات كثيرة فما عصى الله إلا بالجهل وما أطيع الا بالعلم، وبهذا فسر قوله تعالى:**﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾** [النساء:17]. فينبغي الحذر من الجهل وما يؤدى إليه من الوقوع في المهالك[5].

---

(1) الجوزي، ذم الهوى (ج12/1).

(2) انظر: ابن منظور، لسان العرب (ج130/11).

(3) الزجاج، معاني القرآن (ج29/2).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج171/1).

(5) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج90/1).

ثالثاً: الشيطان:

لا يخفى على كل مسلم خطورة الشيطان وحرصه الشديد على إغواء بني آدم. منذ أن أُمر بالسجود لأبينا آدم عليه السلام، فانبجس الحقد والكبر من أغوار نفسه واعترض على أمر ربه، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف:12].

وازداد الشيطان حقداً وعتواً بعد طرده من الجنة، وأعلن عن خطته في إضلال بني آدم وإفسادهم ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر:40-39]. ومنذ ذلك الوقت والشيطان عليه لعنة الله لا يجد فرصة ووسيلة وحيلة لإضلال الناس إلا فعلها في محاولته لاغواء واضلال بني آدم، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ أن الشيطان ملازم الإنسان طوال حياته، وهو قريب جدا منه، فقال ﷺ: **(إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)** [1].

وهناك مداخل للشيطان كثيرة منها ويحرص المسلم أن يتجنبها:

1. **الغضب والشهوة:** فإذا غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكره.
2. **الحرص:** مهما كان العبد حريصاً على كل شيء أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيُحَسِّن عند الحريص كل ما يوصل إلى شهوته وإن كان منكراً وفاحشاً.
3. **الشبع من الطعام:** وإن كان حلالاً صافياً فإن الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان.
4. **العجلة وترك التثبت في الأمور:** فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري.
5. **البخل وخوف الفقر:** فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز.

رابعاً: الغفلة:

الغفلة عن الله ﷻ والدار الآخرة توقع في الذنوب وتفسد القلوب، وتجلب الوساوس والشرور وتُبعِد عن علام الغيوب؛ فالقلب الغافل قلب معطل عن وظيفته، معطل عن الالتقاط والتأثر والاستجابة تمر به دلائل الإيمان والهدى أو يمر بها دون أن يحسها أو يدركها.

والإنسان كلما غفل قلبه عن ذكر الله ﷻ وجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه ويصبح له قرين سوء يوسوس له ويزين له السوء قال ﷻ: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ [الزخرف:36].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ صفة إبليس، ص444: رقم الحديث 3281].

خامساً: الفراغ:

الفراغ نعمة عظيمة لمن يستفيد منه أما الذي يضعه في المحرمات فإنه يكون وبالاً عليه يوم القيامة. ولذلك هذا الفراغ كثير من الناس لا يُحِسنُ استغلاله فيما يعود عليه بالنفع كما قال ﷺ: **(نعمتان مغبون([1]) فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)** [2].

قال ابن بطال: معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على ألا يغبن بأن يترك شكر الله على ما انعم به عليه ومن شُكرِه امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون، وأشار بقوله {**كَثِيرٌ مِنَ النَّاسْ**} إلى أن الذي يُوفَق في ذلك قليل" [3].

فالمسلم يحرص أن يستغل وقت الفراغ بالعبادة، والذكر، والأعمال الصالحة، التي تقوي إيمانه، وتشحن عزيمته، وتذكره بالله ﷻ في كل وقت، وتبعد عنه همزات الشيطان ونفخه ونفثه حتى لا يوقعه في المعصية.

سادساً: طول الأمل:

أن مما يجعل المسلم يقع في المعاصي وينسى الحساب والجزاء المنتظر في يوم البعث، هو طول الأمل ونسيان الموت وسكرته والقبر وضمته والصراط وظلمته يقول الله ﷻ: **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦﴾** [الحديد:16].

قال السعدي رحمه الله: "ولا تكونوا كالذين أنزل عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب وانقياد التام ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة" [4].

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: أخذ رسول الله ﷺ: بمنكبيَّ، فقال **(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)**[5].

---

(1) (مغبون) من الغبن وهو النقص وقيل الغبن وهو ضعف الرأي. (الصحة) في الأبدان. (الفراغ) عدم ما يشغله من الأمور الدنيوية؛ صحيح البخاري تعليق مصطفى البغا.

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الرقائق/ ما جاء في الرقائق، ص: رقم الحديث 6412].

(3) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج230/11).

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ج840/1).

(5) [البخاري، صحيح البخاري، الرقائق/ مثل الدنيا، ص890: رقم الحديث 6414].

سبل الوقاية من المعاصي:

أولا: مراقبة الله تعالى: مراقبة الله ﷻ وأن الله مطلع علينا وناظر إلينا وسامع لنا ورقيب لنا وتعذيب النفس وتطويعها لهذا الأمر.

ثانيا: محاسبة النفس: من الأمور المهمة التي تعين على ترك المعاصي والذنوب، محاسبة النفس في كل وقت وحين وأن يتفقد أعماله التي عملها كل يوم.

ثالثاً: ذكر الله ﷻ: من الأمور المهمة التي ينبغي العناية بها هو الإكثار من ذكر الله ﷻ الذي به حياة القلوب وسعادتها واطمئنانها. قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:28]. وعن أبي الدرداء ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ فقالوا: بلى يا رسول الله: قال ذكر الله)**(1).

رابعاً: إقامة الصلاة: لا يخفى على أحد قدر الصلاة، وعظم أمرها، فهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عماد الدين وتركها كفر وتضييعها خسران وندامة يوم القيامة؛ وفوائد الصلاة والمحافظة عليها أكثر من أن تحصى ويهمنا في هذا المقام أن نقف مع فائدة عظيمة من فوائد إقامة الصلاة وهي أنها تنهى عن ارتكاب المعاصي والفواحش قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:45].

خامساً: الإخلاص لله ﷻ: والإخلاص إفراد الحق لله ﷻ في الطاعات بالقصد وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله ﷻ دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محبة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله ﷻ، وبالاخلاص يصل الانسان للتقوى والعمل النقي الذي يطهر قلبه من الشوائب والأضغان ووسوسة الشيطان ويجعله قريبا من الله ﷻ وبعيدا عن الشيطان. قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف:201].

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات/ منه، ص766: رقم الحديث 3377]. صححه الألباني.

المطلب الرابع
الدعوة إلى إفساد المرأة

تعتبر المرأة ركن أصيل في الحياة البشرية، فهي مكملة لحياة الرجل في شؤون الحياة الدنيا، فهي الأم والأخت والزوجة والبنت، فلا يستطيع الرجل الاستغناء عنها، والعيش بدونها، كانت المرأة في الجاهلية عندهم لا وزن لها ولا كيان ولا حقوق، كانوا يشكّون بإنسانيتها ويرون أنها غير جديرة بتلقي الدين، ودخول الجنة مع المؤمنين الصادقين، ولا يحترمونها الاحترام الحقيقي اللائق بكرامتها، ولا يعترفون بأهليتها، فلم تكن إلا ضمن الأشياء التابعة للرجل، وتحت وصايته بحكم أنوثتها، ومن ثم أُهدرت شخصيتها، فهي مأمورة لا آمرة، بل عرضةً للبيع والشراء، يتحكم بها الرجل المتميز عليها في الوجود كما في معتقداتهم، فيأمر بقتلها أو وأدها وهي على قيد الحياة لأنه يعتبرها معرة وخزي له؛ ولقد جاء الإسلام لينتقل بوضع المرأة من الحضيض إلى الأعلى، فقفز بها من العدم إلى الوجود، ومن الشك في إنسانيتها إلى كامل إنسانيتها، ومن منتهى المهانة إلى أعلى الكرامة، ومن فقدان الأهلية إلى كامل الأهلية.

"وجاء التشريع الإسلامي ليصون المرأة عن عبث الشهوات، وفتنة الاستمتاع بها استمتاعاً جنسياً حيوانياً، ويجعلها عنصراً فعالاً في المجتمع الذي تعيش فيه، فقرر لها حقوقها المشروعة والثابتة، وأعطاها ما تستحق من غير استغلال لأنوثتها، ولا تملق لها، وأثبت لها كل ما يحقق به كرامتها الإنسانية الحقيقية". [1]

ومن عظيم تكريم المرأة في الإسلام أن الله ﷻ جعل سورة باسمها، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:1].

"في هذه الآية تنبيه واضح على وجود الإله الخالق الصانع المدبر المتقن، وعلى افتتاح الوجود الإنساني بخلق العالم في الأصل من نفس واحدة هي آدم عليه السلام أبو البشر الذي خلقه الله وسوّاه بيديه وقدرته من طين، ونفخ فيه من روحه، فكان إنسانا كامل الخلقة والتكوين. ثم خلق الله تعالى حواء من جنس آدم في الطبيعة والتركيب، والبنية والغريزة، والأخلاق

(1) السباعي، المرأة بين الفقه والقانون (ص25–30).

والصفات المتشابهة. ومن أجل الحفاظ على الوحدة الإنسانية بين جميع البشر، أمر الله تعالى وأوصى عباده أن يتعاونوا ويتضامنوا ويتراحموا، فهم متجاورون في العيش"[1].

فبينت الأية إنسانية المرأة وحقوقها والحفاظ عليها وعدم الاساءة إليها وتسوية حقوقها مقارنة بالرجل إنصافها، وقد خلقها الله ﷻ من نفس آدم ليعطيها الحب والاخاء والرحمة من قبل الرجل الذي هي أصلا جزء منه منذ بدء الخليقة.

وبلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن خصص لها سورة من القرآن سماها (سورة النساء) ولم يخصص للرجال سورة لهم، فدل ذلك على اهتمام الإسلام بالمرأة، ولا سيما الأم، فقد أوصى الله ﷻ بها بعد عبادته فقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء:23]. وقد حملها الرسول ﷺ أمانة تربية الأولاد فقال مكرماً لها فقال ﷺ: **(والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها)** [2].

أساليب إفساد المرأة من أهل الضلال والانحلال:

أولا: المساواة مع الرجل: فهم يدعون لمساواتها بالرجل في شئون الحياة وأدائها حقوقها، وقد حرص الاسلام على ذلك وقد أعطى المرأة حقها.

1. **المجال الإنساني:** فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل وهذا ما كان محل شك أو إنكار عند أكثر الأمم المتمدنة سابقاً.
2. **المجال الاجتماعي:** فقد فتح أمامها مجال التعلم وأسبغ عليها مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها منذ طفولتها حتى نهاية حياتها، بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر؛ من طفلة الى زوجة، الى أم، حيث تكون في سن الشيخوخة التي تحتاج معها الى مزيد من الحب والحنو والاكرام.
3. **المجال الحقوقي:** فقد أعطاها الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين تبلغ سن الرشد، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب أو زوج أو رب أسرة [3].

ثانيا: المناداة بتحرير المرأة: ويقصدون من هذا الأمر سلخ امرأة من عفتها وحجابها، وتنزل من بيتها سافرة عارية، يقضي أهل الشهوات والنزوات حاجتهم في الاستمتاع بها وحرفها عن

---

(1) الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي(ج279/1).

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/ المرأة راعية في بيت زوجها، ص744: رقم الحديث 5200]؛ [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن ادخال المشقة عليهم، ص886: رقم الحديث 1829].

(3) السباعي، المرأة بين الفقه والقانون (ج27/1).

بوصلتها ورسالتها العظيمة وواجبها الشرعي كأم وزوجة وبنت، وتندثر في عالم الشهوات والانحلال، فتخلع الحجاب وتختلط بالرجال، وتفتح المؤسسات والجمعيات لشغلها عن الاهتمام ببيتها وعبادتها وعفتها.

والاسلام قد حذر من هذا الأمر وتحدثت آيات كثيرة عن عفة المرأة وواجباتها تجاه نفسها وبيتها فقال ﷻ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:59]. وتحدث القرآن عن غطاء الرأس للمرأة، فقال بصيغة الأمر ﷻ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ﴾ [النور:31]. وقد نهى عن التبرج بشتى صوره، فقال ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ [الأحزاب:33]. إن نساء الجاهلية كن يلبسن غطاء الرأس ويضربنه على ظهورهن فتظهر أعناقهن، ونحورهن، وآذانهن بالحلي والأقراط، فنهى الله تعالى عن ذلك وأمر المؤمنات بسترها.

ثالثا: تغيير مسؤولية المرأة المسلمة من البيت للخارج:

لقد كرم الإسلام المرأة، وألزمها بعمل عظيم في بيتها، وهو تربية أولادها التربية الصالحة، فمن يدري؟ فلعل هذا الطفل الذي تربيه يكون له مستقبل عظيم، فقد يكون رئيس دولة، أو قائد جيش، أو أي عمل كبير يتوقف عليه صلاح المجتمع بأكمله.

وصدق الشاعر أحمد شوقي حين قال:

الأُم مدرسة إذا أعددتها　　　　أعددت شعباً طيّب الأعراق

فعمل المرأة في بيتها مهم جداً إذا قامت بتربية أولادها التربية الصالحة وهو عمل فطري عند المرأة تميل إليه، وتحب القيام به، وتقوم بتدبير المنزل، فالمرأة هي سيدة بيتها، فهي مسؤولة عنه، تسعى لتحسينه، وتهيئة جميع الوسائل لجعله مأوى يأوي إليه الزوج فينسى أتعابه، وقد قدم لزوجته ما يحتاج إليه البيت من نفقات متعددة، وأراحها من عناء طلب الرزق الذي لا تستطيعه المرأة. قال ﷺ: **(والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها)** [(1)].

وكما قيل أن المرأة هي نصف العالم وتلد النصف الآخر.

رابعا: الفن والاباحية: فقد استغلوا ضعف المرأة وأنوثتها وسذاجتها، لإخراجها من عفتها إلى السفور والانحلال باسم الفن، حيث التعري والسفور والاختلاط وممارسلة الرذيلة من خلال

(1) [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/ المرأة راعية في بيت زوجها، ص744: رقم الحديث 5200]..

التمثيل والغناء والرقص الذي جملوه من السفور إلى الفن، وأصبحت المرأة سلعة تباع وتشترى في أسواق النخاسة من الفن الرذيل والهابط.

خامسا: الاختلاط: وهو اختلاط النساء بالرجال والفتيات بالشباب والبنات بالأولاد، تحت بند التوافق والتعارف، فبدأ الاختلاط من مدارس الابتدائية حتى الجامعات واحتكاك الذكور بالإناث فيها والاختلاط في أماكن العمل والأسواق والأماكن العامة، حتى صار التعارف ونسج العلاقات بين الذكور والإناث أدى في كثير من الأحيان إلى نتائج سيئة.

وقد حذرنا الإسلام من الاختلاط والسفور فقال ﷻ: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾** [الأحزاب:33]، وقال النبي ﷺ:**(مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع)** (1).

قال تقي الدين السبكي رحمه الله: "التفريق في المضاجع يصدق بطريقين.أحدهما: أن يكون لكل منهما فراش، والثاني: أن يكونا في فراش، ولكن متفرقين غير متلاصقين، والثاني أعم من الأول فينبغي الأكتفاء به لأنه لا دليل على حمل الحديث على الأول وحده" (2).

سادسا: العمل والزينة واللباس:

لقد تفنن أعداء الإسلام في إفساد المرأة المسلمة بوسائل وأساليب عديدة لا يمكن حصرها، وجميعها مخططة ومدروسة لإفساد المرأة المسلمة وسلخها من دينها وأخلاقها وعفتها، فكانت الأزياء والموديلات المكشوفة إحدى هذه الوسائل الفتاكة، إنهم يعلمون جيداً ميول المرأة إلى اقتناء الفساتين المكشوفة، والكوفيرات، وأدوات الزينة المتنوعة، لفتنة الرجال في المعامل والمصانع والمتاجر التي دخلتها المرأة باسم العمل والتقدم والرقي والحضارة الزائفة.

فالمرأة حينما تذهب إلى وظيفتها، فلا بد لها حسب العادة من أنواع الألبسة الجذابة، والموديلات المتعددة، والتسريحات المختلفة، وغيرها من أنواع الزينة التي تتغير وتتبدل، وهذا ما يدفعها لصرف مرتبها الشهري لتظهر بمظهر أنيق وجذاب، علماً بأن أكثر الملابس وأنواع الزينة مستوردة من البلاد الأجنبية الموالية للصهيونية لتمدها بالمال للقضاء على المسلمين، فوقع المسلمون في الخسارة المادية، والخسارة الأخلاقية، والتشبه بالكفرة، وصدق

---

(1) [أحمد: مسند الإمام أحمد، حديث أبو بكرة ج369/11: رقم الحديث 6756]. إسناده حسن.

(2) السبكي الكبير: قضاء الأدب في مسائل حلب (ص248).

فيهم قول الرسول ﷺ: **(لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»)**[1].

وقوله ﷺ: **(ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء)** [2]،[3].

وقال رسول الله ﷺ: **(صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)** [4].

فالنبي ﷺ يصف حال الأمة اليوم من الضياع والانحلال التي أصابها بسبب تكالب الأمم على أمة محمد ﷺ، والكيد لها ولنسائها لأنهم يعلمون أن المرأة الصالحة هي التي تربي الرجال لميادين الحرب والمحاريب ومقارعة أعداء الله ﷻ فأرادوا أن يفسدوها حتى يهدموا الإسلام عن طريق هدم المرأة المسلمة.

والإسلام حافظ على المرأة وحفظ لها كيانها وإنسانيتها في جمع مجالات الحياة ومنهما:

1. حفظ لها دينها وأخلاقها وحث عليهما وأمرها بالحفاظ عليهما.
2. حافظ على عفتها بأمرها في كمال الزينة وعدم التعري والسفور.
3. حافظ على حقوقها في الميراث، وحافظ لها على مالها وجعل التكاليف على الرجل.
4. وضع ضوابط لعمل المرأة فيما لا يؤثر على أساسيات المجتمع.
5. أكرمها بأن جعلها هي التي تربي المجتمع فتكون أما تحترم وتطاع.
6. ساواها مع الرجل في قيادة البيت مع أن تكون القوامة للرجل.
7. أنصفها في حقوقها في الزواج والطلاق، فالزواج لا يكون إلا بولي والطلاق بعد ثلاث طلقات ولم يتركها معلقة مع ضمان حقوقها من المهر وغيره.

---

(1) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام/ قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من قبلكم، ص1006: رقم الحديث 7320]. [مسلم: صحيح مسلم، العلم/ اتباع سنن اليهود والنصارى، ص1230: رقم الحديث 2669].

(2) متفق عليه: [البخاري: صحيح البخاري، النكاح/ ما يتقى به شؤم المرأة، ص729: رقم الحديث 5096]. [مسلم: صحيح مسلم، الرقائق/ أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، ص1256: رقم الحديث 2740].

(3) انظر: زينو؛ تكريم المرأة في الإسلام (ص38).

(4) [مسلم: صحيح مسلم، اللباس والزينة/النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، ص1021: رقم الحديث 2128].

الخاتمة

فإنه ومن خلال دراسة العلو والفساد في العقيدة الاسلامية خلص الباحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي:

أولاً: النتائج:

1. أن الإيمان بالله ﷻ هو الذي ينجي الإنسان من عقوبة الله ﷻ، ويشرح صدره للخير كله، ويبعده عن الشر كله، مع صدق وإخلاص نية العبد.
2. أهمية العقيدة الاسلامية عند المسلمين وبيان أهميتها ومنزلتها، والاعتناء بها قولاً وعملاً وتطبيقاً لمفاهيمها.
3. رسوخ العقيدة في نفس المؤمن، يريحه ويعينه على أداء العبادة على حقها، لأنه إذا علم لزم، ويكون من الخاشعين العابدين العارفين حق الله ﷻ قال ﷻ: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾** [فاطر:29].
4. العلو هو لله ﷻ الواحد القهار، صاحب الملك والجبروت، حيث أنه عالي على الكون بأكمله وكل في قبضته قال ﷻ: **﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾** [الأعلى:1].
5. العلو والاستعلاء والكبرياء والعظمة هن صفات لله ﷻ ولا يحق لأحد أن ينازعه فيهم.
6. العلو المحمود يتصف به الأنبياء حيث اصطفاهم الله ﷻ، على البشر، ويتصفون بالعلو في أخلاقهم ودعوتهم وتسامحهم وصبرهم على الدعوة لله ﷻ.
7. العلو المحمود يكون في المؤمنين؛ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه في جميع أقوالهم وأفعالهم التي هي فيها الخير المحض وعلوهم يكون بإيمانهم وصدقهم مع الله ﷻ.
8. العلو المحمود يكون عز للمؤمن في الدنيا والاخرة، ففي الدنيا تكون عزته وعلوه بإيمانه، وفي الآخرة الفوز بالجنة والمراتب العلى، ويكون علوه على أهل النار في جنانه التي أكرمه الله ﷻ بها.
9. العلو المحمود والفساد لا يلتقيان، فمن أخلص النية والعمل وخشي الله ﷻ حق الخشية لا يمكن أن يربط حياته بالفساد والضلال.
10. العلو المذموم لا ينفع صاحبه في الدنيا وإن طال، ولا في الآخرة، ففي الدنيا الهلاك والدمار وفي الآخرة الخسران المبين، خسران الجنة والدخول إلى النار.
11. من علا واستعلى فقد تحدى الله ﷻ، ونازعه في صفاته التي لا ينازعه فيها أحد، ولذلك حق على الله ﷻ أن يهلكه.

12. أن كل ظالم تحدى الله ﷻ وعصاه وافترى عليه الكذب أن تكون نهايته عبرة لمن يعتبر.
13. أن الله ﷻ يرفع درجات من يشاء ويعزه في الدنيا والآخرة، ويخفض درجات من يشاء ويذله في الدنيا والآخرة.
14. أن الملك والسلطان لله ﷻ يؤتيه من يشاء من عباده ويمنع من يشاء.
15. التواضع لله ﷻ يرفع درجات المتواضع، والكبر والغرور يسخط الله ﷻ صاحبهما.
16. العلو والاستعلاء المذمومان يلازمهما الفساد ولا ينفك عنهما، لأن من شعر في نفسه هذه الصفات افترى وظلم الناس.
17. أن إبليس هو جزء من الفساد والإفساد في حياة الناس، وهو الذي يضل الناس وهو الذي يجعلهم يدعون الإلهية ويتعالون على الله ﷻ، وتأثيره يكون قوياً على من ابتعد عن دين الله ﷻ الالتزام به.
18. أن السحر مفسدة وضلال وتغيير الحق إلى باطل والباطل إلى حق ومن اتبعه ذهب به إلى الهاوية والضلال المبين.
19. أن الآخرة هي حق والإيمان بالغيبيات حق وواجب على كل مؤمن موحد بالله ﷻ ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأركان الإيمان كامل ولا يشكك في أي ركن منها.
20. أن أصحاب الجاه والسلطان والسلطات العليا يكونون سبباً أكيداً في الفساد في المجتمع والدولة وذلك بسبب بعدهم عن الحق وعن جادة الصواب ولأنه هو صاحب القرار.
21. أن الفساد بكل أصنافه الدينية والأخلاقية والسياسية والأمنية والادارية، تكون سبباً واضحاً في فساد المواطن والمجتمع، من النواحي المالية والأخلاقية التي تجلب على المجتمع الويلات والانحلال.
22. الدعوة لإفساد المرأة تحت شعار حرية المرأة وحقوقها، والمقصود هو سفور المرأة وانحلالها وإبعادها عن مهمتها الأسمى وهي تربية الأجيال التي تقوم بنشر رسالة السماء إلى الأرض.
23. الفساد والمفسدون مهمتهم نشر المنكرات والمحرمات، حتى تستشري في المجتمع وتصبح عادات لا يمكن تركها، ولا الاستغناء عنها، ومن ثم يبدأ المسلم بالابتعاد عن دينه شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الفساد والضلال المبين.

ثانياً: التوصيات:

1. أوصي نفسي وأخواني بتقوى الله ﷻ وطاعته في السر والعلن حتى تكون لنا حافظا.
2. الاهتمام بدراسة العقيدة الإسلامية دراسة معمقة وواضحة والأخذ من أهل العلم.
3. ملازمة القرآن والسنة النبوية، وتدبر آياته، وفهم معانيه، وأخذ العبرة من قصصه، لتكون واعظاً للمسلم في حياته وتوجهه التوجه السليم.
4. عدم الاغترار بالطاعة والعبادة حتى لا تدخل الشيطان إلى النفس فتنتقل من جو الإيمان إلى جو العلو والكبر والعصيان.
5. ملازمة أهل العلم والتتلمذ على أيديهم في علم الشرع والدين وحتى تروض النفس على الطاعة الصحيحة وتبعد عنها وساوس الشيطان.
6. طاعة أولي الأمر والاستجابة لهم في كل ما يرضي الله ﷻ ورسوله ﷺ.
7. الابتعاد عن كل ما يضع في النفس الغرور والكبر، والتواضع للمؤمنين الموحدين الذين يرشدونك للخير.
8. الابتعاد عن كل قول وفعل في معصية الله ﷻ والتقرب من كل قول وفعل فيه طاعة لله ﷻ.

وأخيراً أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني بما ينفعني، وأن يزيدني علما.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري. (1405ه). *الموسوعة القرآنية*. (د.ط). (د.م): مؤسسة سجل العرب.

أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (1421هـ-2001م). *مسند الامام أحمد* تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط 1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الأشقر، الدكتور عمر سليمان الأشقر. (1410هـ-1989م). *الرسل والرسالات*. ط 4. الكويت: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. (1394هـ-1974م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. (د.ط). (د.م): مطبعة السعادة.

إسلامبولي، سامر اسلامبولي. (2011م). *مفهوم العصمة*: تاريخ الإطلاع: 5 مارس 2014. منتدى العقلاني:

http://arab-rationalists.net/forums/showthread.php?t=4720

اسلام ويب. (2003). *الكبرياء ردائي والعظمة إزاري*: تاريخ الاطلاع: 22نوفمبر 2014. موقع مقالات اسلام ويب:

http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=40088

البخاري، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري. (1427هـ-2006م). *صحيح البخاري* ترتيب: عبدالسلام علوش. ط 2. (د.م): مكتبة الرشيد.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري.(1421هـ-2000م). الأدب المفرد تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط 2. السعودية: مكتبة الصديق.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري. (1420 هـ- 1999). *تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري*. إعداد: دكتور/ محمد بن عبد الكريم بن عبيد. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك. (1429هـ-2008م). *شرح العقيدة الطحاوية*. إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس. ط2. (د.م): دار التدمرية.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي(1403هــ-1983م). محيي *السنة*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش. ط 2. دمشق: المكتب الإسلامي.

البغوي، الإمام أبي محمد الحسن بن مسعود البغوي. (1409هــ). *تفسير البغوي "معالم التنزيل"*. تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون. (د.ط). (د.م): طيبة للطباعة والنشر.

بهجت، أحمد بهجت. (1424هــ-2003م). *أنبياء الله*. ط29. القاهرة. دار الشروق.

الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى. *سنن الترمذي*. تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني. ط1. الرياض. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله. (د.ت) *موسوعة فقه القلوب*. (د.ط). (د.م): بيت الأفكار الدولية.

التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري. (1430هــ-2009م). *موسوعة الفقه الإسلامي*. ط1. (د.م): بيت الأفكار الدولية.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن تيمية. (1425 هــ - 200 م). *التدمرية*. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. ط 1. السعودية: طبعت في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1422هــ-2001م). *جامع الرسائل*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. الرياض: دار العطاء.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1406ه). *الصفدية*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط2. مصر: مكتبة ابن تيمية.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1425ه). *شرح العقيدة الأصفهانية*. تحقيق: محمد بن رياض الأحمد. ط1. بيروت: المكتبة.

ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية. 1422 هــ - 2001م). *التدمرية*. تحقيق: محمد بن عودة السعودي. ط6. السعودية: مطبعة العبيكان.

ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أبوالعباس أحمد ابن تيمية. (1420هـ–2000م). *النبوات*. تحقيق: الدكتور عبدالعزيز بن صالح الطويان. ط 1. الرياض: مطبعة أضواء السلف.

ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية. (1419هـ–1999م). *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*. تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وآخرون. ط 2. (د.م): دار العاصمة للنشر والتوزيع.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1422هـ). *جامع المسائل*. تحقيق: محمد عزير شمس. ط 1. (د.م): دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1403ه). *الاستقامة*. تحقيق: محمد رشاد سالم. ط1. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. (1418هـ). *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*. تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الحارث، أبو فريحان جمال بن فريحان الحارثي. (1429هـ). الفرق بين النبي والرسول. تاريخ الاطلاع:6 أكتوبر 2014. شبكة الآجري:

http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=5915

الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع. (1411ه–1990م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الحجازي، محمد محمود. (1413هـ). *التفسير الواضح*. ط10. بيروت: دار الجيل الجديد.

الحقيل، إبراهيم بن محمد الحقيل. (1427ه). *صور من العلو الصهيوني*. تاريخ الاطلاع: 25يناير2016. شبكة نور الإسلام:
http://www.islaamlight.com/index.php?option=content&task=view&id=2823

حلس، داوود درويش حلس. (2006). *دليل الباحث في تنظيم وتوضيح البحث العلمي في العلوم السلوكية*. ط1. غزة: (د.ن).

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي. (1410 هـ-1990م). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. تحقيق: عمر بن محمود. ط1. الدمام: دار ابن القيم.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي(1379ه). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس. (د.ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. (د.ط). بيروت: المكتبة العلمية.

الحوالي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي. (1420هـ /1999م). *ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي*. ط1. (د.م). دار الكلمة.

أبو حيان، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس. (1408هـ-1988م). *البصائر والذخائر* تحقيق: وداد القاضي. ط1. بيروت: دار صادر.

الجاسر، إيمان الجاسر، (2007م) *الفرق بين العلو والعزة*. تاريخ الاطلاع: 11ديسمبر2014. ملتقى أهل التفسير:
http://vb.tafsir.net/tafsir9334/#.V7liKolTLIU

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (1412هـ - 1992م). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (1422ه). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (د.ت). *ذم الهوى*. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. (د.ط) (د.م): (د.ن).

الجيوسي، عبد الله الجيوسي. (2005م). *الفساد مفهومه وأسبابه وأنواعه وسبل القضاء عليه* رؤية قرآنية، (د.ط). (د.م): مؤتة للبحوث والدراسات.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن. (1415ه). *لباب التأويل في معاني التنزيل*. تحقيق: محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

الخالدي، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي. (1995م). *حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية*. ط2. (د.م): منشورات فلسطين المسلمة.

الخراساني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (1403هـ-1982م). *سنن سعيد بن منصور* تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط1. الهند: الدار السلفية.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري. (د.ت). *صحيح ابن خزيمة* تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. بيروت: المكتب الإسلامي.

الخضيري، محمد بن عبد العزيز الخضيري. (د.ت) *دعوة إبراهيم عليه السلام في القرآن*. تاريخ الاطلاع: 15يوليو2015. موقع صيد الفوائد: http://www.saaid.net/bahoth/11.htm

الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب. (1383هـ-1964م). *أوضح التفاسير*. ط6. (د.م): المطبعة المصرية ومكتبتها.

الخلوتي، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء. (د.ت) *روح البيان*. (د.ط). (د.م): دار الفكر.

خياط، أسامة بن عبدالله خياط. (1423هـ). *العلو في الأرض*. تاريخ الاطلاع: 15فبراير2016. موقع ملتقى الخطباء: http://www.khutabaa.com/index.cfm?method=home.khdetails&khid=22

الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني. (1416هـ-1995م). *الرد على الجهمية*. تحقيق: بدر بن عبد الله البدر. ط2. الكويت: دار ابن الأثير.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي. (1412هـ -2000م). *مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)*. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. ط 1. المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع.

الدويش، محمد بن عبدالله الدويش. (1429هـ). *منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله*. تاريخ الإطلاع: 5 نوفمبر 2015. موقع الدويش:
http://www.almurabbi.com/DisplayItem.asp?ObjectID=46&MenuID=23&TempID=3&ChapID=0

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي. (1405هـ-1985م). *سير أعلام النبلاء*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط 3. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الذهبي، الحافظ شمس الدين الذهبي. (د.ت). *مختصر العلو للعلي الغفار*. تحقيق: ناصر الدين الألباني. ط 1. (د.م): حقوق الطبع المكتب الإسلامي.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. (1420هـ). *مفاتيح الغيب = التفسير الكبير. ط3. بيروت:* دار إحياء التراث العربي.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي. (1420هـ-1999م). *مختار الصحاح*. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية، صيدا: الدار النموذجية.

الرازي، محمد بن عمر علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي الطبرستانى (1401هـ - 1981م). *تفسير الفخر الرازي*. ط 1. (د.م): دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين -الرملي. (1404هـ/1984م). *نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج*. ط أخيرة. بيروت: دار الفكر.

الزَّبيدي، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي. (د.ن). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين. (د.ط). (د.م): دار الهداية.

الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي. (1422ه). *التفسير الوسيط للزحيلي*. ط1. دمشق: دار الفكر.

الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (1418 هـ-1998م). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. ط 1. (د.م): مكتبة العبيكان.

الزهراني، ناصر الزهراني. (د.ت). *قصة قارون*. تاريخ الاطلاع: 11أغسطس2015. المنبر:

http://www.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp?mediaURL=2899

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة. (د.ت). *زهرة التفاسير*. (د.ط). (د.م): دار الفكر العربي.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة. (1425هـ). *خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم*. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

زينو، محمد بن جميل زينو. (د.ت). *تكريم المرأة في الإسلام*. (د.ط). (د.م): المصدر- الكتيبات الإسلامية- دار القلم للطباعة.

دروزة، دروزة محمد عزت. (1383ه). *التفسير الحديث*. (د.ط). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

السايس، محمد علي السايس الأستاذ بالأزهر الشريف. (2002م). *تفسير آيات الأحكام*. تحقيق: ناجي سويدان. (د.ط). (د.م): المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

السباعي، المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي. (1420هـ-1999م). *المرأة بين الفقه والقانون*. ط7. بيروت: دار الوراق للنشر والتوزيع.

السبكي، الشيخ تقي الدين السبكي الكبير. (1413ه). *قضاء الأدب في مسائل حلب* تحقيق: محمد عالم عبد المجيد. (د.ط): مكة المكرمة. المكتبة التجارية.

السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي. (د.ن). *فتاوى السبكي*. (د.ط). (د.م): دار المعارف.

السرجاني، راغب السرجاني. (2010م). خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي. تاريخ الاطلاع: 17 إبريل 2015. قصة الإسلام: http://islamstory.com/ar

السري، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق. (1408هـ-1988م). *معاني القرآن وإعرابه*. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط1. بيروت: عالم الكتب.

السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي. (1414ه). *التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة*. ط1. الرياض: دار طيبة.

السعدي، العلامة عبدالرحمن بن ناصر الدين السعدي (1423هـ−2000م)، *تفسير السعدي* تحقيق: عبدالرحمن بن محلا اللويحق. ط 1. (د.م): مؤسسة الرسالة.

السفاريني، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي. (1402هـ−1982م). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*. ط2. دمشق: مؤسسة الخافقين.

السقاف، علوي بن عبد القادر السقاف، (2007م) *مدى سلطان الشيطان على الإنسان*. تاريخ الاطلاع: 15 أكتوبر2015. الموسوعة العقدية: http://www.dorar.net/enc/aqadia/4368

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (د.ت). *بحر العلوم*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

السهسواني، محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي. (د.ت). *صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان*. ط3. (د.م). المطبعة السلفية – ومكتبتها.

سيد، معاوية أحمد سيد، (2003م) *سياسة الإسلام في الوقاية والمنع من الفساد*. ورقة مقدمة للمؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد. الرياض، السعودية: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي. (1420 هـ − 1999م) *الشريعة*. تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. ط 2. الرياض، السعودية: دار الوطن.

الشقنطيطي، د محمد الحسن الددو الشقنطيطي. (2006م). *تفسير {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن...}*. تاريخ الاطلاع: 20مارس2016. موقع طريق الإسلام: http://ar.islamway.net/fatwa/13033/

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري. (1387هـ). *تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري*. ط2. بيروت: دار التراث.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. (1429هـ-2008م). *الاعْتِصَام*. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الشقير وآخرون. ط1. السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

الشحود، علي بن نايف الشحود. (1432 هـ -2010 م). *الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل*. ط1. بهانج – ماليزيا: دار المعمور.

شرف الحق، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن شرف الحق الصديقي العظيم آبادي. (1415ه). *عون المعبود شرح سنن أبي داود*. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.

الشعراوي، محمد متولي الشعراوي. (1997 م). *تفسير الشعراوي*. (د.ط). مصر: مطابع أخبار اليوم.

الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي (1426هـ-2006م). *قصص الأنبياء*. اعتنى به: إبراهيم عبدالستار علي وآخرون. ط 1. (د.م): دار القدس.

الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (د.ت) *الرد على الجهمية والزنادقة*. تحقيق: صبري بن سلامة شاهين. ط1. (د.م): دار الثبات للنشر.

الشيباني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني. (1400هـ). *السنة*. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط1: بيروت: المكتب الإسلامي.

أبو شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي. (1409ه). *المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

آل الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. (1399ه). *فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ*. تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. ط1. مكة المكرمة: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. (1415هـ-1995مـ). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*. (د.ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

الشوكان، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (1414هـ). *فتح القدير*. ط1. دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب.

الصالحي، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي. (د.ت). *الآداب الشرعية والمنح المرعية*. (د.ط). (د.م): عالم الكتب.

الصلابي، علي محمد محمد الصلابي. (1424هـ- 2003م). *السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث*. ط1. القاهرة: دار الفجر للتراث.

الصلابي، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي. (1429هـ-2008م). *السيرة النبوية -عرض وقائع وَتحليل أحدَاث*. ط 7. بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

الصلابي، د علي محمد محمد الصلابي. (1431هـ-2101م). *الإيمان بالله*. ط1. دمشق: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع.

الطحاوي، الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن ابي العز الدمشقي. (د.ت). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (د.م): مؤسسة الرسالة.

الطبري، محمد ابن جرير الطبري (224هـ - 310هـ) *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي. (د.ط). (د.م): هجر للطباعة والنشر.

ابن عاشور، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق. (1422ه). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

العايد، عبد الرحمن بن عايد العايد. (د.ت). *صلة الرحم*. تاريخ الاطلاع: 20يونيو2016. موقع صيد الفوائد: https://saaid.net/rasael/252.htm

ابن عباس، لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -. (د.ت). *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*. تحقيق: جمعه مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى. (د.ط). لبنان: دار الكتب العلمية.

عبد السلام، محمد بن عبد السلام، (2013م). *مكانة النبي ﷺ*. تاريخ الاطلاع: 20يناير2015. موقع طريق الإسلام: http://ar.islamway.net/article/19545/

عبداللطيف، أحمد عبداللطيف بن عبدالله العبد اللطيف - (1403هـ-1982م). *عصمة الأنبياء بين المسلمين وأهل الكتاب*: (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم القرى، السعودية.

عبد الواحد، صالح بن طه عبد الواحد. (1428هـ). *سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ عَليه الصَّلاة وَالسَّلام*. راجعهُ وقدَّم لهُ: فضيلة الشيخ سليم بن عيد الهلالي. فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان. ط 2. (د.م): مكتبة الغرباء، الدار الأثرية.

ابن عطية، للقاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي. (1422هـ-2001م). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد. ط 1. بيروت، لبنان: طباعة دار الكتب العلمية.

عبيد، عبد القادر أحمد عيسى عبيد. (1433هـ-2012م). *فساد اليهود وأثره في تتبيرهم*. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الإسلامية- غزة، فلسطين.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (1421هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. تحقيق: سعد فواز الصميل. ط 6. الرياض: دار ابن الجوزي.

العثيمين، محمد بن صالح العثيمين. (1407هـ). *مجموع فتاوى ورسائل العثيمين*. جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن ابراهيم السليمان. ط 1. (د.م): دار الوطن للنشر.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (1426هـ). *شرح رياض الصالحين*. (د.ط) الرياض: دار الوطن للنشر.

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين. (1410هـ). *رسالة شرح أصول الإيمان للشيخ ابن عثيمين*. ط1. الرياض: دار الوطن للنشر.

العفاني، الدكتور سيد حسين العفاني. (1421هـ-2001م). *تذكر النفس بحديث القدس، واقدساه*. ط1. (د.م): مكتبة معاذ بن جبل، توزيع دار العفاني.

العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان. (1416هـ-1996م). *تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)*. تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي. ط1. بيروت: دار ابن حزم.

ابن عجيبة. أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي. (1419هـ). *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. (د.ط) القاهرة: حسن عباس زكي.

عيسى، حنا عيسى. (2014م). *أدوات الفساد السياسي*، 30 تاريخ الاطلاع: مايو2016. دنيا الوطن: http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2014/09/08/341170.html

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي. (د.ت). *إحياء علوم الدين*. (د.ط). بيروت: دار المعرفة.

غصاب، عبدالله بن ناصر بن عبدالله آل غصاب. (1429هـ-2008م). *منهج الشريعة الإسلامية في منهج الشريعة من الفساد المالي والإداري*. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي. (1399ه-1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د.ط). (د.م): دار الفكر.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (1418 هـ). *محاسن التأويل* تحقيق: محمد باسل عيون السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي. (1388هـ-1968م). *المغني لابن قدامة*. (د.ط). (د.م): مكتبة القاهرة.

القرطبي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي. (1429هـ-2008م). *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه* تحقيق: الشاهد البوشيخي وآخرون. ط1. الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري. (د.ت). *لطائف الإشارات = تفسير القشيري*. تحقيق: إبراهيم البسيوني. ط3. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. (1412ه). *في ظلال القرآن*. ط 1. بيروت- القاهرة: دار الشروق.

القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري. (1407ه-1986م). *مسند الشهاب*. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1408هــ). *الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة*. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. ط 1. الرياض، المملكة العربية السعودية: دار العاصمة.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1408هــ-1988م). *اجتماع الجيوش الإسلامية*. تحقيق عواد عبد الله المعتق. ط 1. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1393هــ، 1973م). *الفوائد*. ط 2. بيروت: دار الكتب.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1409هــ-1989م). *عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين*. ط3. المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية: مكتبة دار التراث.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1416هــ-1996م). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين* تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1398هــ-1978م). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. ط1. بيروت، لبنان: دار المعرفة.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (د.ت). *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي. (1412هــ-1992م). *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*. تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري. (د.ط). صَيدَا-بَيروت: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير (1418ه-1997م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد بن محمد السلامة. ط 1. (د.م): دار طيبة للنشر.

ابن كثير، أبي الفداء عمادالدين إسماعيل بن عم بن كثير القرشي. (1422هــ-2002م). *صحيح قصص الأنبياء*. تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. ط 1. (د.م): غراس للتوزيع والنشر.

اللوح عبد السلام، السوسي ضيائي. (1429هـ - 2008م). *أنواع الفساد وصوره، بحث"دراسة قرآنية مـوضوعية*. تاريخ الاطلاع: 7سبتمبر2015. موقع بدون عنوان.

ابن ماجة، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجة. (1417ه). *سنن ابن ماجة*. تحقيق: الإمام محمد ناصر الدين الألباني. ط 1. الرياض: مكتبة المعرف للنشر والتوزيع.

المسند، محمد بن عبد العزيز المسند (1432هـ). *أنواع الفساد في الأرض*. تاريخ الاطلاع: 3يناير2015. موقع نور الإسلام: http://www.islamlight.net/index.php?option=content&task=view&id=21362.

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري. (1356ه). *فيض القدير شرح الجامع الصغير*. ط 1. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

ابن منده، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي. (1423هـ-2002م). *التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد*. تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي. ط 1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي. (د.ت). *الزهد والرقائق*. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي. (1365هـ-1946م). *تفسير المراغي*. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

المروزي، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي. (1418هـ- 1997م). *تفسير القرآن*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ابن غنيم. ط.1. السعودية: دار الوطن.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي. (د.ت). *التوحيد*. تحقيق: د. فتح الله خليف. (د.ط). الإسكندرية: دار الجامعات المصرية.

المحاسبي، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله. (1398هـ). *ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه*. تحقيق: حسين القوتلي. ط2. بيروت: دار الكنديو دار الفكر.

معابرة، محمدد محمدد خليل معابرة. (2010م). *الفساد الإداري وعلاجه في الفقه الإسلامي*. (رسالة دكتوراة غير منشورة). الجامعة الأردنية، الأردن.

مسلم، الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القيشاري النيسابوري. (1427هـ). *صحيح مسلم*. تحقيق: نظر محمد الفاريابي. ط1. (د.م): دار طيبة للنشر والتوزيع.

مقاتل، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى. (1423هـ.). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق: عبد الله محمود شحاته. ط1. بيروت: دار إحياء التراث.

المحلي، جلال الدين بن أحمد محمد المحلي الشافعي. (1420هـ-1999م). *شرح ورقات في أصول الفقه*. تحقيق: حسام الدين عفانه. ط1. (د.م). (د.ن).

مجلة البحوث الإسلامية-مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

المطرفي، عويد بن عياد بن عايد المطرفي. (1426هـ-2005م). *آيات عتاب النبي ﷺ في العصمة والاجتهاد*. (د.ط). (د.م): (د.ن).

المطيري، عبدالمحسن المطيري. (2015م). *قصة الحوار بين نبي الله موسى وفرعون في القرآن الكريم*. تاريخ الاطلاع: 5 يناير 2016. موقع إسلاميات:
http://islamiyyat.3abber.com/post/297120

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي. (1420هـ-1999م). *إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع*. تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي. ط 1. بيروت: دار الكتب.

المنتخب لجنة من علماء الأزهر. (1416هـ-1995م). *في تفسير القرآن الكريم*. ط18. مصر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري. (1417ه). *الترغيب والترهيب من الحديث الشريف*. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المنصوري، مصطفى الحصن المنصوري (1417هـ- 1996م.) *المقتطف من عيون التفاسير*. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط 2. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.

ابن منظور، بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. (1414هـ). *لسان العرب*. ط 3. بيروت: دار صادر.

المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي. (1426هـ-2005م). *الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان*. ط1. مصر: مكتبة ابن عباس.

مهدي، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي. (1414هـ). *التحفة المهدية في شرح العقيدة التدمرية*. تعديل وتصحيح: عبدالرحمن بن صالح المحمود. ط 1. الرياض: طباعة دار الوطن.

النابلسي، محمد راتب النابلسي. (1997م). *قوة المؤمن*. تاريخ الاطلاع: 7 سبتمبر 2015. موسوعة النابلسي :
http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=9210&id=44&sid=46&ssid=48&sssid=49 :

النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد. (1409ه). *معاني القرآن* تحقيق: محمد علي الصابوني. ط1. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

نخبة، نخبة من أساتذة التفسير. (1430هـ-2009م). *التفسير الميسر*. ط2. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

النخجواني، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان. (1419هـ-1999م). *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*. ط1. مصر: دار ركابي للنشر-الغورية.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي. (1421هـ-2001م). *السنن الكبرى*. تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي وآخرون. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي. (1415هـ). *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط1. دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. (1392هــ). *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الهيتي، قحطان محمد صالح الهيتي. (2011م). *الفساد المالي والإداري وأسبابه*. تاريخ الاطلاع: 8يونيو2016.

الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=259665

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. (د.ت). *موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان* تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة. (د.ط). (د.م): دار الكتب العلمية.

هيكل، محمد حسين هيكل حياة محمد (د.ت). مقدمة الشيخ المراغي. ط 14. القاهرة: دار المعارف.

ويكيبيديا، (د.ت). *فساد سياسي*، تاريخ الاطلاع: 15مايو2016. ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B3%D8%A7%D8%AF_%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A.

أبو يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي. (1400ه-1984م). *مسند أبي يعلى*. تحقيق: حسين سليم أسد. ط 1. دمشق: دار المأمون للتراث.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

سورة البقرة			
الرقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
.1	أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ...	15-11	ز
.2	وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي...	49-30	103-49-6
.3	لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ...	284	14
.4	كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ...	213	28
.5	تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ...	253	30
.6	ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ...	285	-66-32 188
.7	قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا...	136	32
.8	وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ...	35	39
.9	ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ...	61	44
.10	فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ...	37	46
.11	رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ...	128	46
.12	وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ...	124	56
.13	أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ...	258	-129-63 183
.14	وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ -أَوَ لَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ...	77-67	69

69	3	ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ...	15.
69	43	وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ...	16.
69	45	وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ...	17.
69	110	وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ...	18.
69	153	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ...	19.
69	177	لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ...	20.
69	238	حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ...	21.
69	277	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...	22.
71	251	وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ...	23.
72	217	وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ...	24.
103	33	وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ...	25.
105	34	وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ...	26.
111-110	37	فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ...	27.
110	36	وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ...	28.
111	35	وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ...	29.
130	258	فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ...	30.
185	163	وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ...	31.
186	255	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ...	32.

الرقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
33.	أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ...	87	190
34.	وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ...	188	200
35.	ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ...	27	205
36.	وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ...	102	206
37.	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا ...	165	210
سورة آل عمران			
38.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ...	102	ر
39.	فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ...	7	9
40.	وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ...	139	67-15
41.	وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا...	85	21
42.	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ...	144	39-25
43.	إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...	55	39
44.	وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ...	103	41
45.	وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ...	101	41
46.	رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا...	191	48
47.	وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ...	104	51
48.	كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ...	110	51
49.	إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ...	173	62

.50	قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ...	31	96-68
.51	وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ...	171-169	72
.52	فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ...	104	203-73
.53	فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ...	159	-75-73 151
.54	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ...	54	81
.55	وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ...	21	190
.56	وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ...	123	212
	سورة النساء		
.57	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ...	1	ر-223
.58	رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...	165	28
.59	مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ...	80	37
.60	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ	64	37
.61	وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ...	185-157	44
.62	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ...	48	184-66
.63	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ...	59	212-68
.64	وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ...	32	143
.65	إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ...	71	185-184

66.	وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا...	164	186
67.	رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ...	165	188
68.	إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ...	151-150	189
69.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ...	29	202
70.	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ...	48	208
71.	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ...	116	208
72.	إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ...	17	219
سورة المائدة			
الرقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
73.	إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...	33	21
74.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ...	67	26
75.	إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ...	118	35
76.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ...	41	38
77.	وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ...	67	50-44
78.	ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ...	3	50
79.	إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ...	72	-184-90 208
80.	وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ...	64	173

185	17	لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ...	81.
		سورة الأنعام	
12-9	3	وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ...	82.
10	59	وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ...	83.
16	165	وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ...	84.
25	48	وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ...	85.
35	90	أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ...	86.
46	124	ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ...	87.
57	77-76	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ...	88.
58	77	لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ...	89.
59	81-80	قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ...	90.
59	74	وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ...	91.
67	153	وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ...	92.
93	165	رَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ...	93.
208	88	وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ...	94.
		سورة الأعراف	
ز	127	وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ...	95.
39	36	وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ...	96.

97.	قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي...	144	39
98.	وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ...	188	49
99.	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً...	158	50
100.	يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ...	59	-53-52 182
101.	وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ...	65	188-52
102.	وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ...	44	98
103.	وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ...	11	105
104.	قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ...	12	108
105.	قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ...	18	110
106.	قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا...	23	110
107.	قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا...	18-13	113
108.	قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ...	18-16	116
109.	وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ...	200	121
110.	قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ...	112-109	195-160
111.	قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ...	115	162
112.	وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ...	122-120	163
113.	وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ...	180	185

114.	وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا...	88	195
115.	قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ...	113	196
116.	وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ...	114-113	197
117.	هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا...	189	204
118.	وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ...	85	205
119.	قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ...	12	212
120.	إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ...	201	222
سورة الأنفال			
121.	وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ...	33	39
سورة التوبة			
122.	لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ...	128	25
123.	عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ...	43	42
124.	وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ...	71	69
125.	إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ...	111	92-70
126.	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...	20	72
127.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ...	119	74
128.	وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ...	105	202-89
129.	وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ...	30	184

.130	لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ...	128	188
.131	ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ...	31	210
	سورة يونس		
.132	وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ...	83	4
.133	ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ...	90	5
.134	وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ...	88	35
.135	وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ...	72-71	54
.136	وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ...	90	150
.137	فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ	81-80	163
.138	وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ...	92-90	166
.139	وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمۡوَٰلٗا...	88	167
.140	ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ...	90	167
.141	ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ...	91	167
.142	فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ...	92	167
.143	فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ...	81	206
.144	﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ...	26	217
	سورة هود		
.145	قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ...	81	25

146.	قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ...	80	36
147.	قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ...	48	39
148.	قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ...	43	41
149.	وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ...	29	54
150.	وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ...	40	165
	سورة يوسف		
151.	قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ	73	51
152.	قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ...	108	75-55
153.	نَرْفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ...	76	93
154.	قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ...	55	202
	سورة الرعد		
155.	ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٖ تَرَوْنَهَاۖ...	2	6
156.	وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ...	25	205-204
157.	لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم...	14	210
158.	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ ...	28	222
	سورة إبراهيم		
159.	فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ...	36	35
160.	وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ...	4	55

114	22	وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ...	161.
127-126	46	وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ...	162.
سورة الحجر			
44	9	إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ...	163.
220-121	40-39	قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...	164.
سورة النحل			
49	78	وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا...	165.
52	36	وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ...	166.
92	31-31	جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ...	167.
121	100-99	إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...	168.
136-134	26	فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ...	169.
158-151	125	ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ...	170.
184	54	ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ...	171.
204	90	إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ...	172.
سورة الإسراء			
31	55	وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ...	173.
38	105	وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا...	174.
38	79	وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ...	175.

.176	سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ...	1	40–38
.177	وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا...	85	49
.178	مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ...	19–18	88
.179	إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا...	65	121
.180	وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَتُفۡسِدُنَّ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَّتَيۡنِ...	7–4	173–170
.181	فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ...	7	177–176
.182	فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا...	104	177–176
.183	وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا...	6	178
سورة الكهف			
.184	قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ...	110	49–47
.185	أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ ...	31	99
.186	وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ...	50	107–105
.187	قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ...	110	188
.188	وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ...	28	218
سورة مريم			
.189	وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا...	57	25
.190	قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ ...	46	60
.191	إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ ...	45–42	60

.192	قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا...	48-47	60
.193	كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ...	22-1	85
.194	وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا...	47-41	128
.195	وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا	81	184
.196	هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا...	65	187
سورة الأنبياء			
.197	وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ...	107	38
.198	قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ...	69	44
.199	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ...	25	52
.200	إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ...	56-52	59
.201	فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ...	46	61
.202	أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا...	67-66	61
.203	قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ...	68	61
.204	وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ...	70	129-62
.205	وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ...	58-57	129
.206	قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ...	61-59	129
.207	قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ...	62	129
.208	قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ...	63	129

209.	فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ...	65-64	129
210.	وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ...	72	133
211.	وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ...	73	133
سورة الحج			
212.	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ...	52	27-26
213.	وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ...	78	70
214.	وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ...	40	71
215.	وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يُرِيدُ...	16	78
216.	قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...	39	116
217.	قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ...	42-39	121
سورة المؤمنون			
218.	فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ...	24	190
سورة الفرقان			
219.	إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا...	66	129
220.	وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ...	3	184
221.	أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ...	43	218
سورة الشعراء			
222.	وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ...	183	ز

223.	يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ...	88	20
224.	فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ...	16	25
225.	وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ...	214	27
226.	إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ...	127-124	54
227.	إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ...	164-161	54
228.	إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ...	180-177	54
229.	وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ...	9	81
230.	وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ...	22-10	154
231.	فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ...	17-16	154
232.	قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ...	18	155
233.	وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ...	22-19	155
234.	قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ...	23	155
235.	قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ...	24	156
236.	قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ...	27-25	156
237.	قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ...	28	156
238.	قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ...	29	156
239.	قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ...	35-30	157
240.	وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ...	56-52	165

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
241.	كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ...	123	189
242.	كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ...	105	189
	سورة النمل		
243.	وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ...	14	4
244.	قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ...	65	10
	سورة القصص		
245.	إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ...	4	ر–10–14– 183–149
246.	تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا...	83	146–4
247.	وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي...	38	–157–6 182
248.	قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ...	20	44
249.	إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ...	56	77
250.	إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ...	83–67	137
251.	قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ...	78	138
252.	وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ...	76	196–139
253.	فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا...	79	145
254.	وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ...	78	145
255.	فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ...	81	146

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
256.	وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ...	82	146
257.	وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ...	7	155–149
258.	وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ...	48	145
259.	قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا...	49	145
260.	وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ...	39	197
261.	قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ...	26	202
262.	فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ...	50	218
	سورة العنكبوت		
263.	وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ...	31	25
264.	قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ...	20	48
265.	فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِ...	26	132
266.	قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ...	12	154
267.	وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم...	30–28	192
268.	فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ...	54–53	197
269.	وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ...	45	222
	سورة الروم		
270.	ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ...	4	18
	سورة لقمان		

271.	ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ...	30	4
272.	إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ...	13	83
273.	إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ...	34	191
	سورة الأحزاب		
274.	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا...	70–71	ر
275.	إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا...	54	14
276.	وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ...	7	56–31
277.	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا...	45	38
278.	مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ...	40	38
279.	إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ...	56	50–39
280.	مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ...	23	74
281.	لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ...	21	202–74
282.	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ...	69	153
283.	يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ...	59	225
284.	وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ...	33	226–225
	سورة سبأ		
285.	وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ...	21–20	121
	سورة فاطر		

الرقم	الآية	رقمها	الصفحة
286.	مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ...	10	814–
287.	ٱسۡتِكۡبَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ ...	43	13
288.	إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ...	28	228–48
289.	وجَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ ...	33	99
	سورة الصافات		
290.	سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ...	182–180	5
291.	وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ...	105–104	39
292.	وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ...	24	203
	سورة ص		
293.	أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...	28	ز
294.	قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ...	86	55–54
295.	قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ...	76	104
296.	إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ...	74	109
297.	قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ...	83–82	113
	سورة الزمر		
298.	قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ...	9	ت
299.	مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ...	3	182
	سورة غافر		

300.	قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ...	48-47	14
301.	ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ...	46	193
302.	قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ...	29	196
	سورة فصلت		
303.	قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ...	9	ز-184
304.	سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ...	53	48
305.	وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا...	33	73
	سورة الشورى		
306.	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ...	13	31
307.	أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ...	21	37
308.	لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ...	11	187-186
	سورة الزخرف		
309.	وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ...	84	10-8
310.	أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ ...	32	15
311.	بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ...	80	25
312.	قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ...	52-51	153
313.	وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ...	51	182-167
314.	وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ...	87	182

315.	وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ...	36	220
سورة الجاثية			
316.	وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا...	24	192
سورة الأحقاف			
317.	وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ...	5	21
318.	قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ...	9	49
319.	فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ...	35	76
320.	إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ...	9	188
سورة محمد			
321.	فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ...	35	15
322.	مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ...	15	97
323.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ ...	7	135
324.	فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ...	22	204
سورة الفتح			
325.	مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ...	29	29
سورة الحجرات			
326.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ...	13	170
سورة الذاريات			

.327	وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ...	65	21
سورة النجم			
.328	مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ...	2	38
.329	وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ...	3	38
.330	عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ...		38
.331	مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ...	11	38
.332	مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ...	17	38
.333	وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ...	4–3	44–41
.334	ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ...	32	119
.335	أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ...	20–19	209
سورة الحديد			
.336	أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ...	16	221
سورة المجادلة			
.337	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ...	21–20	67
.338	يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ...	11	94–93
سورة الحشر			
.339	هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ...	24–22	186
سورة الجمعة			

340.	هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ...	2	56
سورة المنافقون			
341.	وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ	8	67-15
سورة التغابن			
342.	فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ...	16	212
سورة التحريم			
343.	لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ...	6	107
سورة الملك			
344.	ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ...	3	6
345.	أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ...	14	203-46
سورة القلم			
346.	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ...	4	77-38
347.	مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ...	2	190
سورة الحاقة			
348.	وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ...	46	47
سورة نوح			
349.	وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا...	26	35
350.	فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا...	10	45

.351	وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا ...	23	209
سورة الجن			
.352	عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا...	27-26	191
سورة المزمل			
.353	يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ...	1	38
سورة المدثر			
.354	يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ...	1	38
.355	كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ...	38	202
سورة القيامة			
.356	وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ...	23-22	97
سورة المرسلات			
.357	وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا...	1	25
سورة النازعات			
.358	فقال أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ...	24	182-11
سورة عبس			
.359	عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ...	4-1	42
سورة التكوير			
.360	إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ...	19	25

.361	وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ...	24	191-25
.362	وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ...	29	211
سورة المطففين			
.363	وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ...	26	88-12
سورة الأعلى			
.364	سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى...	1	4
.365	سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ...	6	44-41
سورة الغاشية			
.366	فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ...	16-13	99
سورة الشرح			
.367	وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ...	4	38
.368	وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ...	3-2	38
سورة العلق			
.369	ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ...	4	48
سورة البينة			
.370	وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...	5	74
سورة الإخلاص			
.371	قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ ...	4-1	184

فهرس الأحاديث

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
1.	لما خلق الله الجنة والنار	6
2.	مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	10
3.	لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا	12
4.	يقول الله سبحانه: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري	13
5.	يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال	13
6.	لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر	14
7.	إن أول الناس يقضى يوم القيامة	15
8.	إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم	16
9.	لاَ تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الأَنْبِيَاء	33
10.	لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ	33
11.	إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي	34
12.	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ،	34
13.	لا ينبغي لعبدٍ أنْ يقولَ: أنا خيرٌ	35
14.	فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله	35
15.	وَإِنَّ مَثَلَكَ – يَا أَبَا بَكْرٍ–كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ	35
16.	يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ	36

الرقم	الحديث	الصفحة
17.	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي	40
18.	فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ	40
19.	مثلي، ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا	40
20.	والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه	46
21.	كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون	49
22.	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر	51
23.	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله	53
24.	إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب	53
25.	قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام	66
26.	أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني	68
27.	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله	69
28.	إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر	71
29.	ومن مات ولم يَغْزُ ولم يحدث نفسه	72
30.	لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق	72
31.	الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة	72
32.	إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى	74
33.	فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة	74
34.	إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلاشانه	75

.35	ومن يتصبر يصبره الله	76
.36	إن من خياركم أحسنكم أخلاقا	77
.37	لا تقل ذلك لا تعن الشيطان عليه	78
.38	بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده	79
.39	يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك ولا أبالي	79
.40	إن الله يَغارُ، وغَيرةُ الله أن يأتي المؤمنُ ما حرَّمَ الله	80
.41	فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا	80
.42	لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة	88
.43	ما من أحد يدخله عمله الجنة فقيل: ولا أنت؟	89
.44	قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟	89
.45	قال الله تعالى: أنا أغْنَى الشُّركاء عن الشِّرك	90
.46	من صلى البردين دخل الجنة	90
.47	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما	90
.48	إن في الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون	90
.49	قال: "الصلاة على مواقيتها"	90
.50	إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا	91
.51	من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة	91
.52	من جاء يعبد الله لا يشرك به شيئا ويقيم الصلاة	91

.53	حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات	93
.54	في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض	94
.55	يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق	94
.56	يا أبا سعيد من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وجبت له الجنة	95
.57	وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة	95
.58	من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة	95
.59	ما نقصت صدقة من مال	95
.60	من تواضع لله رفعه الله	96
.61	وما أعددت للساعة .. فإنك مع من أحببت	96
.62	إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة	96
.63	إنكم سترون ربكم كما ترون القمر	97
.64	السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون	99
.65	إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض	100
.66	خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار	103
.67	إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب	120
.68	إيها يا ابن الخطاب	122
.69	إن المؤمن لينضي شياطينه	122
.70	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	128

.71	لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء	140
.72	لا إلا كما يضر العضاه الخبط	143
.73	بينا رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين	146
.74	إن من البيان لسحرا	160
.75	قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل	167
.76	ما هذا اليوم الذي تصومونه	167
.77	لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود	179
.78	إن القبر أول منزل من منازل الآخرة	193
.79	لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر	193
.80	ما استخلف خليفة إلا له بطانتان	196
.81	فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه	201
.82	من استعملناه منكم على عمل	201
.83	من قتل دون ماله فهو شهيد	202
.84	من استعاذ بالله فأعيذوه	203
.85	الرحم معلقة بالعرش	204
.86	من سرهُ أن يبسط له في رزقه	204
.87	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا	205
.88	اجتنبوا السبع الموبقات	206

.89	يقول الله ﷻ لأهون أهل النار عذابا	208
.90	قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك	209
.91	اللهم لا تجعل قبري وثنا	209
.92	لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم	209
.93	الدعاء هو العبادة	210
.94	مَن حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك	210
.95	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر	211
.96	أجعلتني لله نداًّ؟! قل: ما شاء الله وحده	211
.97	من علق تميمة فقد أشرك	211
.98	اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرُّقَى	211
.99	خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم	212
.100	عليْكم السمع عليك السمع والطاعة	213
.101	من أطاعني فقد أطاع الله	213
.102	من خلع يدا من طاعة	214
.103	ستكون أثرة وأمور تنكرونها	215
.104	لا تَسبُّوا أُمراءكم ولا تغشوهم	215
.105	يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي	215
.106	إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم	220

.107	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ	221
.108	كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل	221
.109	ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها	222
.110	والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها	224
.111	مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين	226
.112	لتتبعن سنن من كان قبلكم	226
.113	ما تركت فتنة بعدي أضر على الرجال من النساء	226
.114	صنفان من أهل النار لم أرهما	227

فهرس الأعلام

م	الأعلام	رقم الصفحة
.1	الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم	9
.2	الآجري: الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم أبو بكر محمد بن الحسين	9
.3	المنصوري: مصطفى بن ميمش بن الحسين	18
.4	شهاب الدين الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي	43
.5	الشيخ مصطفى المراغي: محمد مصطفى المراغي	45
.6	الشبلي: الشيخ الزاهد أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي	81
.7	المناوي: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين	82
.8	الحسن البصري: الحسن بن يسار البصري	106
.9	الشيخ الشقنطيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر	107
.10	التويجري: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري	108
.11	الشيخ الشعراوي: محمد متولي الشعراوي	109
.12	السري السقطي: أبو الحسن سرى الدين بن المغلس السقطي	111
.13	صاحب معاني القرآن: أبو جعفر النحاس نحوي مصري	111
.14	محمد رشيد: محمد رشيد بن علي رضا	121
.15	كعب: كعب بن مانع الحميري اليماني العلّامة، الحَبر،	125
.16	السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي اسمه إسماعيل بن عبد	130
.17	السعدي: الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله	131
.18	أسلم: هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني	134
.19	المراغي: محمد مصطفى المراغي	138
.20	الغزالي: أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي	141

.21	الدكتور الصلابي: الدكتور على محمد محمد الصلابي	183
.22	محمد دروزة: محمد عزة بن عبد الهادي دروزة	189